الجمـــــهورية الـــــــجزائرية الديـــــــمقراطية الشـــــــــعبية
وزارة التعـــــليم العـــــــالي و البحث العـــــــلمي
جـــــامعة منـــــــتوري قســـنطينة
كلية علوم الأرض و الجغرافيا و التهيئة العمرانية
قسم الهندسة المعمارية و العمران

الرقم التسلسلي :.....
السلســـــة :.....

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العمران

التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية: حالة قرى و مداشر منطقة

إعداد الطـــــالب
مـحمد أكـلي كزار

تحت إشـــــــــراف
الأستاذ الدكتو جمال رحام

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور	**الطيب سحنون** أستاذ التعليم العالي بجامعة قسنطينة	رئيسا
الأستاذ الدكتور	**جمال رحام** أستاذ التعـــليم العالي بجامعة قسنطينة	مقررا
الأستاذ الدكتور	**مختار مخلوف** أستاذ محـــاضر بجامعة قسـنطينة	ممتحنا
الأستاذ الدكتور	**محمد جمال بوهني** أستاذ محـــاضر بجامعة قسنطينة	ممتحنا

السـنة الجـــامعية 2008/2007

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث

أهدي ثمرة عملي هذه

إلى أمي و أبي العزيزين

إلى زوجتي

إلى ولدي هارون

إلى كل أفراد عائلتي

إلى كل من يحب العلم في كل مكان وزمان.

شكـــــر وتقـــــــدير

يسعدني أن أتقدم بعميق الشكر وخالص التقدير إلى أستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور: جمال رحام، حيث تفضل بقبول الإشراف على هذه المذكرة ومنحنى من وقته وجهده الكثير، وكان لتوجيهاته ونصائحه أبلغ الأثر على إنجاز هذا العمل.

اعتـــــــراف

أتوجه بخالص الاعتراف و الشكر إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر هنا:

- الأستاذ الدكتور كواش حسين الذي وجهني في عدة جوانب من

قائمة من ساهم في هذا العمل

ناسلي ياسين

توهامي لكلاك

ودني عبد النور

نحال آكلي

نحال بوبكر

كزارخالد

كزار حليم

صوار عائشة

الاستاذ كواش

عمر رزين

عمراني نور الدين

صيد صالح

صيد صفيان

الأستاذة مساسي

رابحي خير الدين

تغيلت .....

خطة الإنشاء

المقـــــــــــــدمة

الفصل الأول : التحولات المجالية القروية أبعاد متعددة لضاهرة واحدة

القسم الأول : تحديد المفاهيم والمهجية للإقتراب من إشكالية التحولات في المجال القروي الجبلي

القسم الثاني: التحولات المجالية في القرية الجزائرية.

القسم الثالث: خصوصيات التحولات المجالية في القرى القبائلية

الفصل الثاني : بني ورتيلان الطبيعة الإنسان و العمران

القسم الأول : بني ورتيلان الدراسة المجالية والطبيعية

القسم الثاني : بني ورتيلان الدراسة المعمارية و العمرانية

القسم الثالث : بني ورتيلان الدراسةالجتماعية و القتصادية.

الفصل الثالث: التحولات المجالية في قرى بني ورتيلان

القسم الأول : التحولات على مستو ى المسكن (أخـــــــام)

القسم الثاني : التحولات على مستوى القرية و التجمعات العمرانية

القسم الثالث: التحولات على مستوى المنطقة ككل.

القسم الرابع: العناصر الفاعلة و إمكانية ترشيد التحولات الحالية.

الخلاصة العامة.

المقدمة العامة

المقدمـــــــــــــة العامة :

تسارعت وتيرة التغير في أنماط العيش والحياة في الجزائر وكان الاحتكاك بالعالم الخارجي أهم عامل محرك لها. ويتجلى ذلك بصفة واضحة في المجال المعيشي بصفة عامة والمجال المبني بصفة خاصة. أين نجد عدة مؤشرات على هذه التحولات التي طالت مجمل الميادين والمستويات.

تعد سياسة التصنيع المنتهجة بعد الاستقلال، النمو الديمغرافي السريع والنزوح الريفي، من العوامل الأساسية لظهور ظاهرة تعمير غير عادية من حيث الوتيرة والكم برز تأثيرها على غالبية المدن والقرى شكلا ومضموناً. وتمثل ذلك على الخصوص في اللجوء إلى أنماط سكنية ومخططات عمرانية لا تتلاءم و لم تُؤَقْلَم مع خصوصيات المجتمع الجزائري والأنساق العمرانية المحلية القائمة وهنا بدأ الاختلال.

ومع مرور الوقت تفاقمت حدة الوضع وفُقدت الكثير من المزايا الشكلية، الجمالية والوظيفية للأنماط العمرانية والمعمارية المحلية وكذا الأمر بالنسبة للمجال الطبيعي الذي أصبح عرضة لمختلف أنواع التلوث والاستغلال غير العقلاني.

تعد المناطق الريفية الجبلية بما تضمه من توطن بشري الأقل عرضة لهذه التحولات فهي لا تزال تحتفظ ببعض الخصوصيات العمرانية والميزات الطبيعية الأمر الذي يدفعنا إلى التفكير المنهجي حول مدى وعمق التحولات الحاصلة بها، و تشكل منطقة القبائل حيزاً مجالياً منها يغلب عليه الطابع الجبلي والريفي إذ تشكل القرى أهم و أقدم أشكال التوطن البشري فيها[1].

إبّان العُشريات الأربع لجزائر ما بعد الاستقلال ناهيك عن سنين الاحتلال الفرنسي شهدت هذه المنطقة تحولات اجتماعية واقتصادية عديدة صاحبتها موجة تحولات مجالية هامة أنتجت طابع عمراني هجين بين النسق الريفي والحضري وبين الطابع التقليدي والحديث[2]. انظر اللوحتين رقم 01 و رقم 02.

[1] - FONTAINE, Jacques. *Villages kabyles et nouveau réseau urbain en Algérie, le cas de la région de Bejaia*. thèse de 3ème cycle, Tours : centre d'étude et de recherche URBAMA « Urbanisation du monde arabe » : 1983. p 48.

[2] –MOKHTAR, K. *Urbanisme et systèmes sociaux : la planification urbaine en Algérie*, Réimpression, Alger : O.P.U, 1993. p 10.

لوحة رقم : 01

شكل رقم 01: قرية بومنصور " بلدية إعكورن بتيزي وزو" ، صورة حية لما كانت عليه القرية القبائلية الجبلية قبل سلسلة التحولات التي مرت وتمر بها؛ حالياً بومنصور تعاني الهجرة الجماعية لسكانها إلى المدن سعياً لتحسين أوضاعهم الاقتصادية.

Sources: Fig N° 01
LOECKX, A. et NOERT, N. *Construire un autre village, étude comparative de trois environnements représentatifs en Kabylie,* Belgique : Ed P.G.H.S/ KULEUVEN, 1986. p10 .

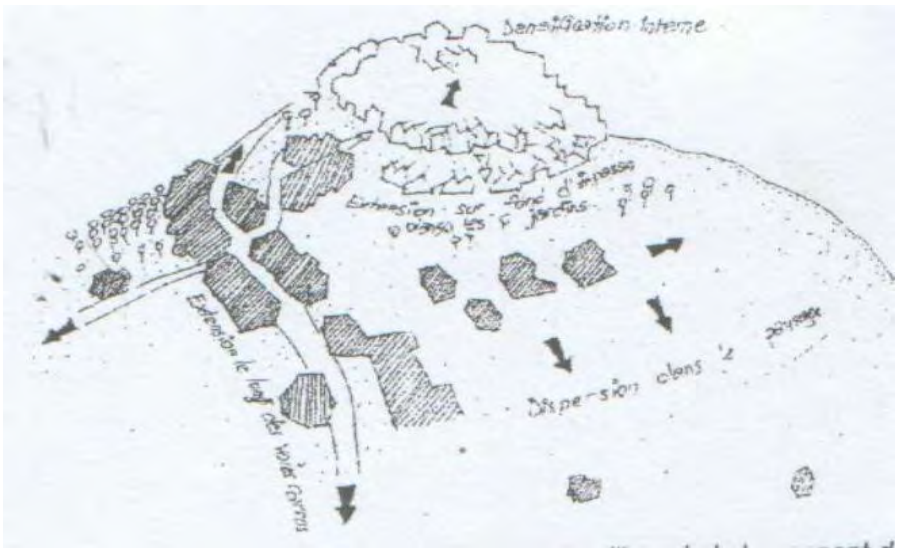

شكل رقم:02 التوجه العمراني الحالي في القرى القبائلية يتلخص في توسعات غير منتظمة خارج و/أو داخل النسيج التقليدي ينتج عنها انتشار و تبعثر الإطار المبني في المحيط وخصوصاً على جوانب الطرقات.

Source : Ouvrage collectif, *L'évolution de l'espace villageois en Kabylie,* Bruxelles : U.C.L, 1980. In KACI, Mebarek. *Contribution à protection de l'architecture rurale traditionnelle, cas d'un village antique de Taksebt en Kabylie maritime*. mémoire de magistère en urbanisme Alger, EPAU : 2001. P15.

لوحة رقم : 02

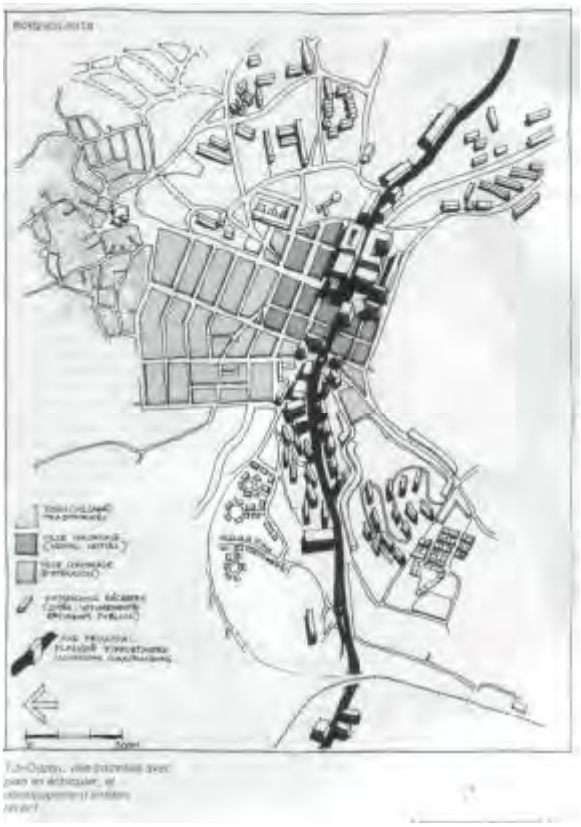

شكل رقم 03: قرية بني يني تتجلى فيها التحولات العمرانيـــة و المعمارية بشكل واضح : تكثيف للسكنات في النواة الأولى وانتشار للمباني الحديثة في المجال المحيط بها و هذا نتيجة لتوجه عمراني غـــير مقنن ساهم في إنشائه المهاجرين بشكل كبير.

Source Fig N° 03: LOECKX, A. et NOERT, N. *Construire un autre village, étude comparative de trois environnements représentatifs en Kabylie,* Belgique : Ed P.G.H.S/ KULEUVEN, 1986. P 13 **.**

شكل رقم 04: مخطط عام لمدينة تيزي وزو يبرز تجـــاور لـــثلاث أنسجة عمرانية متعاقبة هي : النسيج القروي التقليـــدي، النســـيج الشطرنجي الاستعماري و النسيج الحديث غير المتجانس (خطـــي وانشطاري)

Source: Fig N°04 : LOECKX, André. Le village: une autre ville étude des transformations du logement et de l'habitat en Kabylie. *Revue A+*, 2e trimestre 1985, pp. 28-30.

فمن الملاحظة المتفحصة للقرية الجبلية القبائلية نجد أنها ليست بمعزل عما هو حاصل في مختلف مناطق الوطن. مجالياً نجد أن القرية تشكل منظرًا يَنِمُ عن تنازع وعدم تجانس من الناحيتين الشكلية والضمنية – وهذا في غالب القرى – بين فضائين مختلفين أحدهما تقليدي مورث وآخر حديث بدأ يحل محل الأول أو يجاوره. ويعد هذا الأخير بمثابة إعادة نظر شبه جذرية في طرق وسبل البناء والتوطن واستعمال المجال، كما نلاحظ الزوال التدريجي للحدود المجالية بين القرى والمداشر مما يدل على اضمحلال وضمور التكاملات المجالية التقليدية ليحل محلها توسع عمراني غير منسق، حيث اْستُهلِكَ جزء كبير من المساحات الزراعية "البسيطة" التي كانت من أسباب الاستقرار و التوطن في السابق، وقد صاحب هذه التحولات هجرة شبه كلية للقرى التقليدية وتدهور كبير في تركيبتها العمرانية والمعمارية ***«فنقطة البداية كانت عدم التناسب بين الكم السكاني (الديمغرافي) والمساحة الزراعية المتوفرة بالإضافة إلى عدم وجود بدائل تنظيمية اقتصادية أخرى ناجحة تعيد لهذه المجالات توازنها المفقود مما أدى إلى تزايد ظاهرة الهجرة التي بدورها أفرزت تحولات عديدة في البنية الاقتصادية والاجتماعية تجسدت أثارها في المحيط بصفة عامة والمجال المبني بصفة خاصة»***[1].

فالوسط القروي الجديد بدأ يأخذ قالباً وطابعاً مغايراً للأسس والثوابت التقليدية ومن أهم مظاهره استعمال مواد بناء جديدة (الخرسانة والخرسانة المسلحة، الآجر ...الخ) واعتماد تنظيم مجالي سكني بمخططات جديدة و ظهور نسيج عمراني خطي في الغالب، وعلى الرغم من كون الوضع الحالي يدل على تحسن نسبي في ظروف الإقامة والسكن فإن الهجرة لا تزال مستمرة واستقرار السكان بالمنطقة يبدو في تناقص مستمر.

بني ورثيلان[2] جزء من القسم الجبلي من منطقة القبائل تتميز بمناخ قاري شبه رطب وغطـــاء نباتي غير متجانس وقليل الكثافة، تتربع على مساحة قدرها: 228,73 كم^2 وتتميز بموقع خاص حيث تشكل نقطة تلاقي ثلاث ولايات: برج بوعريريج، سطيف، بجاية. كما أنها أحد نقاط التمـــاس بـــين منطقة القبائل بغيرها وهي ذات طابع ريفي في الغالب. تتكون منطقة الـــدراسة أربع بلديات هي: بني ورثيلان، عين القراج، بني شـــــبانة وبني موحلي و تضـــم أكثر من 110 قريـــة ودشرة، قـــــديمة

[1] – KACI, Mebarek. *Contribution à protection de l'architecture rurale traditionnelle, cas d'un village antique de Taksebt en Kabylie maritime*. Mémoire de magistère en urbanisme Alger, EPAU : 2001. p16.

[2]– هنا منطقة بني ورثيلان نقصد بها دائرة بني ورثيلان بحدودها الإقليمية الحالية الناتجة عن التقسيم آخِر تقسيم إداري سنة 1984.

النشأة في معظمها، حيث تعود إلى عهد ما قبل الاستعمار الفرنسي. الكثافة السكانية الحالية تقدر بهـــا: هي 250 نسمة/كم مربع حسب تقديرات مديرية التخطيط و تهيئة الإقليم لولاية سطيف لعـــام 2004.

إن المجال المعيشي بصفة عامة والقروي بصفة خاصة بهذه المنطقة ليس بعيداً عن التحولات المذكورة آنفا حيث لاحظنا ثلاث أنماط من التحولات، انظر اللوحتين رقم 03 و رقم 04 على مستوى القرى وهي على التوالي:

- توسعات سريعة مع اندماج لعدة قرى ونشوء أنسجة عمرانية حضرية (عمـــارات جماعية) وهي حالة مراكز البلديات ومركز الدائرة؛
- توسعات متوسطة الوتيرة والحجم نسبيا وهي الغالبة مع نشوء نسيج جديد انشطاري أو خطي من السكنات الفردية، النسيج التقليدي مرمم أو أعيد بناؤه كليا أو جزئيا؛
- التدهور والهجرة الكلية وهي حالة عدة قرى بحكم عزلتها و/ أو عوامل أخرى فقدت مجمل سكانها و لم يبقى منها سوى الأطلال.

هذا بالإضافة إلى تحولات أخرى يمكن ملاحظتها في مستويات مجالية أقل كالسكن أين ظهرت أنماط جديدة في تنظيم الفراغات و في مستويات أكبر كالعلاقة بين القرى حيث توسعت شبكة الطرقات وتدعمت بطرق ومسالك جديدة بالإضافة إلى إنجاز عدد هام من المرافق العمومية المختلفة. كما لاحظنا عدة تحولات في علاقة القرى بالمجال المحيط بها (الزراعي خاصة) وذلك من حيث الاستغلال والتملك (Appropriation) أين نجد هجرة شبه كلية للنشاط الزراعي والتوجه بنسبة كبيرة إلى قطاع الخدمات. الأمر الذي تُظهره مختلف الإحصاءات الوطنية للسكان:

هذه الملاحظات دفعتنا لطرح التساؤلات التالية :

- **ما العوامـــــــــل المتســـــــــببة في هذه التحـــــــــولات؟**
- **ما الشكل الذي تتجلى عليه هذه التحولات في قـــرى و مداشر منطقة بني ورثيلان ؟**
- **ما السبيل الأمثل لترشيد التوجه الحـــالي للتوطن في المنطـــــــــقة؟**

أهداف البحث: تتمثل فيما يلي:

1- فهم ظاهرة التحول المجالي بصفة عامـــــــــة وتجلياتها في المجال القروي الجزائري.

2- تحديد المكونات التي يتشكل منها المجال القروي القبائلي الجبلي من خلال وسطه الطبيعي، مضمونه الاجتماعي وتركيبتيه المعمارية والعمرانية.

3- محاولة إلقاء الضوء على مجمل التحولات والتغيرات التي شهدها هذا المجال بمنطقة القبائل بصفة عامة وبمنطقة بني ورثيلان بصفة خاصة.

4- البحث في مسببات هذه التحولات والعوامل المحركة لها المباشرة منها وغير المباشرة.

5- محاولة تقييم التوجه العمراني النوعي الحالي مع تحديد العناصر والجهات الفاعلة فيه، واقتراح البدائل من أجل تنمية مستدامة و رشيدة.

فرضيات البحث:

بهدف تحقيق الأهداف التي سطرت للبحث و تغطية مختلف جوانبه وضعنا ثلاث فرضيات هي:

1- من أجل فهم تحولات المجال القروي وتقييمها لا بد من فهم ما كانت عليه القرى سابقا.

2- التحولات العمرانية والمعمارية التي شاهدتها منطقة بني ورثيلان و غيرها من المناطق الريفية لم تكن بصورة متماثلة ورتيبة في كامل القرى حيث أن الظروف الخاصة المحيطة بكل قرية جعلتها تتطور بصورة متميزة عن باقي القرى.

3- التحول المجالي أمر حتمي قائم في كل المجالات العمرانية حضرية كانت أم قروية، في المجال القروي الجبلي نميز نوعين مختلفين من التحول أحدهما طبيعي ومتناسب مع احتياجات السكان ونمط التوطن السائد وآخر جذري وعميق وأحيانا مفروض مثلا: إبَّان الاستعمار الفرنسي، أو باستعمال وسائل التهيئة العمرانية الحديثة المقتبسة من مثيلاتها في البلدان الغربية دون مراعاة الخصوصيات العمرانية المحلية.

منهجية البحث:

هذه الدراسة الهدف منها فهم ظاهرة التحولات المجالية في المجال القروي الجزائري بشكل عام وفي قرى منطقة القبائل الجبلية انطلاقا من حالة منطقة بني ورثيلان وذلك في الفترة الزمنية الممتدة من ما قبل الاستيطان الفرنسي إلى يومنا هذا و ذلك بهدف استشراف المستقبل ونحن أكثر وعيا بالماضي والحاضر وأحسن فهمًا لحيثيات التحول المجالي ومسبباته.

وقد اخترنا منطقة بني ورثيلان كعينة على أساس عدة دوافع نذكر منها:

- معرفتنا النسبية للمنطقة.
- السهولة في التواصل مع السكان .
- سهولة الحصول على المعلومات من مصادرها المختلفة.

وهذا لا يقلل من أهميتها كمنطقة للدراسة كونها تحتوي على جل العناصر المجالية والاجتماعية المكونة للمناطق الجبلية القبائلية ومرت بمعظم مراحل التحول، التي مرت بها هذه الأخيرة. للاقتراب من الإشكال و معالجة جوانبه المختلفة سلكنا أربعة مرحل هي:

المرحلة الاستطلاعية: وهي مرحلة للبحث النظري المستفيض من خلال الإطلاع على الوثائق و المراجع من الكتب والمجلات و البحوث العلمية و المواقع الاليكترونية التي تتضمن مفهوم التحولات المجالية (الريفية أو الحضرية) بشكل أو بآخر بالإضافة المصادر المركزة على المنطقة ذاتها [1]في أبعادها المختلفة (التاريخية، الاقتصادية،الاجتماعية، و العمرانية) وذلك بغرض ضبط مختلف أبعاد و جوانب الإشكالية محلياً.

مرحلة التحقيق الميداني: وقد تم خلالها جمع المعلومات والمعطيات التي تخدم كل جوانب البحث و ذلك من خلال الاتصال بالمصالح التقنية والإدارية وهيئات أخرى بغية الحصول على المعطيات الإحصائية و تفحص المخططات المتعلقة بالتهيئة و التعمير و إجراء مقابلات للحصول على إيضاحات للجوانب الغامضة قصد إثراء الموضوع و الاحتكاك بالواقع الفعلي للإشكال حيث تم الاتصال بـــ:

- الديوان الوطني للإحصاء O.N.S؛

[1]- منطقة القبائل و منطقة بني ورثيلان على وجه الخصوص.

- مركز الأرشيف بقسنطينة؛
- فرع مديرية التعمير و التجهيزات العمومية بدائرة بني ورثيلان؛
- فرع مديرية الفلاحة بدائرة بني ورثيلان.
- فرع الأشغال العمومية بدائرة بني ورثيلان؛
- المصالح التقنية للبلديات الأربع: بني ورثيلان، عين القراج، بني شـــــبانة وبني موحلي؛
- مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية سطيف D.P.A.T؛
- الدائرة الأثرية بولاية سطيف؛
- مديرية مسح الأراضي بقسنطينة؛
- مركز الدراسات و الانجاز العمراني لولاية سطيف U.R.B.A.SE؛
- المتحف الوطني للآثار بسطيف.
- المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر العاصمة؛
- متحف باردو للإنسان بالجزائر العاصمة؛
- المعهد الوطني للخرائط I.N.C بالجزائر العاصمة و قسنطينة.

مرحلة العمل الميداني: من أجل الفهم المستفيض للمعطيات و للمخططات والتأكد من مطابقتها للواقع قمنا بما يلي :

- زيارات ميدانية للكثير من أجزاء المنطقة المدروسة بهدف تَفَهُم مخططات التهـــــــــيئة و التوجيه العمرانية للبلديات الأربع (بني ورثيلان- عين لقراج- بني موحلي و بني شبانة) والتي تم انجازها على التوالي سنوات: 1996-1997-1997م.
- معاينات ميدانية لمعظم القرى بمنطقة الدراسة من أجل ملاحظة أشكال التوطن وتحولاتها المختلفة.
- استجواب مباشر لسكان و لجان الأحياء لتحديد انشغالات و مشاكل السكان.
- التقاط صور لتساعد في إبراز واقع المنطقة و تدعيم التحليل.
- معاينة ميدانية للأسواق الأسبوعية بكل من الجَمْعة[1]، بني براهيم[2] و الاثنين التجمع المركزي لبلدية بني موحلي لما لها من أهمية على مستوى المنطقة و المناطق المجاورة لها.

[1] - التجمع المركزي لبلدية بني ورثيلان.

[2] -التجمع المركزي لبلدية عين لقراح .

مرحلة التحليل و التحرير: تمثلت هذه المرحلة في فرز و معالجة كل المعطيات و المعلومات التي جمعت من خلال البحث النظري والعمل الميداني بالإضافة إلى تحليلها و تدوين النتائج المتوصل إليها و تمثيلها في شكل خرائط وأشكال بيانية و جداول، بغرض استخدامها في التحليل لتبسيط القراءة و تسهيل فهم الموضوع وفق خطة تضمنت ثلاث فصول هي.

الفصل الأول: أين تطرقنا إلى الجوانب المنهجية للاقتراب من الإشكال و حددنا المفاهيم التي بنينا عليها البحث.كما عرجنا على مفهوم التحولات المجالية في الريف والحضـــــــــر و تجلياتها في مناطق مختلفة:الدول الغربية، العالم الثالث، في الجزائر بصفة عامة و منطقة القبائل بشكل أخص.

الفصل الثاني: وهو خلاصة لنتائج البحث الميداني المتعلق بمنطقة الدراسة ذاتها حيث تناولنا الميزات الطبيعية و المجالية مبرزين المؤهلات التي يمكن تثمينها و معوقات التنمية التي يجب أخذها بعين الاعتبار من أجل ترشيد مسيرة النمو ، التحديث العمراني و التجديد الريفي.

كما أبرزنا مختلف الخصائص العمرانية و المعمارية للمنطقة حيث اخترنا التجمع الحضري بمركز بني ورثيلان، قرية منادس و قرية شلحاب كعينات لإبراز أهم أشكال التحولات المجالية بالمنطقة. كما أشرنا إلى تاريخ المنطقة و موروثها الحضاري و الثقافي اقتصـــــــاديا و اجتماعياً و قدمنا حوصلة عما تمتاز به المنطقة من خصوصيات و أبرزنا دور الإنسان فيها كمحرك أساسي للنسق الاجتماعي و العمراني ككل.

الفصل الثالث: حاولنا في هذا الفصل رسم صورة إجمالية للتطور في المنطقة على مستويات مجالية متداخلة (المنزل، القرية، مجموع القرى في المنطقة) مبرزين ذلك بمخططات توضيحية. كلما أبرزنا دور الشركاء الفاعلين في صناعة الهيئة المجالية القروية (la forme spatiale villageoise). موضحين إمكانيات تضافر الجهود من أجل تطور نحو الأفضل و من أجل مجال معيشي أكثر استجابة لمتطلبات الحاضر و المستقبل و أكثر مراعاة لخصوصيات الطابع العمراني المحلي و أحسن نجاعة من الناحية الاقتصادية. و كل هذا من خلال تصور مستقبلي تتحمل فيه كل الأطراف أدوارها التنموية و الحضارية.

لوحة رقم: 03

صورة رقم 01 : التجمع المركزي لبلدية بني موحلي، نسيجه العمراني يشكل حالة استثنائية ضمن التجمعات المركزية للبلديات الأربعة بدائرة بني ورثيلان كونه تطور بشكل منفصل عن القرى التقليدية القديمة.

Source : Google Earth, visité le lundi 6 novembre 2006, 7:51:22

صورة رقم 02 : التجمع المركزي لبلدية عين لقراج، نسيجه العمراني تشكل من اندماج عدة قرى وإنشاء أنسجة عمرانية حضرية (عمارات جماعية)

Source: Google Earth, visiter le lundi 6 novembre 2006, 7:22:02

لوحة رقم : 04

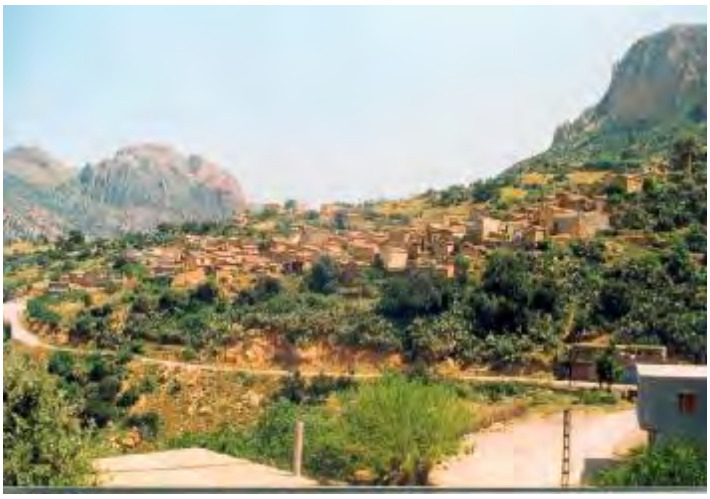

صورة رقم 03: قرية فريحة الواقعة في أقصى غرب بلدية بني ورثيلان، الهدوء الذي يميزها ينم عن فقدانها الشبه كلي لسكانها كما هو الحال في مجمل القرى الأشد عزلة بالمنطقة.

المصدر: المصور عمريو. ب، مارس 1992.

صورة رقم 04: التحول بقرية أقمون ناث عيسى " ببني ورثيلان " جلي أكثر مما هو عليه في قرية فريحة، المباني الحديثة تجاور النسيج العمراني التقليدي و تعطي مظهرا جديداً للمجال العمراني.

المصدر: الباحث، صائفة 2004 م.

صورة رقم 05: الجمعة عقر التجمع العمراني بمركز دائرة بني ورثيلان، يشغل منطقة كانت قبل الاستقلال نقطة تلاقي أسبوعية للتسوق والتبادل الاقتصادي بالقرب من القرى العتيقة الثلاث: إغيل أفلا، آنو و فانتيكلت؛ نحن أمام مركز الحداثة العمرانية بالمنطقة؟!

المصدر: المصور بلة، صائفة 1996.

الفـــــــصل الأول

التـحولات المجالية الـقروية، أبـعاد متعددة لظـــاهرة واحـــدة

الفصل الأول: التحولات المجالية القروية أبعاد متعددة لظاهرة واحدة

تمهـــــــــــــيد

القسم الأول : تحديد المفاهيم و المنهجية للاقتراب من ظاهرة التحولات في المجال القروي.

القسم الثاني :المجال القروي التقليدي الجزائري و إشكـــــــالية التحـــــــــــــــــول.

خـــــــــــلاصة

مقـــــــدمة الفصـــــــل الأول:

إن البحث في ظاهرة التحولات المجالية حضرية كانت أم ريفية يتميز بكثير من التشعب والتعقيد وذلك لما يتضمنه مفهوم المجال[1] من أبعاد ولتعدد الرؤى و وجهات النظر التي يمكن تناول هذا الموضوع من خلالها.

فمن الناحية التاريخية تُمثل القرية أحد مراحل التطور التي مرت بها الإنسانية حيث شكل ذلك حدثا هاما في تاريخها انتقل من خلالها «***الإنسان من الحياة البسيطة حيث كان يعتمد في معاشه على القطف والجني والصيد ويلجأ في منامه إلى الكهوف المحفورة في الجبال، فلا منامه ولا معاشه يتطلب جهدا فكريا، قدر ما هي آلية عضلية***» [2] وقد تمخض ذلك عن الثورة الزراعية حيث اهتدى الإنسان إلى طرق عمل جديدة فتحت له ميادين أوسع وأبعد[3] و تم ذلك تدريجيا في فترات متباينة حسب المكان (8000 ق. م في فلسطين ومابين النهرين، 5000 ق. م في نهر الهند، 3000 ق. م في أوربا والبحر الأبيض المتوسط وغيرهما...) [4].

و كنتيجة أساسية لهذا التحول أصبحت ضرورة الاجتماع سمة متجذرة لما تقتضي الزراعة من تعاون الأيدي للعمل والإنتاج. مع مرور العصور تطورت العديد من القرى – بتوفر العوامل المناسبة – إلى مدن لتدخل الإنسانية في مرحلة أخرى من تطورها.

أما من الناحية الجغرافية فالقرية تعتبر أحد أهم أشكال التوطن البشري حيث تضم 80 % من سكان الريف على مستوى المعمورة[5] وهي الشكل الأكثر انتشارا في المناطق ذات المجتمعات التي تتميز بالهيكلة العضوية عكس ما هو الحال بالنسبة للمناطق الجغرافية حديثة العهد التوطن البشري، (أستراليا، كندا، أمريكا) أين يشكل السكن المبعثر النسبة الكبرى.[6]

كل قرية تتميز بهيئة وشكل خاص ولها نظام اجتماعي و اقتصادي مستحدث أو موروث عن العصور الغابرة القديمة، وما التباين في الشكل والمضمون بين القرى إلا نتيجة لتبـــــاين العوامل الطبيـــــــعية (المناخ، التضاريس) والاجتماعية والمسار التاريخي الذي مرت به، انظر لوحة رقم 05.

---

[1]- انظر تعريف ستيوارت جيمس (Stewart, James) صفحة رقم 21 من هذه المذكرة.

[2]- **بن يوسف، إبراهيم**. *إشكالية العمران*. الجزائر: دار أبو داود، 1992م. ص.15

[3]- نفس المرجع، ص . 15.

[4]- نفس المرجع، ص . 15.

[5] – Village, in: *Le grand dictionnaire encyclopédique, Larousse*, Tome 15, Paris, 1984. p. 10781

[6] – Idem P. 10781.

لوحـــــــــة رقم : 05

صورة رقم 06: قرية في اليزوتو، سدیمیة

صورة رقم 07: قرية كمبودية، خطية

صورة رقم 08: قرية جبلية في سويسرا، متراصة.

صورة رقم 09: قرية حاوسة بالنيجر، سدیمیة.

صورة رقم 10: قرية مسايي في كينيا، دائرية.

صورة رقم 11: قرية سينوفو في ساحل العاج، متراصة.

Source: "Village" In : Microsoft® Encarta®2006 [CD], Microsoft corporation, 2005.

وبصفة عامة نجد قرى خطية الشكل أين تنتظم البنايات بمحاذاة طريق واحد أو أكثر، قرى متراصة تكون فيها السكنات متلاصقة ومشكلة كتلة واحدة متلاحمة، قرى ذات شكل نجمي، قرى دائرية ذات ساحة مركزية كبيرة وقرى ذات شكل سديمي تكون فيها المنازل عناصر منفصلة عن بعضها ومتمايزة وتبعد كل واحدة عن الأخرى بمسافات متباينة انظر لوحة رقم 05 و الشكل رقم :01 ص15 أما بالنسبة للحجم فالقرى تتباين في المساحة التي تشغلها من الأرض وتعداد سكانها إذ أن هذا الأخير يصل في بعض المناطق ذات الاستيطان البشري القوي (الكثيف) إلى عدة آلاف نسمة (منطقة القبائل، ايطاليا، جنوب البلقان...الخ.)[1]

إن التوجه العام الحالي على المستوى العالمي هو التوسع والنمو المذهل للمجال الحضري بالمقارنة مع المجال الريفي الذي يشهد في معظمه تحولات جذرية عديدة أهمها: هجرة السكان[2]، تفكك الأنظمة الزراعية التقليدية بالإضافة إلى استبدال الميزات والخصوصيات المحلية التقليدية، بكل ما هو حضري أو عصري. بصورة عامة تختلف عوامل هذه التحولات بين البلدان الغربية ودول العالم الثالث ففي الأولى كانت الثورة الصناعية وما تبعها من ثورة حضرية، العامل الأساسي المحرك لها بينما لعبت موجة الاستعمار الحديث وظاهرة التبعية بمختلف أبعادها فيما بعد نفس الدور بالنسبة لدول العالم الثـــالث [3] و لكن ليس بنفس الوتيرة.

وأخيرًا من ناحية الرصيد المعرفي المتوفر في هذا الموضوع نجد العديد من الدراسات السابقة ذات المناهج والأغراض المتعددة والمتباينة والتي يمكن ترتيبها بالشكل التالي:

- الدراسات الجغرافية ؛
- الدراسات الاجتماعية؛
- الدراسات الاثنوغرافية؛
- الدراسات العمرانية و المعمارية؛

[1] – Village, in : *Le grand dictionnaire encyclopédique, Larousse*, Tome 15, Paris, 1984. P. 10781.

[2]- مـــع اســـتثناء بعـــض الدول الغربية التي تشهد ظاهرة عكسية لـــــظاهرة الهـــجرة أو النـــزوح الريفـــي تدعى rurbanisation و هـــــو (مصطلح صك من طرف شارلس جابلين (Charles Jalpin) للإشارة إلى اندماج الحياة الريفية و الحضرية من خلال انتشار السكان الحضريين في المناطق الريفية وما يترتب عن ذلك من نمو الأطراف الكبرى... أو المناطق الحضرية الريفية المختلطة التي لا تعتبر ريفية خالصة أو حضرية خالصة) ~1
~1 - **عاطف غيث، محمد.** *قاموس علم الاجتماع*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000م. ص . 394

[3] - MAROUF, Nadir, *La relation ville- compagne dans la théorie et la pratique: contrebutions à une sociologie rurale des payés dominés*, 2ème édition, Alger : O.P.U, 1981. P .52-53.

- الدراسات التاريخية الاجتماعية (Histoire Sociale)...الخ.

ولأجل الإلمام بشكل شامل ومتكامل بالناحية النظرية للموضوع سنقوم في القسم الأول من هذا الفصل بتحديد معاني المصطلحات الأساسية في البحث وتحديد المنهجية العامة للاقتراب من ظاهرة التحولات في المجال القروي، أما القسم الثاني سنتعرض للمجال القروي الجزائري بصفة عامة والتحولات التي طالته و لا تزال تطاله مع التعريج على خصوصيات هذه التحولات في المجال القروي القبائلي .

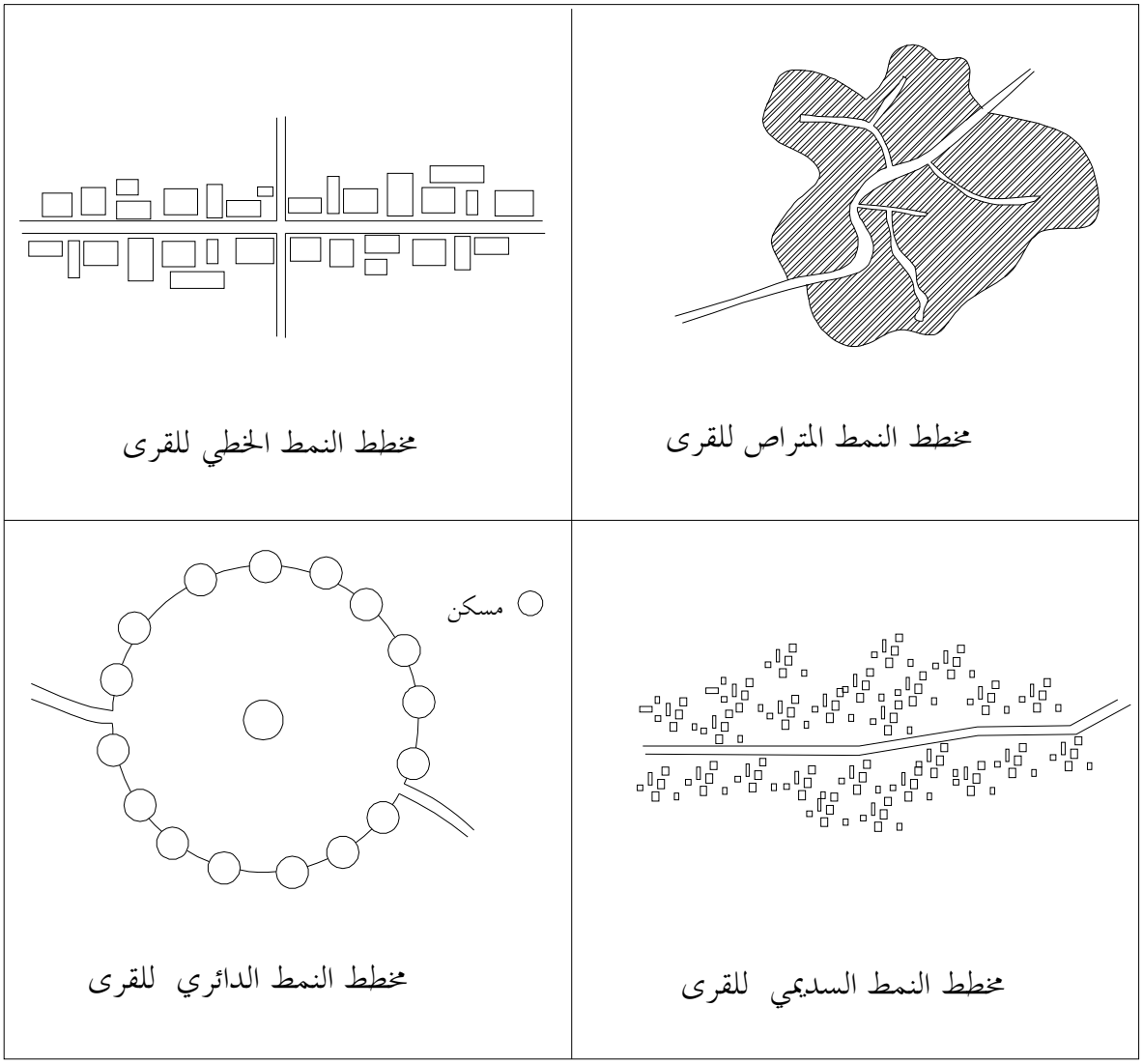

مخطط النمط المتراص للقرى | مخطط النمط الخطي للقرى

مخطط النمط السديمي للقرى | مخطط النمط الدائري للقرى

شكل رقم 05: أهم أنماط مخطـــطات القـــرى

المصـــــدر: الباحث

القـــــــسم الأول

تحـديد المفاهيم و المنــهجية للاقـــــتراب

مـن ظاهرة التـحولات في المجال الـقروي

القسم الأول: تحديد المفاهيم والمنهجية العامة لدراسة التحولات المجالية.

تمهيد القسم الأول.

المطلب الأول : مفـــــــــــــهوم القرية.

1- 1 المفهوم اللغـــــوي

1-2 المفاهيم الاصطلاحية

1-2-1 مفاهيم اصطلاحية عامـــة

1-2-2 المفهـــوم الجغـــــــرافي

1-2 -3 المفهوم السوسيولوجـــي

المطلب الثاني: مفهوم الـــــــــــجبل.

2-1 المفهوم اللغـــــــوي

2-2 المفهوم الاصطلاحـــي

2-3 المجال الجبلي وتأثيره على نشاط الإنسان

المطلب الثالث: مفهوم التحولات المجالية و المنهجية العامة لدراستها.

3-1 المفاهيم الاصطلاحية للتحـــــــــولات

3-1-1 المفهوم العام للتحـــــــــولات

3-1-2 مفهوم التحولات في علم الحياة

3-1-3 مفهوم التحولات في علم النفس

3-2 مفهوم التحـــــــــولات المجالـــــية

3-3 المنهجية العامة لدراسة التحولات المجالية

خلاصة القسم الأول.

مقـــــــــــــدمة القسم :

إن مرحلة تحديد المفاهيم والمنهجية تكتسي أهمية بالغة في أي بحث علمي كونها تمكن الباحث من التموقع ضمن الدراسات السابقة وإرساء أسس بحثه وتجنبه الخوض في التشعيبات الثانوية و الجانبية المتعددة للأشكال المطروح وعليه فإننا في هذا القسم سنتعرض للمفاهيم الأساسية التي ينبني عليها البحث والمنهجية العامة لمعالجة الإشكال المطروح.

المطلب الأول: مفـــــهوم القرية.

1-1 المفهوم اللغـــــوي: القرية «**المَصر الجامع، النسبة: قَرَئِي و قَروِي، الجمع: قُرى، أَقْرَى لزمها، و القَارِي ساكنها، القريتين: مثنى...** » [1]

1-2 المفاهيم الاصطلاحية

1-2-1 مفاهيم اصطلاحية عامة : من القاموس: (Le grand dictionnaire encyclopédique Larousse) انتقينا ثلاث معاني للقرية (Village) وهي:

أولا: «***مجموعة مساكن دائمة يقطنها سكان غالبيتهم يشتغلون في القطاع الفلاحي***»[2].

ثانيا: «***مجموع السكان القاطنين بهذا التجمع***»[3].

ثالثا: «***مجموعة الهياكل والمرافق المنظمة لاستقبال السياح، المتقاعدين أو المرضى***»[4].

1-2-2 المفهوم الجغرافي للقرية: بعد أن أثار مشكلة تعدد التعارف انتهى (Serge Courville) إلى أن معظم المراجع العلمية تتفق على معنيين على الأقل لمفهوم القرية. فالأول يعتمد على البعد المورفولوجي أو الشكلي البحت ويعتبرها «***شكل من أشكال التجمعات السكانية تشغل حيز محدد في المجال [...] بحيث يكون أكثر كثافة مما حوله***»[5] ويرى أن هذا المعنى يثير في الأذهان صورة التجمع السكني المحدود والكثيف أين تكون المباني موزعة على طول شارع أو أكثر، يضم مختلف الخدمات الأساسية بحيث يتميز عن محيطه بمظهره وهيئته الخاصة.

أما المعنى الثاني فإنه يتجاوز المظهر الشكلي للتجمع السكني إلى المجتمع القروي وعلاقته بالمجال الزراعي الذي يستغله وهو قريب إلى المعنى السوسيولوجي للقرية ومن جهة أخرى أضاف الجغرافي سارج

---

[1]- **الفيروزآبدي، مجد الدين محمد بن يعقوب** (المتوفى سنة 817 هـ) ، *القاموس المحيط*، القاهرة : دار الكتاب الحديث، 2004. ص. 1329-1330.

[2] –Village, in : *Le grand dictionnaire encyclopédique, Larousse*, Tome 15, Paris, 1984. p. 10781

[3] -Idem.

[4] -Ibid.

[5] - SERGE, Courville. *Entre ville et compagne, l'essor du village dans les seigneuries du Bas Canada*, Québec : Les presses de l'université de Laval, 1990. p. 05

كورفيل أنه هناك العديد من المحاولات لتصنيف هذه التجمعات معتمدة على مؤشرات محددة مثل الحجم (Taille) ، الوظائف (Fonctions) بحيث نجد إلى جانب مصطلح القرية مصطلحات أخرى مثل الدشرة (Hameau) القرية الكبيرة (Bourg) والمدينة الصغيرة واستخلص أن التصنيفات التي تعتمد على المؤشرات العددية و الوظيفية هي الأقل إجماعا بين الباحثين .[1]

1-2-3 المفهوم السوسيولوجي للقرية: حسب عالمي الاجتماع هنري دسروش (Henri Desroch) و رامبود بلاسيد (Rambaud Placide) القرية تشكل وحدة إجتماعية خاصة ومصدر خصوصيتها هو كون هذه الوحدة تربطها علاقات خاصة بالمجال الذي تشغله وتستغله. هذه الخصوصية تكمن في هوية الوحدة المجالية والوحدة الاجتماعية معا. فالعلاقة بينهما ينتج عنها نوع من التضامن بين أفراد المجتمع القروي ذاته وبينه والمجتمعات القروية المجاورة له.

من جهة أخرى يريان في المجال القروي إطاراً جغرافياً يبني فيه المجتمع نسقه الاقتصادي وينظم فيه مختلف جوانب حياته بالإضافة إلى كونه عنصراً مكون للنسق الاجتماعي والقرية معا وأي تحول يحدث فيه يؤدي إلى تغير في البنية القروية ككل. وعلى خطى الجغرافيين حاول علماء الاجتماع تحديد خصائص موضوعية تميز القرية عن غيرها من التوطنات البشرية. ففي المؤتمر السوسيولوجي العالمي XIV المـــــخصص لتـــــعريف القرية والمدينـــة خَـــــلُصَ ن. أقنسكي (N. AGANSKY) إلى أن « ***القرية تختلف عن المدينة أولا لكونها لا تشكل مركزا اقتصاديًا أو ثقافياً لمنطقة جغرافية ما وأن كل قرية في منطقة ريفية معينة تشكل جزء من كل***»، ثانيا «**كون النمط المعيشي القروي السائد هو إنتاج المحاصيل الزراعية على وجه الخصوص**»

هاتان الميزتان غير كافيتين حسب هنري دسروش (Henri DESROCH) و رامبود بلاسيد (Rambaud PLACIDE) ولا تشكلان الخصائص الأساسية للقرية غير أنهما يضعان الباحث في الوجهة الصحيحة للاستخلاص وترتيب المميزات الأخرى التالية:

1- محدودية المجال القروي وانغلاقه؛

2- نسق الاقتصادي مبني على نشاط أحادي (Activité monovalente)؛

3- قوة وتبات العلاقة بين المجتمع والمجال؛

4- محدودية العلاقات الممكنة بين المجتمع والمجال؛

[1] - SERGE, Courville. *Entre villes et compagne, l'essor du village dans les seigneuries du Bas Canada*, Québec : Les presses de l'université de Laval, 1990. p. 05

5- السلطة التي تفرضها القرية على سلوك الأفراد (Le pouvoir d'investissement du village)؛

6- تميز كل قرية عن غيرها (La singularité créatrice du village).[1]

مما سبق نستخلص أن مفهوم القرية ليس موحداً بين مختلف التخصصات وهذا ما يفرض علينا اختيار المعاني التي سنوظفها خلال الأقسام اللاحقة من هذه الدراسة.

وعليه فإن تعلق الأمر بالبعد الشكلي : المعماري و العمراني فإننا سنوظف المفهوم الذي مضمونه: القرية نمط من أنماط التوطن البشري يتشكل في تجمع كثيف نسبيا لمبانٍ سكنية تختلف من الناحية المرفولوجيا والوصفية عن الأنماط السكنية المبعثرة (Dispersé)، أما إذا تعلق الأمر بدراسة التغير الاجتماعي والاقتصادي للقرى فإننا سنعمل بالمفهوم الذي يعتبر القرية كل متكامل يتشكل من مجموعة أفراد تربطهم علاقة وثيقة بالمجال الذي يشغلونه ويستغلونه.

المطلب الثاني: مفهوم الجـــبل:

2-1 المفهوم اللغـــــــوي: مرتفع من الأرض متميز عن المناطق المحيطة به بشكل واضح (كبير). يختلف عن النجد (Plateau) بكونه ذا قمة أو قمم ذات مساحة محدودة ويختلف عن الهضبة بكونه أكثر ارتفاعا ويتميز بقمة ارتفاع عن سطح البحر[2].

و في القاموس المحيط للفيروزآبادي نجد «**الجبل كل وتد للأرض عظم و طال فإن انفرد فأكمة أو قُنَّة، جمعه أَجْبُلْ و جبال و أَجْبَالْ**»[3]

2-2 المفهوم الاصطلاحـــي: يختلف هذا المفهوم باختلاف التخصصات والأبحاث العلمية وعلى العموم فهو يتميز بخمس خصائص أساسية هي : الارتفاع – المناخ – التضاريس – الغطاء النباتي والتدرج (L'étagement)[4].

2-3 تأثير المجال الجبلي على نشاطات الإنسان: إن تاريخ المناطق الجبلية عبر العالم يظم زخمًا كبيرًا من الأحداث والتطورات المتناقضة، ففي العصور القديمة والوسطى كان المجال الجبلي رمزاً للرعب حيث يمثل حاجزًا طبيعيًا و وكراً لكل أنواع المتاعب. استمرت هذه النظرة السلبية حتى مشارف العصر الحديث

---

[1]-المعلومات المتضمنة في الصفحة رقم 16 إلى هذا العنصر استقيت أساسًا من المصدر التالي:

(DESROCHE, Henri & RAMBAUD, Placide. *Village en développement contribution à une sociologie rurale*, Paris : édition, Mouton et Colahae. P.15)

[2]- *Montagne*, [En ligne]. ‹http://www.paris .iufm.fr / trice/montagne/ def.htm› (Page consulté le 19/04/2007).

[3]- **الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب** (المتوفي سنة 817 هـــ) ، *القاموس المحيط*، القاهرة : دار الكتاب الحديث، 2004. ص. 1329-1330.

[4]-ALIFRIQUI, M. *Montagne*, [En ligne]. ‹http://www.notreplanete.info/geographie/montgne1.php›. (Page consulté le 12/01/2005).

أين أخد العديد من العلماء والباحثين على عاتقهم مهمة استكشافه والبحث في كيفيات استغلاله وتهيئته والمحافظة عليه كمصدر للثروة وفضاء للتوطن والسياحة، وما يشد اهتمامنا أكثر في هذا الصدد هي الأبحاث التي تخص مظاهر التوطن البشري و تكيفه مع العوامل المميزة للمجال الجبلي.[1]

إن الشيء الأكيد هو أن كل النشاطات البشرية من فلاحة، عمران، مواصلات وصناعة...الخ، تتأثر بالظروف الجبلية وعلى الخصوص والانحدار وصعوبة التضاريس، حيث تستوجب على الإنسان استنفاذ قسط كبير من الطاقة كما أنها تشكل فواصل وعوائق بين المساحات الزراعية المستغلة مما يصعب من مهمة التنقل إليها بالإضافة إلى ذلك فإن الظروف المناخية القاسية التي تميز عادة المرتفعات تحد من نشاط الإنسان وتجعله رهينة الأحوال الجوية والتساقطات المختلفة[2].

وكمظهر من مظاهر التأقلم مع الظروف الجبلية كان القرويين إلى وقت ليس ببعيد وفي العديد من المناطق الجبلية عبر العالم يعيشون كأشباه رحل ينتقلون بين مختلف المستويات الجبلية حيث يمتلكون عدة مساكن تمكنهم من الاستقرار لمدة معينة فيها، وهذا للتقليل من تأثير عوامل المناخ (الثلوج– الجليد....وغيرها) على نشاطاتهم المختلفة[3].

في منتصف القرن التاسع عشر لم يعد هذا النظام الدوري يجدي نفعا وذلك لكون المناطق الجبلية وخاصة الواقعة في النطاقات الجغرافية المعتدلة أصبحت على اتصال مباشر مع العالم الحديث بواسطة السكك الحديدية حيث اختفت التنقلات الدورية الفصلية بين مختلف المستويات الجبلية بسبب تعويض اليد العاملة بالآلات الفلاحية في المناطق المنخفضة وهذا نتج عنه اكتظاظ لم يسبق له مثيل بالمناطق العليا المأهولة. ولكون هذه الأخيرة ذات مردودية زراعية ضعيفة لا تتناسب مع الكثافة السكانية التي تتحملها ظهرت ظاهرة الهجرة الدائمة إلى المناطق الحضرية للعمل بقطاعات اقتصادية أخرى غير فلاحية[4].

المطلب الثالث: مفهوم التحولات المجالية و المنهجية العامة لدراستها:

[1] – COTE, M. *Montagne du Maghreb : Un cas de déterminisme géographique*, [En ligne]. ‹http:www.cafe-géo/cafe2/article.php3?_article=126›. (Page consulté le 18/04/2007).
- BOUKERZAZA,H. Crise, Adaptation et mutation dans l'espace rural montagnard Algérien, in : Colloque international. *Dynamique rurale/ environnement et stratégie spatiale*, Montpellier, 13-14 septembre.2001.
- BELHOCINE, N. MESSACI, *Une lecture spatiale du phénomène migratoire. Cas des Athwoghlis en* Algérie.[En ligne].‹ http://www.cadesria.org/:Links/ Home(…)migration-nadia.htm›. (Page consulté le 15/05/2005).
- BRUN, Jean-Jacques. *La montagne, laboratoire pour la science? ou laboratoire pour la société?, revue de géographie alpine* [En ligne]. (2001 N° 2). ‹http://www.up.univmrs.fr/wiupenv/labo/d-lpe/publications/pdfcopn/ pdf› (page consulté le 18/04/ 2007).

[2]-Montagne, in : *Le grand dictionnaire encyclopédique, Larousse*, Tome15, 1984. Paris. pp. 7064-7066.
[3]- Idem.
[4] - Montagne, in : *Le grand dictionnaire encyclopédique, Larousse*, Tome15, 1984. Paris. pp. 7064-7066.

3-1 المفاهيم الاصطلاحية للتحـــــــــــولات

3-1-1 المفهوم العـــام للتحـــــــــــولات: حسب القاموس الفلسفي لجميل صليبا «***التحول هو تغير يلحق الأشخاص أو الأشياء وهو قسمان تحول في الجوهر وتحول في الأعراض فالتحول في الجوهر [هو]حدوث صور جوهرية جديدة تعقب الصور الجوهرية القديمة، كانقلاب الحي بعد الموت جثة هامدة وتبدل الماء بالتحلل إلى جوهري الأكسجين والهيدروجين، و التحول[في الإعراض يكون] في الكم (كزيادة أبعاد الجسم النامي) أو في الكيف (كتسخين الماء) أو في الفعل (كانتقال شخص من موضع إلى آخر)***»[1].

3-1-2 مفهوم التحولات في علم الحياة: «***التحول هو تغير مفاجئ يظهر في بعض أفراد النوع وهو وراثي لاشتماله على تغّير في بذور الجسم لا في هيكله فقط***»[2].

3-1-3 مفهوم التحولات في علم النفس: «***...هو التغير الذي يؤدي إلى نشؤ عمليات فكرية [جديدة]*** »[3]

3-2 مفهوم التحـــــــــــولات المجالـــية: التحولات التي سنتطرق إليها في بحثنا هي تحولات المجال القروي بصفة خاصة والريفي بصفة أعم من الحالة التقليدية إلى الحالة الحالية بفعل تأثير عوامل العصرنة التي تمخضت عن الاستعمار الحديث الفرنسي للجزائر. ثم ما أفرزه الاستعمار من تبعية وبعده السياسات التنموية لجزائر ما بعد الاستقلال، هذه التحولات تتجلى في تغير علاقات المجتمع التقليدية بالوسط الذي يعيش فيه وتشمل طرق التوطن و الاستيطان، الاستغلال والتملك والتصورات الجماعية للمجال وما إلى ذلك. في هذا الدراسة سنركز على الجانب المعماري والعمراني .

3-3 المنهجية العامة لدراسة التحولات المجالية: إن التحولات القروية في الجزائر بصفة عامة وفي منطقة القبائل بصفة خاصة، لها خصائص تتميز بها عن غيرها و لغرض فهم هذه المميزات ومصدرها لا بد من منهجية نعتمدها في تحليلها، ومن الأبحاث (الأعمال) التي يمكن أن تساعدنا في هذا الصدد نجد نظرية المجال (المكان) "Theory of PLACE" **لستيوارت جيمس** (Stewort James)، مفادها انه ***من أجل فهم أعمق للمكان (PLACE) لابد من اعتباره نسق يتشكل من ثلاث انساق ثانوية أو فرعية (sous systèmes) هي: الوسط الاقتصادي، الوسط الاجتماعي والوسط الفيزيائي. تحتوي هذه***

[1]– **جميل صليبا**، *المعجم الفلسفي*، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1994م.

[2]- نفس المصدر.

[3]- نفس المصدر.

الأخيرة على مختلف النشاطات الإنسانية التي في تداخلها وتمازجها فيما بينهاتنتج هوية مميزة. انظر الشكل رقم: 06.

النسق الفيزيائي : يتلخص في الطوبوغرافيا الطبيعية الناتجة عن القوى الطبيعية المختلفة و النشاطات البشرية + القوى المبتكرة من طرف الإنسان + العناصر المتحركة (المعلومات + المواد...الخ.)

النسق الاجتماعي : يضم الأفراد + السلوكيات الفردية+ التفاعلات و العلاقات الاجتماعية المختلفة + الأعراف و العادات و القوانين بالإضافة إلى الخصائص و المميزات البيولوجية للجنس البشري.

النسق الاقتصادي : يضم مصادر الطاقة و الثروة+ إمكانيات استغلالها و الوصول إليها+ الإمكانيات التكنولوجية و التنظيمية لاستغلالها + نظام السوق و إدارة الأعمال + توفر الفرص .

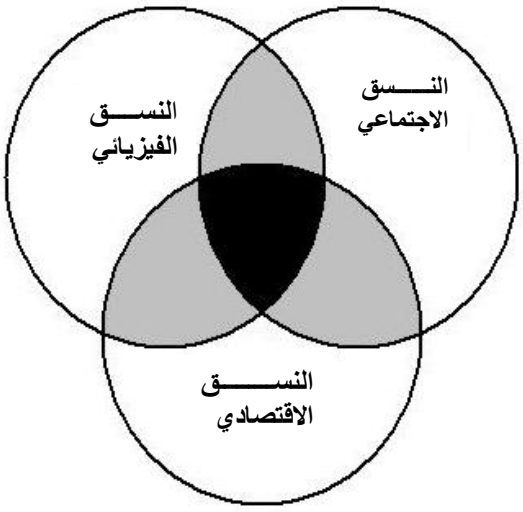

المكان (PLACE): بمنظور ستيوارت جيمس نسق مركب و معقد ذو بعد مجالي و زماني حيث نتصوره كفضاء و هوية و هدف عبر أحاسيسنا و من خلال نشاطاتنا فيه و أي تغير يطرأ على أحد مكوناته يؤثر على باقي العناصر المكونة للنسق و بالتالي على النسق ككل.

شكل رقم 06: يوضح نظرية جيمس ستيوارت لتكوين المكـــــــان (Theory of place) [1]

وعليه فإن القرى التقليدية تعبير ملموس لنتيجة التفاعل بين العناصر الثلاث المذكورة وذلك عبر حقب طويلة من الزمن.

[1] –STEWART, Jams H. The future of planning theory – Whither urban design? *Planning outlook*, 1982,Vol 24, P. 79 - 80. In : MAHDJOUBI, Lamine. *For an improved rural housing to limit distress migration*, dissertation submitted for the degree of M. Phil in urban planning design. Newcastle: University of Newcastle Upon Tyne : 1985. P. 17.

من جهة أخرى يرى أموس رابوبور (Amos Rappoport)[1] أن القوى المؤثرة على شكل التوطن البشري يمكن تقسيمها إلى نوعين: مُحَدِّدة (Déterminantes) و مُغَيِّرة (Modifiantes):

- العناصر الأولية المحددة و هي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.
- العناصر الثانوية المغيرة: الظروف الطبيعية (المناخ، التضاريس،...).

في المراحل اللاحقة من البحث سنتعرض للمجال القروي على أساس كونه نسقاً مركباً من أنساق ثانوية تحكمها علاقات متغيرة بفعل عوامل خارجية و داخلية. يشكل فيها الزمن أحد أهم المتغيرات. إذ لا يمكن تصور أي تغير في مجال ما دون ربطه بعامل الوقت.

خلاصة القـــــــسم:

كان الهدف من هذا القسم الإلمام بالعناصر الأساسية لفهم موضوع الدراسة من مصطلحات و منهجية، ولعل لمفهـــــوم القرية في تصور القرويـــــين – الذي لم نتطرق إليه خلال هذا الفصل – و تمثلاتها في أذهانهم الأثر الكبير في تحديد طبيعة علاقاتهم بمختلف مكوناتها المجالية في حياتهم اليومية وقد يساعد البحث في مثل هذه التمثلات (Représentations) على فهم جوانب من ميكانيزمات التحول المجالي بل ابعد من ذلك: التنبؤ بما يمكن أن تؤول إليه الأوضاع المجالية مستقبلا.

من الناحية النظرية يعتبر تعدد منهجيات الاقتراب من الإشكال عاملاً هاماً لفهم جوانبه المختلفة لكن اختيار المنهجية الأكثر ملائمة لبلوغ أهداف البحث قد يساعد في اقتصاد الوقت والجهد الأمر الذي سعينا إليه من خلال التعرض **لنظرية المكان (Theory of place)**

[1] – RAPOPORT, Amos. *House Form and culture, Englewood cliffs*, New Jersey: Prentice Hall, 1969. P. 18-19

القـــــــسم الــثاني

المجال القـــروي التقليدي الجـــزائري

و إشكـــالية التحـــــول

مـــــقدمة القـــسم الثـــاني:

العالم يشهد ثورة حضرية[1] بلدان متقدمة وأخرى في طريق النمو تعيش على وقع تضاعف أعداد سكان المدن مقابل انحصار نسب سكان الريف؛ الثورة الصناعية أحد أهم عوامل التحضـــر في الـــدول الغربية مكنت هذه الأخيرة من التحكم بأشكال متباينة في هذه الظاهرة بما وفرته من فرص للعمل وتهيئة عمرانية ضمنت إلى حد ما الاستقرار السليم للنازحين الجدد من الريف بينما أفضى تزايد سكان المدن في الدول النامية إلى تعقيد حالتها بمشاكل لا تزال تتخبط فيها رغم جهود التهيئة التي مافتئت تتلاشـــى أمام الكم الهائل للسكان الوافدين إليها[2].

الجزائر أحد الدول النامية، مدنها عينة حية تتجلى فيها المشاكل العمرانية كأحياء الصفيح، تـــدني مستوى التجهيز والمرافق والخدمات الحضرية، التوسع العشوائي للأحياء الضاحوية، غزو السمات الريفية والبطالة...الخ ولعل أهم تساؤل يمكن البدء به لمعالجة هذه المشاكل من جذورها هو كيف نحـــد مـــن ظاهرة الهجرة المستمرة إلى المدن وما هي أفضل الوسائل لذلك ؟.

قبل الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م معظم السكان كانوا يقطنون في الريف، 5 % منـــهم فقـــط يقطنون المدن؛ وحسب بورديو . ب (Bourdieu. P) هذه النسبة تتشكل من النازحين من الأنـــدلس، الأتراك وبعض الأغنياء من السكان المحليين (العرب والبربر)[3].

التوغل الاستعماري صحبه تحول في النمط الاقتصادي ،اعتمد على العمل بالأجرة، و استحداث مصانع ومناجم ومعامل لاستغلال الثروات المحلية ، تبعها ظهور مدن وتجمعات عمرانية جديدة وتوســـع المدن القديمة، استقطبت هذه الأخيرة معمرين أوربيين وكذلك الجزائريين لما وفرته من فـــرص للعمـــل ،بالمقابل كان الريف مسرحا لثورات شعبية متعاقبة أفرزت حالة من عدم الاستقرار صحبتها مصـــادرة أخصب أراضي البايلك و الأهالي لصالح المعمرين وكان ذلك بإصدار قوانين خاصة سنة 1844، ســـنة 1845 و إقرار حق الملكية الفردية بهدف إلغاء حق الملكية الجماعية (عرش) بإصدار قـــانون ســـينتوس كونسيلت (Senatus Consulte) سنة 1863 وقانون وارني (Warnier) ســـنة 1873 [4]. النتيجـــة،

[1] -THIERRY, Paquot, *Le monde des villes, panorama urbain de la planète*, Bruxelles : édition Complexe, 1996. P 14-15.

[2] - MAHDJOUBI, Lamine. For an improved rural housing to limit distress migration. dissertation submitted for the degree of M. Phil in urban planning design. Newcastle: University of Newcastle Upon Tyne : 1985. P-P. 6-9.

[3]- BOURDIEU, Pierre *Sociologue de l'Algérie*, P.U.F, Paris 1961. p. 63 , In : MAHDJOUBI, Lamine, op. cit., PP 3-4

[4] - SAIDOUNI. Maouia, *Eléments d'introduction à l'urbanisme*, Alger, : Ed CASBAH , 2000, P.174 .

سكان الريف أصبحوا أمام خيار البقاء مع المعانات والحرمان أو الهجرة من أجل العمل و الاســـتقرار في المدن[1].

و تأتي الثورة التحريرية لتسرع من وتيرة الهجرة نحو المدن لما شهده الريف من ظروف اللا أمـــن كونه معقلاً للثوار ومسرحًا للعمليات العسكرية فسياسة الأرض المحروقة أفرزت تدمير مئـــات القـــرى والمداشر.المجال القروي شهد تحولات عميقة وجذرية. المحتشدات أقيمت بغرض عزل السكان عن الثوار و مراكز المراقبة والمعسكرات جعلت من التروح خيارا لا مناص منه.

وفي سياق عزل الثورة أقرت سلطات الاحتلال مشروع مخطط قسنطينة الذي تضـــمن إنشـــاء 1000 قرية أو بالأحرى 1000 مركز لتجميع السكان (Centres de regroupement). ورغم عـــدم استكماله كانت بصماته بالغة على كل مستويات المجال القروي.

و يأتي الاستقلال ليفسح المجال لتدفقٍ أقوى لسكان الريف نحو المدن التي شهدت فراغـــا بعـــد هجرانها من طرف المعمرين. الاستقلال فسح المجال كذلك لخوض تجارب تنموية ومحـــاولات لإعـــادة الاعتبار للمجال الريفي. بما لها وعليها سنحاول التطرق إليها في هذا القسم مبرزين أثرها خصوصا على المستوى العمراني والمعماري،قبل ذلك سنتطرق إلى خصائص المجال القروي التقليدي بأبعـــاده المختلفـــة الثقافية الاجتماعية الاقتصادية والطبيعية، ثم سنحاول الإلمام بأهم العوامل والعناصر التي تمخضت عنـــها الحالة الحالية للريف الجزائري. و سنختم هذا القسم بالتطرق إلى خصوصيات المجال القروي القبائـــل و مظاهر التحول المجالي التي مسته و ذلك تمهيداً لدراستها بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من خـــلال حالة منطقة بني ورثيلان.

[1] - **السويدي، محمد.** *دراسة المجتمع الجزائري : تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر*. الجزائر: د.م.ج، 1990م. ص74.

الفصل الأول القسم الثاني: المجال القروي الجزائري التقليدي و إشكالية التحول

المطلب الأول: المجال القروي التقليدي الجزائري ، عوامل متعددة لتمايز كبير.

المطلب الثاني: المجال القروي الجزائري بين الثبات و التحـــــــــــــــول.

المطلب الأول: المجال القروي التقليدي الجزائري، عوامل متعددة لتمايز كبير.

تمهـــــيد المطلب

1-1 العوامل الثقافية و الاجتماعية للتمايز في المجال القروي التقليدي الجزائري .

1-1-1 التنوع الثقافي الاجتماعي لسكان الريف الجزائري.

1-1-2 المجال القروي التقليدي كإسقاط على الأرض للنسق الإجتماعي .

1-1-2-1 العائلة الكبيرة وبنية المسكن الريفي.

1-1-2-2 الفرقة (ثادرث) و التنظيم المجالي للقرية .

1-1-2-3 القبيلة و التوطن البشري في الريف الجزائري .

1-1-3 علاقة البنية الإجتماعية بالهيكلة المجالية للقرية التقليدية.

1-2 العوامل الاقتصادية و التوطن الريفي التقليدي.

1-2-1 تأثير العوامل الطبيعية على النشاط الإقتصادي في الريف الجزائري .

1-2-2 تأثير العوامل الإقتصادية على بنية المجال القروي

1-2-3 علاقة الأرض بالإقتصاد ، المجتمع و التوطن الريفي .

1-3 العوامل الطبيعية و أثرها على المجال القروي التقليدي الجزائري.

1-3-1 عوامل إختيار أماكن توضع القرى التقليدية.

1-3-2 أثر المناخ في تصميم المساكن الريفية التقليدية.

1-3-3 مواد البناء و طرق إستعمالها في إنجاز السكن الريفي التقليدي.

خلاصة المطلب

المطلب الأول: المجال القروي التقليدي الجزائري، عوامل متعددة لتمايز كبير

تمهيـــــــــد: المجال القروي التقليدي الجزائري يتميز بالتعدد و عدم التجانس من منطقة إلى أخـــرى ولعل أهم العوامل الـــــتي يمكن بها تفسير هذا التمايز هـــــي التنوع الثقافي الاجتماعي والتبـــاين في الخصـــــائص الطبيعية لأوساط التوطن البشري.مارك كوت أشار إلى هذا التمـــايز وأرجـــع غيـــاب التجانس في أنماط التوطن إلى غياب القوة المنظمة الكافية لذلك كحالة النظام الفرعوني والنظام التقليدي الصيني[1]. فيما يلي سنعرج على دور العوامل المختلفة في هذا التمايز.

1-1العوامل الثقافية والاجتماعية للتمايز في المجال القروي الجزائري:

1-1-1 التنوع الثقافي الاجتماعي لسكان الريف الجزائري:

البربر هم أول السكان الذين استوطنوا ببلاد المغرب ككل وبقدوم الفينيقيين حدث تبادل بينهم وبعض القبائل البربرية وكذلك الامر مع الحضارات المتعاقبة: الرومان الذين استوطنوا شمال شرق إفريقيا من 42 م إلى غاية 430 بعد الميلاد، الوندال الذين ما مكثوا إلاّ فترة قصيرة ليحل محلّهم البزنطيـــون، وبعدهم الفتح الإسلامي سنة 670 بعد الميلاد ثم يأتي دور الأتراك ابتداء من القرن الســـادس عشـــر 1514 م إلى غاية سنة 1830 م تاريخ بداية الغزو الفرنسي[2].

لاشك أن كل الحضارات المتعاقبة تركت أثاراً و بصمات في المجال والمجتمع تتجلى على شـــكل شواهد مادية وأنماط سلوكية ساهمت في إعطاء المجال المعيشي هيئته وتركيبته.وتتفرد الحضـــارة العربيـــة الاسلامية بتاثيرها الاكثر استمرارا وتجذرا وانتشارا. ولكن هذا لايعني ضمور الخصوصـــيات الثقافيـــة المحلية حيث بقيت العديد من المناطق التي لم يستوطن فيها الغزاة و/ أو الفاتحون بعامل عزلتـــها النســـبية وصعوبة الوصول إليها محافظة على جزء من مزاياها ومثال ذلك منطقة القبائل، والأوراس (الشـــاوية)، منطقة واد ميزاب، منطقة الهوقار و التوات وغيرها؛ إذن صك القيم والنظم الاجتماعية المحلية تمخـــض عن الثقافة المحلية إلى جانب موروث الحضارات المتعاقبة و تأثير الديانة الإسلامية على الخصوص.

[1]- COTE, Marc. *Pays, paysages, paysans, d'Algérie*, Paris: Ed C.N.R.S, 1996. p. 135.

[2]- SERVIER, Jean. *Les Berbère*, 2ème édition, Alger: Ed DAHLAB, 1990. pp. 41-65.

1-1-2 المجال القروي التقليدي كإسقاط على الأرض للنسق الاجتماعي:

البنية التقليدية للمجتمع الريفي الجزائري تنتظم أساسا على النمط القبلي و العشـــائري الـــذي يتشكل من وحدات إجتماعية فرعية جد مترابطة ومتداخلة ومع ذلك فإن الاختلافات قائمـــة وبـــارزة أحيانا في كثير من جوانب الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بين القبائل الشكل رقم (07) يوضح النموذج العام[1] لهذه البنية التي لاتزال قائمة إلى حد ما.

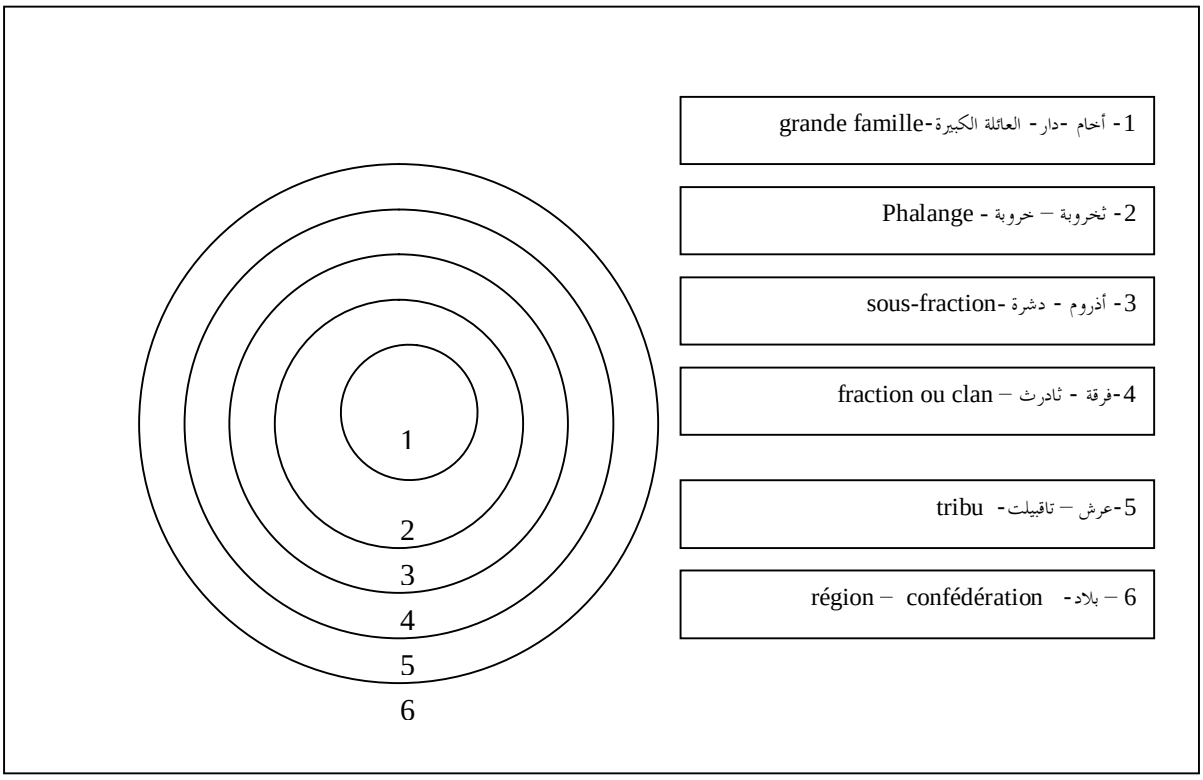

شكل رقم 07: النموذج العام للبنية الاجتماعية الجزائرية التقليدية

Source : BOUTEFNOUCHET, Mostefa. *La famille algérienne évolutions et caractéristiques récentes*, Alger: SNED, 1980. P.44

الوحدات الفرعية المشكلة للمجتمع بمختلف مستوياتها تتجسد في البعد المجالي كما يلي:

1-العائلة الموسعة تضم مجموعة من العائلات النووية و/أو أفراد عُزَّب تشغل "دار- أخام-حارة" تتكون من مجموعة من الغرف"ثيخامين" و بعض المرافق المشتركة مثل "السقيفة- أسقيف"، الساحة "أفراق"، المطبخ ...الخ.

[1] - BOUTEFNOUCHET, Mostefa. *La famille algérienne évolutions et caractéristiques récentes*, Alger : SNED, 1980. P.44

2-مجموعة العائلات الموسعة المتقاربة تشغل حي من قرية أو "ثاخربث"[1]

3-مجموعة من الأحياء التي تضم عائلات متقاربة "ثخروبين"تشكل" أذروم" وهو جزء من قرية.

4-القرية تضم "فرقة" أو مجموعة من ثخروبين المتقاربة والتي تعود إلى جد واحد.

5-العرش أو القبيلة عادة ماتضم عدة قرى تشترك أو تتربع على مجال جغرافي محدود.

6- مجموعة من العروش أو القبائل تشغل منطقة (إقليم).

العائلة الموسعة هي الوحدة الاساسية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع القبلي تتميز بملكية خاصـــة بهـــا (أرض، وسائل عمل والمترل) متوارثة من جيل لآخر، مجاليا نجد لها تجسيداً على مستوى مساحة الارض التي تستغلها والمترل الذي تشغله.

1-1-2-1 العائلة الموسعة وبنية المسكن الريفي:

المسكن الريفي عادة ما يضم عائلة موسعة واحدة، هذه الأخـــيرة تتميـــز بطابعهـــا الابـــوي (Patriarcal)[2] فهي تضم أبناء والد أوجدٍ واحدٍ، المتزوجون وغير المتزوجون وكـــذلك بناتـــه غـــير المتزوجات، السلطة الابوية تشمل كل مُنتمي إلى العائلة وتُخضِعُه للالتزام بواجبات معينة. وتتركز هذه السلطة في يد الوالد أو الأخ الأكبر.

العائلة الموسعة تشغل مسكن واسع "دار-حارة- أَخَّام" يضم مجموعة من المســـاكن [3] المســـتقلة نسبياً، تقطنها العائلات النووية المكونة للعائلة الموسعة.عادة ما تضم" الدار-الحارة- أخام" ساحة أو عدة ساحات تنفتح عليها وتنتظم حولها الغرف"ثيخامين" المكونة لها، "للحارة-الدار- أخام "مدخل رئيســـي واحد ومدخل ثانوي. انظر الشكل رقم (08) ورقم(09) لوحة رقم (06).

ولعل " الدار- الحارة - أخام " بشكلها المركب تشكلت انطلاقا من بيت الأب أو الجد الـــذي يتوسع بزواج الابناء والأحفاد...وقد يبلغ عدد أفراد "الحارة- الدار- أخام " الواحـــدة العشـــرين إلى ستين شخصا[4]. انظر الشكل رقم(10)لوحة رقم (07).

[1] -أخام – ثاخروبث- ثادرث- ثاقبيلث ....مصطلحات تعني محليا المحتوى الاجتماعي كما يعني الحيز المجالي الذي يشغله.

[2] -BOUTEFNOUCHET, Mostefa. op. cit., P..53

[3] - محلياً يصطلح عليها بـــ: " أخام أو ثغرفت" في منطقة القبائل.

[4]- BOUTEFNOUCHET, Mostefa. op. cit., P.38.

لوحـــــة رقم (06)

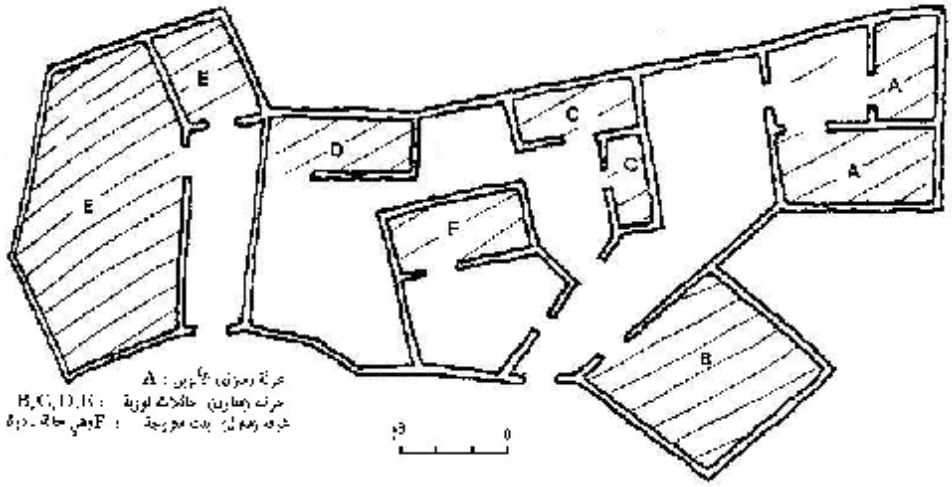

شكل رقم (08) : مخطط لــ"دار" بمنطقة ريفية عربية

source : MAHDJOUBI, Lamine. op.cit., P25.

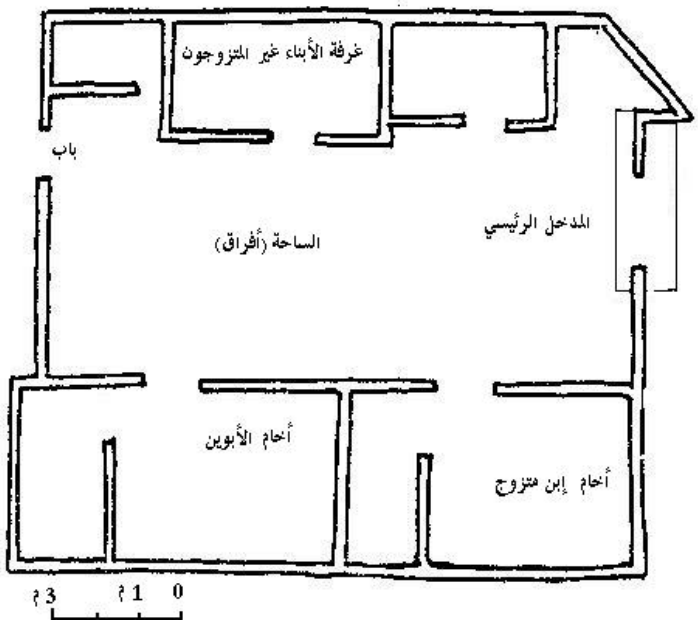

شكل رقم (09): مخطط لــ" أخام- حارة " بيت العائلة الكبيرة بمنطقة القبائل

Source: MAUNIER, Rene. *La construction collective de la maison en Kabylie*, Paris: Institut d'ethnologie, 1926..P 23. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit ., P.25

العلاقة بين العائلة الموسعة والفضاء الذي تشغله من القرية جد وثيقة إلى درجة أن نفس الكلمة يقصد بها البعدين المجالي والاجتماعي(الدار) أو (أخام).

لوحة رقم (07)

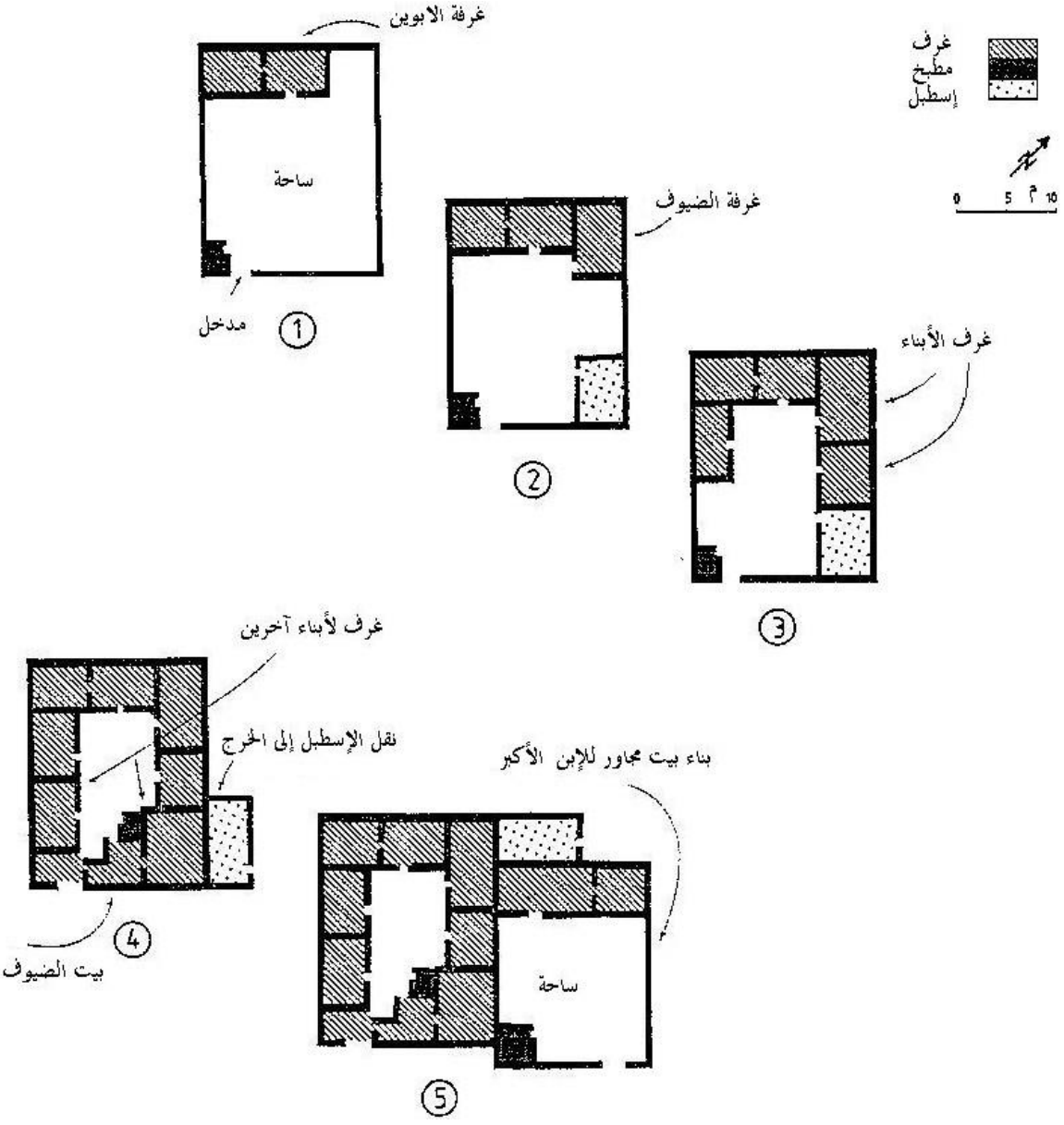

الشكل رقم 10: يُبين تطور المسكن الريفي الجزائري انطلاقا من مسكن الأبوين، حسب مارك كوت(COTE, M) هذا النمط من التوسع هو الغالب في الريف الجزائري إلى وقت ليس ببعيد.

Source : COTE, Marc. Op. cit., P.27.

1-1-2-2 الفرقة (ثادرث) و التنظيم المجالي للقرية:

مع مرور الزمن تتفرع العائلة الموسعة إلى عدة عائلات موسعة ومع تواصـــل توســـعها تعطـــي وحدات اجتماعية أكبر حجما وأكثر تعقيدًا تشغل وتستغل مجالا معيشيا أوسع إلى أن تعطي "فرقـــة - ثادرث" بكيان مستقل ومجال محدد(قرية) بما يضمه من معالم ومرافق (مســـاكن، طـــرق ومســـالك، مسجد،عين، أراض خاصة برعي المواشي...الخ).

تمثل "الفرقة - ثادرث" وحدة اجتماعية اقتصادية وسياسية بالإضافة إلى كونها وحـــدة مجاليـــة (قرية)، عادة ما تضم أبناء عائلة واحدة تعود جذورها إلى خمسة أو ستة أجيال سابقة وكثيراً ما يحمـــل أفراد "الفرقة- ثادرث" الواحدة نفس اللقب (اسم العائلة) وهو اسم جدهم الأول الذي ينتسبون إليه[1].

القرى العربية في الغالب تضم فرقة واحدة بينما تضم القرية البربرية القبائلية على وجه الخصوص فرقتين أو ثلاث[2]، هذه الأخيرة رغم تقاربها مجاليا تتميز بالاستقلالية النسبية فقرابة الدم أكبر عامل تحـــافظ بـــه العشيرة أو الفرقة على تماسكها وكيانها المميز،هذه القرابة كذلك تجعلها تتوحد مع فرق تقطـــن قـــرى مجاورة لتشكل مجتمعة القبيلة. انظر إلى الشكل رقم (11) لوحة رقم (8).

1-1-2-3 القبيلة و التوطن البشري في الريف الجزائري:

كما أشرنا القبيلة تنتج عن مجموعة من الفرق (العشائر) التي تربطها علاقة دم أو أصـــل واحـــد وعلاقة مجالية كونها تتوطن في قرى متقاربة نسبيا وعادة ما يشتق اسم القبيلة من اسم الجد الذي تنتسب إليه [3] أفرادها ومما يزيد من ترابط أفراد القبيلة الواحدة نذكر ما يلي:

- تفضيل الزواج بين أفراد القبيلة الواحدة.
- تقاسم وسائل العمل واعتماد نظم زراعية وري مشتركة في بعض المناطق.
- تقاسم بعض المرافق الاجتماعية مثل المساجد،الزوايا، المقابر، الأسواق...الخ.

---

[1] -MAHDJOUBI, Lamine. op. cit ., P.26.

[2]- BOURDIEU, Pierre. *The Algerians*, Boston : Beacon Press, 1962. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.29 .

[3] -الواقع أن كثيرا من القبائل لم تعد تحتفظ بعرق نقي فهي عادة ماتظم عناصراجتاعية دخيلة بحكم التبادل والعلاقات المختلفة. عن محجـــــوبي لمـــــين المصدر السابق، ص . 29 .

لوحة رقم :08

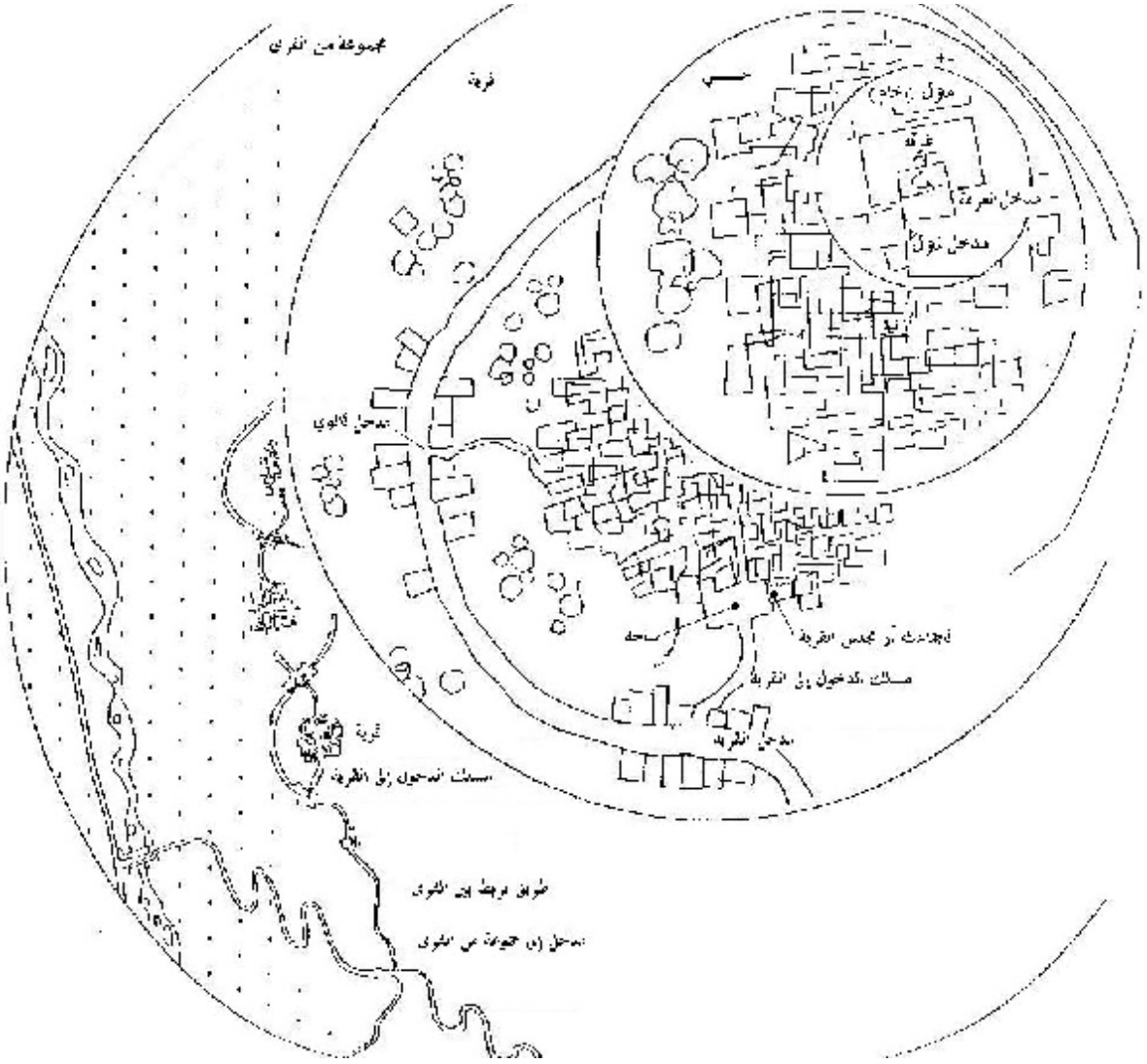

الشكل رقم 11: رسم توضيحي لهيكلة التوطن الريفي في منطقة القبائل حيث المجال مهيكل حسب ما تمليه البنية الاجتماعية.

Source : C.N.R.I.B – P.G.H.S, *Construire un autre village*, Kuleuven, Ed . P.G.H.S, 1986.P 16.

1-1-3 علاقة البنية الاجتماعية بالهيكلة المجالية في القرية التقليدية الجزائرية:

عبر العالم يوجد اختلاف كبير في علاقة البنية الاجتماعية وهيكلة المجال الذي تشـــغله، ريفيـــة كانت أم حضرية دراسة الوظائف والعلاقات الاجتماعية تسمح بفهم أعمق للهيكلة المجالـــية بمختلـــف مستوياتها فطريـــــقة القرويين في استعمال المجال، أبعـــــادها ودلالتها الرمـــزية عـــــناصر هـــــامة في إعطاء المجـــــال شكـــــــله وأبعاده وقيمـــــــته. أموس رابوبور[1] (Rapoport Amos) اقترح تحليل كل وظيفة (Activités) حسب أربعة أبعاد متدرجة:

1- الوظيفة في حد ذاتها.
2- الطريقة المميزة للقيام بها.
3- مركزها ضمن نسق الوظائف الاجتماعية ككل.
4- البعد الرمزي للوظيفة.

من تحليل القرية التقليدية الجزائرية يتبين نوع من الهراركية في بنيتها المجالية حيث، يتمايز استخدام المجال من فضاء عام إلى فضاء أقل عمومية إلى فضاء خاص إلى فضاء أكثر خصوصية كما يتمايز حسب جنس الأفراد الأكثر استعمالا له فالبيت في الغالب هو مجال المرأة الدائم بينما يقضي الرجل أكبر قســـم من الوقت في الحقل عاملا وقد يجتمع مع أمثاله في مجلس القرية (ثاجمعث) من حين لآخر. فإذا تمعّنـــا في بنية الدار أو" الحارة-أخام " نجد التمايز والهيكلة المجاليان يتجسدان ماديا بعناصر معينة تعمل كحـــدود متفق ومتعارف عليها حيث عادة ما نجد السقيفة كمجال فاصل بين داخل المـــنزل وخارجـــه وظيفتـــه التمييز ما بين من يمكنه الدخول إلى الفضاء الخاص بالعائلة ومن لايمكنه ذلك.كذلك للدخول إلى قرية ما لابد من المرور بمرحلة مشابهة حيث عادة ماتتمايز شبكة المسالك القروية إلى خارجية تربط مابين القرى وأخرى داخلية تسمح بربط الاجزاء المكونة لنفس القرية ، يسمح فقط فيها المرور لمن له علاقة بالفرقـــة أو العشيرة التي تقطنها[2] انظر لوحة رقم (08)؛ داخل الحارة أو الدار تلعب الساحة "أفراق"دور الفضاء الأقل خصوصية مقارنة بالغرف المخصصة للعائلات النووية حيث تستعمل للقيام بمعظـــم النشـــاطات اليومية المنزلية(الغسيل، الطبخ، الطرز...)، وإذا اقتضت ظروف الطقس تُعوض بغرفة الأبوين.

[1] -RAPOPORT, Amos. *Human aspects of urban form.* Oxford: Oxford pergamon press , 1980, p.19. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.32.

[2] - MESSACI, Nadia. *L'habitat des Aith Waghlis chaos spatial ou ordre caché ?*. Thèse de magistère en urbanisme, Constantine: Université Mentouri - institut d'architecture et d'urbanisme: 1990. PP. 174-175.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى اختلاف الحدود المجالية للمرأة الريفية القبائلية على وجه التحديـــد مع مثيلتها العربية حيث يسمح للاولى بالخروج للقيام ببعض الاعمال كجلب الماء و الاحتطاب وهذا ما يفسر الطابع المنغلق المتراص للقرية القبائلية و الشاوية بينما لا يسمح للمراة العربية بتجاوز المترل وما حوله[1]. ولعل هذا ما يفسر تباعد المنازل وانفصالها عن بعضها البعض. انظر الأشكال الثلاث لوحة رقم (09).

الإنسان اجتماعي بطبعه في الريف كما في الحضر، فالضرورة تقضي اجتماع البشر لتبـــادل المنـــافع المختلفة فبحكم القواسم المشتركة بين أفراد القرية الواحدة يجتمع الرجال في مكان خـــاص مـــبني أو في الهواء الطلق يعـــرف ب:" ثاجمعـــث- لغرابـــة" لمنـــــــاقشة المســـتجدات وتنظـــيم استـــــغلال الـــــــــموارد (الماء،الأرض...الخ.) و وسائل العمل المشتركة وكذلك الفصل في الخلافات التي قـــد تنشأ بينهم."ثاجماعث" عادة ما تحتل موقعاً استراتيجياً ضمن النسيج العمراني للقرية بحيث يمكـــن مـــن خلالها مراقبة حركة الخروج والدخول من وإلى القرية،وتختلف أشكالها من قرية إلى أخرى ومن منطقـــة إلى أخرى. انظر إلى الأشكال(15)، (16) و (17) لوحة (10).

خارج القرية نجد مستوى آخر من العلاقات بين الأفراد في المجتمعات الريفية التقليدية تتجلى أساســـا في السوق الذي يلعب دورا محوريا في تكوين وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بـــين القـــرويين وعلى صعيد مماثل لعبت الزوايا في بعض المناطق دورا هاما في تقوية العلاقات الاجتماعية بكونها تضمن تكوين أحد العناصر الفاعلة في المجتمع الريفي التقليدي وهو الإمام الذي يضمن بدوره التربيـــة الدينيـــة القاعدية لجُِل النشء من أفراد القرية[2].

[1] -L. MAHDJOUBI , MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P.39.
[2]- KHELIL, M. *L'exil Kabyle*, Paris : Ed L'Harmattan . p72 d'après MESSACI, Nadia. *L'habitat des Aith Waghlis chaos spatial ou ordre caché ?*. Thèse de magistère en urbanisme, Constantine : Université Mentouri - institut d'architecture et d'urbanisme : 1990. P.54.

لوحة رقم : 09

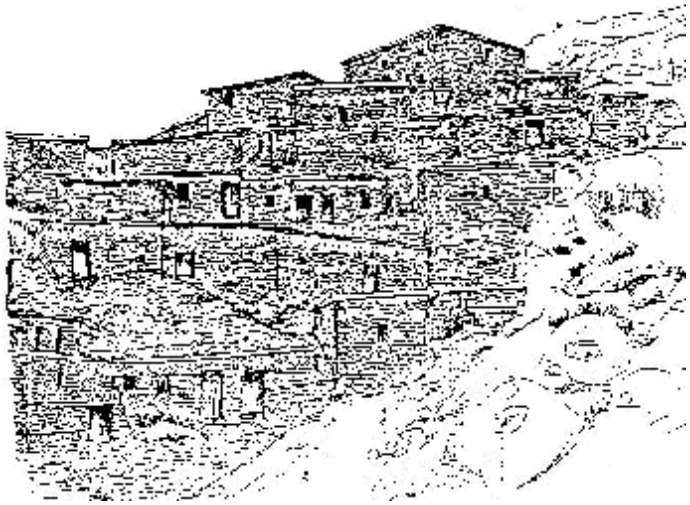

شكل رقم 12: يمثل المظهـــر العام لقرية أرباعية في منطقـــة الشاوية.

شكل رقم 13: يمثل المظهر العام لقرية في منطقة القبائل، المسجد عادة ما يُبنى في أعلى الربوة التي تشغلها القرية.

Sources:
Fig N° 01: MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P.38.
Fig N° 02: Idem , dessiner à partir photographie de Maunier 1926
Fig N° 03: Ibid, P.40.

شكل رقم 14: يمثل المظهر العام لقرية مساي قبيلة أولاد صابر بالسهول العليا.

لوحة رقم : 10

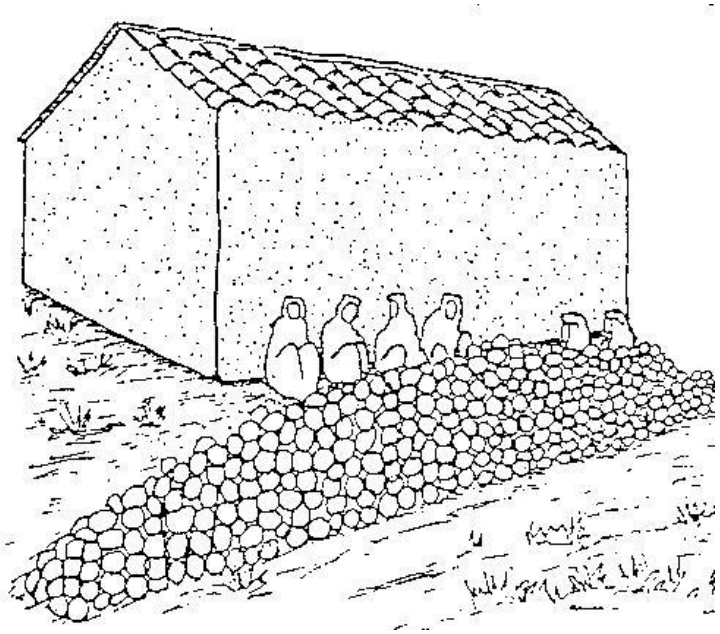

شكـــل رقم 15: جماعـــة (لغرابة) بقرية مساي بأولاد صابر بالسهول العليا بسطيف.

Sources:
Fig N° 15 : MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P. 52.

Fig N° 16 : KACI, Mebarek. op. cit., p 41

Fig N° 17 : MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P. 52 dessiner à partir photographie de Stuhmann, 1912.

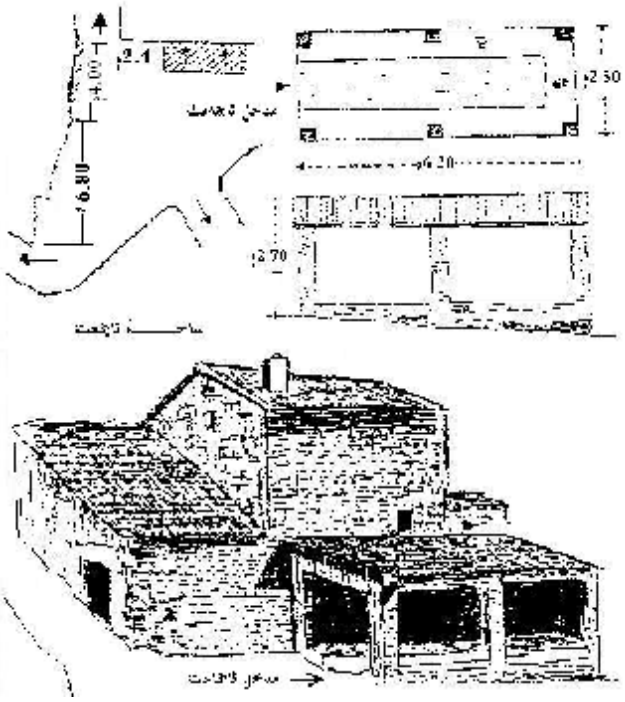

شكل رقم 16: تجماعث قرية ثيلمثين بالقبائل الكبرى تتمثل في مبنى مفتوح ومسقف عند ساحة مدخل القرية.

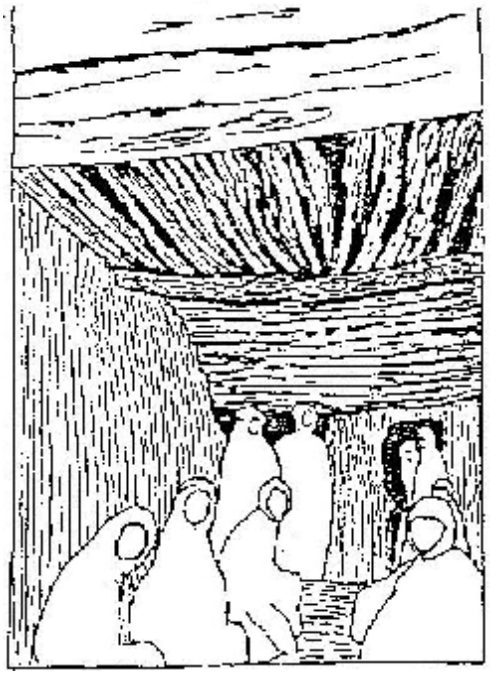

شكل رقم 17: جماعة بقرية بليجرهود بالأوراس

1-2 العوامل الاقتصادية والمجال القروي التقليدي الجزائري:

كما سبق وأن أشرنا، القوى المؤثرة في تشكيل هيئة التوطن يمكن تقسيمها إلى نوعين حسب أموس رابوبور (Rapoport, Amos) [1] هما:

- القوى الأولية المتمثلة في الميزات الثقافية، الاجتماعية و الاقتصادية: وهي قوى مُحدِّدة.
- القوى الثانوية المعدلة و المتمثلة في الظروف الطبيعية (المناخ، التضاريس...الخ) .

ورغم الأهمية الحيوية التي تكتسيها الظروف الطبيعية بالنسبة لأي توطن بشري إلاّ أنها لا تلزم الإنسان في اختيار النشاط، طريقة العمل، أسلوب الاستهلاك ونوع الانتاج فهي فقـــط تســـهل القيـــام بـــبعض النشاطات وتصعب القيام بالبعض الآخر. فيما سيأتي سنحاول تبيان كيف أن البعد الثقافي الاجتمـــاعي الاقتصادي هوالذي يحدد نمط التوطن والشكل الذي يأخذه ضمن المجال الطبيعي[2].

في الريف التقليدي الجزائري يتميز الاقتصاد الزراعي– أساساً- باعتماده على طرق إنتاج أقل ما يقال عنها أنها بدائية، و ظروف طبيعية غير ملائمة (أرض فقيرة وعدم انتظام التساقطات...الخ.) لكـــن ومع كون الخصائص المناخية و التضاريس جد مؤثرة إلا أن التوطن الريفي الجزائري يحمل في طيَّاته تأثير العناصر الثقافية والاجتماعية التي تجذرت فيه منذ القدم عبر مختلف المناطق.

وعليه فإن دراسة نمط الإنتاج التقليدي في الريف الجزائري ستسمح لنا بفهم أعمـــق لتركيبـــة وشكل التوطن كما يسمح بفهم عوامل استمراره رغم البساطة النسبية التي يتميز بها وظروف المعيشـــة الصعبة أحياناً ، هذا الفهم كذلك سيسمح لنا باستيعاب درجة تحوله بعد تعرضـــه لعوامـــل التحـــول المختلفة.

1- 2-1 تأثير العوامل الطبيعية على الاقتصاد الريفي التقليدي :

تؤثر سلسلتي الأطلس التلي و الصحراوي بشكل كبير على المناخ و الغطاء النباتي حيث يمكن – حسب مارك كوت[3]- تقسم المجال الجغرافي الجزائري إلى خمسة أقاليم تمتد من الشـــمال إلى الجنـــوب فالتساقطات، درجات الحرارة و نوعية الغطاء النباتي تختلف باختلاف الارتفاع على مستوى سطح البحر و كذلك باختلاف البعد عنه ففي أقصى الشمال يلي الساحل مباشرة مجموعة من السهول الضيقة نسبيا

[1]- انظر الفصل الاول القسم الاول ص 22 من هذه المذكرة.

[2] - VIDAL DE LA BLACHE, Encyclopedia Britannica micropoedi , vol 5 , Knowledge in depht. 1973-74, P .336. d'après MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P.54.

[3]- COTE, Marc. Op. cit., pp. 135-139.

تتمتع بكل الظروف المناسبة للزراعة (خصوبة التربة التساقطات الكافية الحرارة المعتدلة) كسهل متيجة. على طول هذا الشريط نجد اختلافًا في أنماط التوطن البشري و الأنظمة الزراعية السائدة انظر الشـــكل رقم (18) لوحة رقم (11).

إلى الجنوب بـــ 5 كلم إلى 50كم عمقًا تستقبلنا سلاسل الجبال التلية التي يبلغ معدل التســـاقط السنوي بها حوالي 600 ملم، تتميز بالخضرة و الرطوبة لكن أهم تحدي يواجه سكان هذه المناطق هـــو فصل الصيف الذي يتميز غالبا بالجفاف. تتركز في هذا الشريط زراعة أشجار الزيتون و بعض أنـــواع الأشجار المثمرة الأخرى كالتين، اللوز...الخ.

إذا تقدمنا أكثر إلى الجنوب تواجهنا الهضاب العليا المترامية الأطراف بطابعها الفسيح و الرتيب و هـــي تنتظم في شريط يمتد من الشرق إلى الغرب بعرض غير منتظم تستقبل سنويا من400 إلى 500 ملم مـــن التساقطات و تتميز بعائقين أساسين هما جفاف فصل الصيف و البرودة الشديدة في الشتاء بفعل البعـــد النسبي عن البحر هذه الخصائص مجتمعة تسمح فقط بمزاولة الزراعات السنوية مثل الكـــلأ و الحبـــوب بالإضافة إلى تربية الأبقار.

يلي هذا الشريط جنوباً نطاق السهوب الذي يتميز بالجفاف و البرودة شتاء و الحرارة و الجفاف صيفا الأمر الذي لا يسمح بالزراعة بشتى أشكالها إلا أن التوفر الموسمي للكلأ في هذه المناطق يجعل منها مناسبة لتربية المواشي إذ تعتبر البداوة أهم أشكال التأقلم مع ظروف هذا الشرط الـــذي يعتـــبر بوابـــة للصحراء الكبرى؛ في هذه الأخيرة تكاد الحياة تنعدم إلا بالواحات التي تشكل استثناءا ضـــمن محـــيط الواسع من الرمال و الحمادات؛ فقط 150ملم هي معدل التساقط السنوي بها و تتميز بالجفاف علـــى طول العام و انعدام الغطاء النباتي انظر الشكل لوحة رقم (09).[1]

[1] - مجمل معومات هذا العنصر مستقاة من كتاب مارك كوت التالي:
COTE, Marc. *Pays, paysages, paysans, d'Algérie*, Paris: Ed C.N.R.S, 1996. Pp 135-139.

لوحة رقم : 11

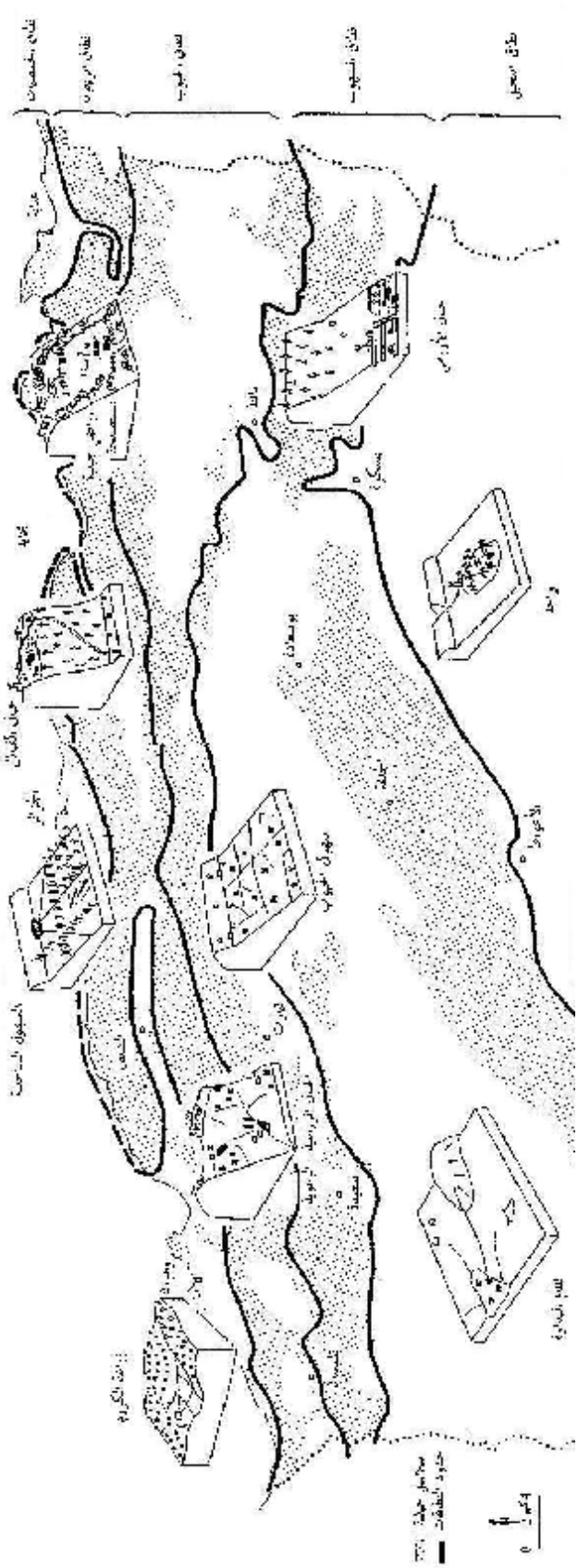

شكل رقم 18: رسم توضيحي لتمايز أنماط التوطن في الريفي الجزائري حسب الظروف الطبيعية (المناخ، التضاريس) و الاجتماعية.

Source : COTE, Marc. op.cit. , pp. 136-137.

1-2 -2 أثر العوامل الاقتصادية على بنية المجال القروي التقليدي:

تعتمد المجتمعات الريفية التقليدية الجزائرية في معيشتها على الزراعة والرعي كموردين أساسيين، ومع تمايز أنماط استغلالها للأرض وطرق عملها فإنها تشترك في كونها تهدف أساسا إلى سد الحاجيـــات الذاتية الأولية حسب بورديو.ب (Bourdieu .P) « ***هذا النسق الاقتصادي هدفه العمل على تحقيق الاكتفاء في الحاجيات الأساسية فقط وضمان إستمرارية حياة الجماعة.***»[1] و بالنظر إلى كون العوامل المناخية تتميز بعدم الإنتظام فإن المستقبل غير مضمون بالنسبة لهذه المجتمعات الأمر الذي يملـــي عليهـــا اعتماد أساليب مختلفة في تخزين المنتجات (العُولَة) إلى مواسم الحاجة.

مجاليا تظهر هذه الأساليب كفضاءات مختلفة الأشكال من منطقة إلى أخرى مـــثلاً في المنـــاطق القبائلية كما في المناطق الريفية العربية ينتشر مايعرف "بالمطمورة" كوسيلة أساسية لتخـــزين الحبـــوب المختلفة، الخضر والفواكه المجففة، الزبدة المملحة وغيرها من المنتجات المحلية. وتشكل بعـــض المنـــاطق الشاوية إستثناءاً باعتماد"القلعة"كوسيلة جماعية للتخزين حيث يشترك فيها سكان القرية ككل وتتميـــز بنظام حراسة خاص بها. من الناحية المرفولوجية (الشكل والحجم) هذا البناء يتميز كـــثيرًا عـــن بـــاقي المنازل،كما يتميز في طريقة استعماله حيث تقام فيه الأعراس وحفلات الختان وفي بعض القرى يدفن في أحد جوانبها الجد المؤسس للقرية الأمر الذي يجعل منها مزارة تقام فيها ما يعرف "بالواعدات"[2]. انظر الصورة (12) لوحة رقم (12).

1-2 -3 علاقة الأرض بالإقتصاد،المجتمع والتوطن الريفي التقليدي:

التوطن البشري عملية مرحلية ينتج عن علاقة الإنسان بالأرض بما تضمه من عناصـــر طبيعيـــة فلأجل توفير حاجياته المختلفة « ***يقوم الإنسان بتغير المحيط الطبيعي بقطع الأشجار، تغـــير مـــواطن الحيوانات التي تعيش فيه و يجمع احتياجاته المختلفة من ماء غذاء و يذلل العقبات***[3] ***التي تواجهه***» [4].

---

[1]- BOURDIEU, Pierre. *The Algerians*, Boston : Beacon Press, 1962. P.103. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.58.

[2] - Idem, P 34, d'après MAHDJOUBI , Lamine. op. cit.., P.59.

[3]- و تعد التضاريس أهم هذه العقبات حسب د.ل .توماس (THOMAS, D L) ~ 1

1~ THOMAS, D.L. *Planning the design of settled topographies*, England National Coal Board. P 14. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P-P. 61-62.

[4]-ANDREWS, W. A. *L'environnement urbain*, Paris : Ed des études vivantes, 1980. P.7. d'après BACHAKH, Houria. *Mécanismes de formation / transformation de l'environnement bâti: essai de l'identification de l'environnement villageois kabyle, le cas de Aith yeni.* thèse de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1998. P. 53.

لوحة رقم :12

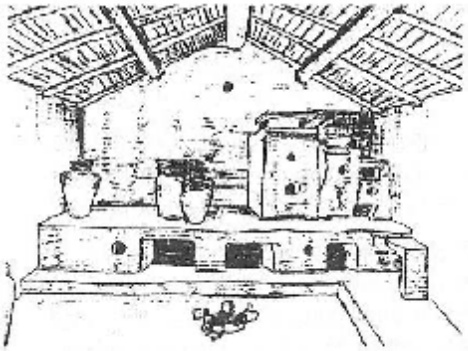

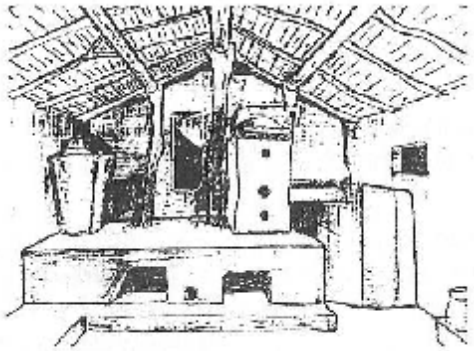

شكل رقم (19) ↑

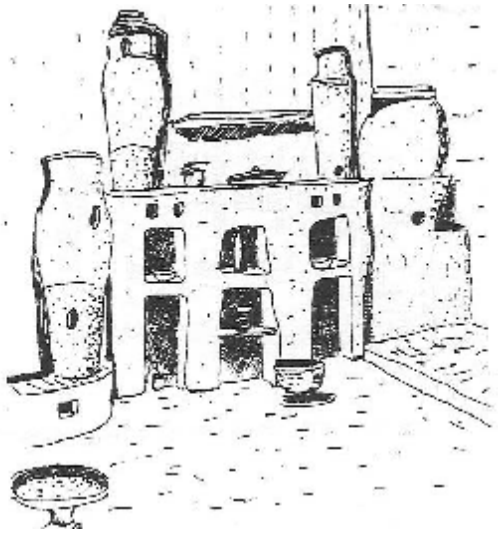

شكل رقم (20) →

الجرار و إكوفان وسائل أخرى لتخزين وتجميع المحاصيل الزراعية الرسمان رقم 19 و 20 يبينان تصـــميم الفضـــاء الداخلي للمنزل التقليـــدي القبـــائلي أحام.

Source: KACI, Mebarek. op. cit., PP. 102- 103.

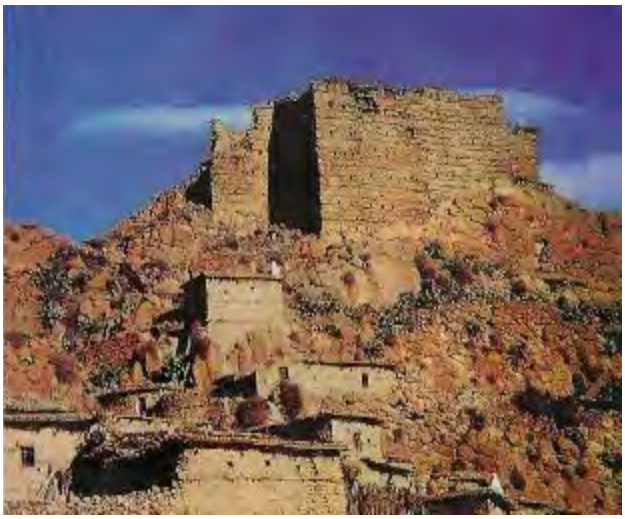

صورة رقم 12: القلعة تجسيد على المجـــال للأسلوب الجماعي في تجميع وتخزين المحاصـــيل الزراعية .

Source: COTE, Marc. *L'Algérie ou l'espace retourné*, Algérie : Ed Média plus, 1993. Page de couverture.

لوحة رقم: 13

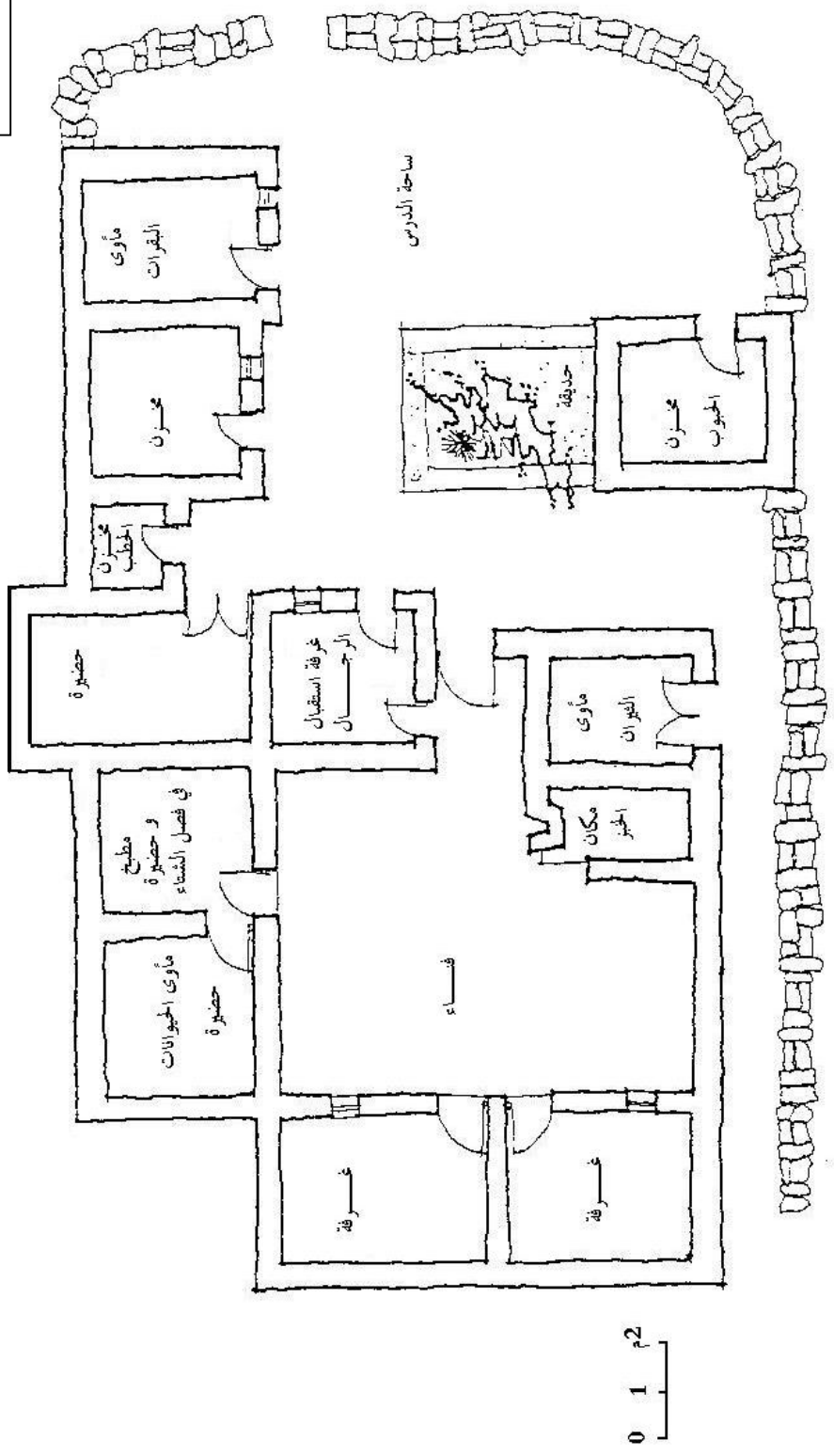

شكل رقم 21: مخطط لمنزل تقليدي بقرية مساي بأولاد صابر بالسهول العليا بسطيف، يتبين من خلال المخطط كيف أن المنزل التقليدي يستجيب لطبيعة المعيشة و نمط الحياة الاجتماعية.

Source: MAHDJOUBI. Lamine. Op. cit.. P.66.

لوحة رقم: 14

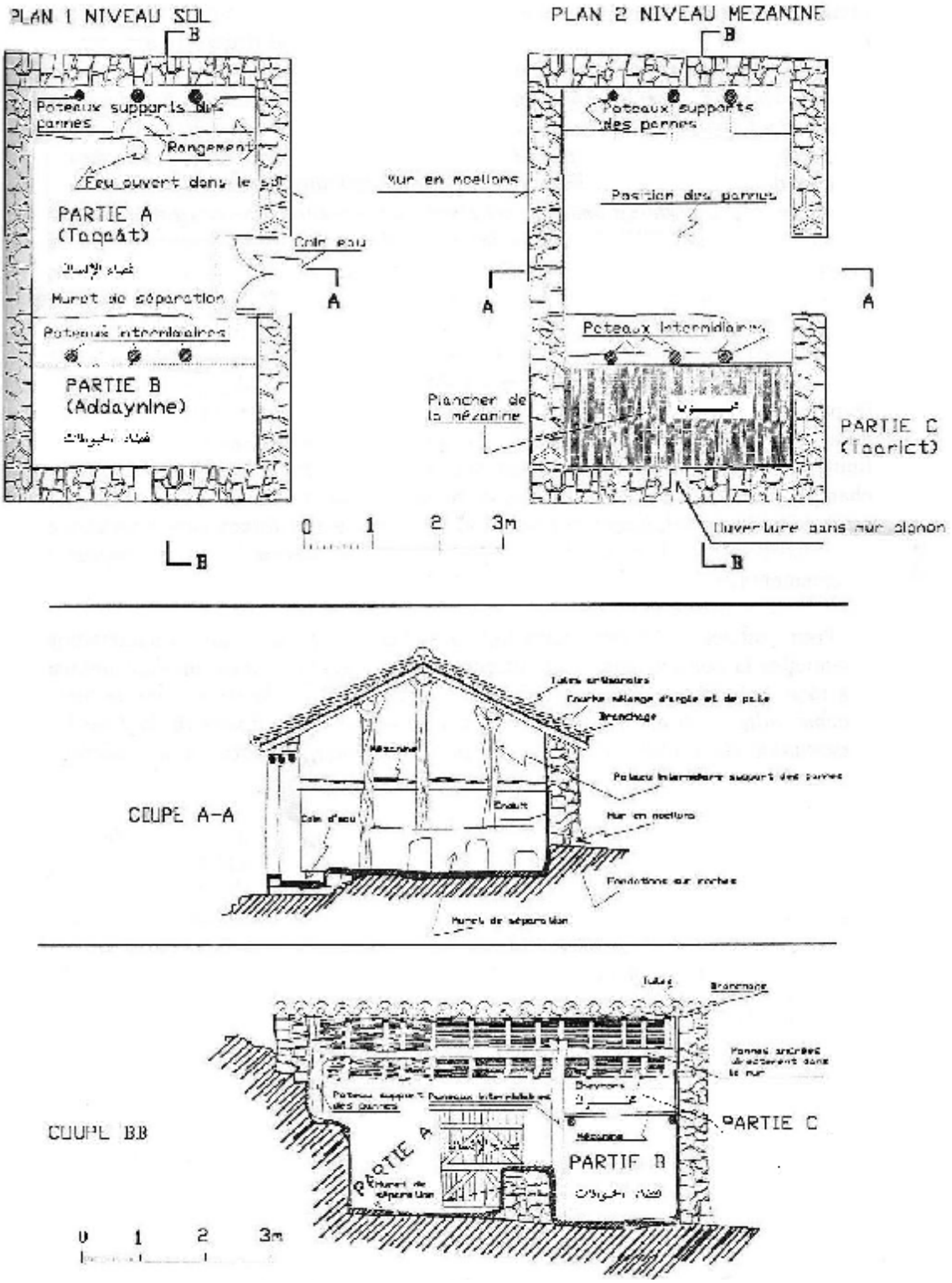

الشكل رقم (22): و يوضح مخطط لمنزل تقليدي بقرية أيت علي ومحند بمنطقة جرجرة و على عكس مخطط اللوحة رقم(11) هنا الحيوان يأوي في نفس الفـــــــــــــــــــــضاء مع الإنسان.

Source : THEUSISSEN, Ph. *Village des Ait Ali Ou Mhende, Matériaux de construction et pratique constructive*, Louvain la neuve : centre de recherche en architecture, université de Louvain la neuve, 1979. PP. 4-5.

و مع الزمن ينتج عن هذه العلاقة (وحدة التوطن الأساسية، التي تنتظم فيهـــا مختلـــف أبعـــاد الحيـــاة الإجتماعية)[1].

في الريف الجزائري هذه العلاقة تظهر تجلياتها كنسيج عمراني تشكل مع تعاقب الزمن و الظروف و الأجيال فالقرية تنتج أساسا بدافع الإستقرار للعمل و خدمة الأرض مصدر العيش الأساسي، النمـــو السكاني للقرية يصحبه توسع التوطن وظهور علاقات إجتماعية جديدة تنظم التوسع وتدعمه. وكمـــا أشرنا الوحدة الاجتماعية الأساسية في الريف الجزائري هي العائلة الموسعة كونها الإطار الإجتماعي الذي يمتلك الثروات و الوسائل و ينتظم من خلاله النشاط الإقتصادي الزراعي أساسًا إذ أن كل فرد منـــها يتكفل بمهام معينة : الرجال يتكفلون بالمهام الشاقة كالحصاد، الحرث، الـــدرس...الخ. بينمـــا يتكفـــل الأطفال برعي وحراسة المواشي و يُسند للمرأة عدة مهام كجلب الماء و الحطب، بعـــض الصـــناعات التقليدية كالغزل ، صناعة الأواني الفخارية و تحويل بعض المواد الغذائية كطحن الحبوب بالإضـــافة إلى إعداد وجبات الغذاء و العناية بالصغار. هذه النشاطات اليومية و غيرها في معظمها تمـــارس في أمـــاكن خاصة و منها التي تمارس في حدود ملكية العائلة الموسعة دون تعين أي حيز خاص في هذه الجزئية نجـــد الإختلاف قائم من منطقة إلى أخرى حسب الخصوصيات الثقافية المحلية و كمثال على ذلك : إيـــواء الماشية تحت نفس السقف مع الإنسان في القرى القبائلية عكس غيرها من المناطق انظر اللوحة رقم (13) و اللوحة (14).

من جهة أخرى تظهر أهمية الأرض كمصدر حيوي لاستمرارية المجتمع الريفي الجزائري في طبيعة القواعد و القوانين العرفية التي يُعمل بها في ملكيتها و التي يمكن تلخيصها في فكرتين أساسيتين:

* عدم قسمة الأرض (L'indivision) التي تمتلكها العائلة الموسعة.
* المرأة ليس لها الحق في الميراث من أبيها[2].

الأرض إذاً ملكية العائلة الموسعة ورثتها من الأجيال السابقة و تُورِثُها للأجيال اللاحقة و كذلك وسائل العمل و المترل وليس للمرأة حق الميراث من أبيها لأن ذلك يتعارض مع المبدأ الأول الذي يهدف

[1]-REMY, J & VOYE, L. *La ville et l'urbanisation.* Paris: Ed Ducalot. P70. BACHAKH, Houria. *Mécanismes de formation / transformation de l'environnement bâti : essai de l'identification de l'environnement villageois kabyle, le cas de Aith yeni*. thèse de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1998. P. 61.

[2]- MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P.69 و هذا في منطقة القبائل حسب حدود معرفتنا.

أساسا إلى الحفاظ على تماسك العائلة واستمرارها في مواجهة ظروف المعيشة التي غالباً ما تكون في غاية الصعوبة نظرًا لمحدودية الموارد (الأرض على وجه الخصوص) وكنتيجة لهذه العلاقة بين المجتمع و الأرض التي يستقر عليها ويستغلها تظهر القرية كمجموعة من الديار يحيط بها أراضي يمتلكها ســـكان القريـــة أنفسهم ويستغلونها. انظر الأشكال رقم (12، 13 و14) لوحة رقم (09).

1-3 العوامل الطبيعية و أثرها في المجال القروي التقليدي الجزائري:

1-3-1 عوامل اختيار أماكن توضع القرى التقليدية:

التوطنات البشرية تتمايز باختلاف مواضعها، وتيرة نموها و مختلف ظروف نشأتها و لعل أهـــم أسباب التمايز ما يمكن تلخيصه في الخصائص الاجتماعية و الثقافية للإنسان الذي يشيدها ، يســـكنها، يستمر في تحويلها و تغير هيأتها مع تجدد و تطور احتياجاته و تطلعاته و أهدافه و حسب أموس رابُبـــور (RAPPORT Amos)[1] اختيار الموقع يرتبط أساساً بشكل وثيق بالقيم الاجتماعية و الثقافية السائدة.

في المجال الريفي التقليدي الجزائري عادة ما يفضي تقاسم نفس القيم الإجتماعية و الثقافيـــة إلى تماثل مواضع التوطن، الأمر الذي يمكن به تفسير تموضع معظم القرى القبائلية في أعالي الجبال و استقرار غالبية القبائل العربية في الأراضي المنبسطة (السهول العليا و المناطق السهبية) [2]. من جهـــة أخـــرى في منطقة القبائل نجد إهتمام الإنسان بالمناطق المنخفضة و أحواض الأودية ينحصر فقط علـــى مواســـم و فترات الإستغلال (الحرث خريفاً و الحصاد صيفاً) و لعل أهم دوافع هذا التفضيل : الإحتماء بالجبال و الإبتعاد عن عوامل التهديد في السهول، الأحواض و المنخفضات كالفيضانات المفاجئة للوديان وانشـــار اللأوبئة مثل الملاريا بالإضافة إلى التهديات البشرية . المناطق المرتفعة إذًا تمثل مأوىً أكثر أمانا يمكن مـــن خلاله مراقبة واستغلال المنخفضات.

من جهة أخرى تمثل كل من وفرة الماء و خصوبة التربة عاملين هامين لإختيار مواضع الإستقرار لكن الهاجس الأمني عادة ما يتصدر الأولويات ولعل ذلك أحد أسباب عدم إهتمام معظم القبائل الريفية بالبحر إذا شكل هذا الأخير عبر العصور أكبر مصدر للتهديد و بوابة الغزاة الرئيسية.[3]

---

[1] - RAPOPORT, Amos. *House Form and culture, Englewood cliffs*, New Jersey: Prentice Hall, 1969. P.74. d'après MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit.,, P.73 .

[2] - حسب إبن خلدون عند وصول القبائل العربية إلى شمال إفريقيا إستقرت في بداية الأمر في الماطق المنبسطة دون غيرها و لعل ذلك يرجع إلى كونها تعتمد أساسا على النمط الرعوي في معيشتها و لكون هذه المناطق تتناسب مع قِيمها و نضرتها إلى الطبيعة ~ 1

~ 1 عن محجوبي لمين المرجع السابق. ص73.

[3] - MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P74.

1-3-2 أثر المناخ في تصميم المساكن الريفية التقليدية:

المتغيرات المناخية كالحرارة، الرطوبة، الإضائة، التساقطات، الرياح...إلخ. تؤثر على راحة ونشاط الإنسان بشكل مباشر وعليه فإنه يسعى من خلال إعداد مسكنه إلى تعديل هذه الضروف وغيرهـــا بمـــا يتناسب و حاجياته؛ السكن إذن يلعب دور الحاجز بين المجال الخارجي و الداخلي.

لعل أهم ميزات المباني التقليدية تأقلمها إلى حد ما مع الضروف المناخية لأماكن تموضعها و نظراً لكون مناخ منطقة شمال غرب إفريقيا بشكل عام يتميز بصيف حار إلى شديد الحرارة و شتاء بـــارد إلى شديد البرودة فاءن الأمر يتطلب تقليص مساحة النوافذ و الأبوب إلى أقصى حد و هو ما يســـتجيب كذلك إلى الرغبة الملحة للتستر التي تتميز بها المجتمعات اللإسلامية بصفة عامة (الحرمة) و تلعب الجدران السميكة التي عادة ما تنجز بمواد محلية كالطين و الحجارة دورا كـــبير في تعـــديل درجـــات الحـــرارة الداخلية.

في فصل الشتاء تزداد الرطوبة كما تتساقط الأمطار و الثلوج لكن ليس بشكل وافر ودائـــم في جل المناطق الأمر الذي لا يتطلب مباني ذات سطوح شديدة الميل على شاكلة المنازل في القرى و المدن الألبية ففي الريف الجزائري عادة ماتكون المباني مغطاة بسطح من أفقي إلى متوســـط الميـــل يغطـــى بالقرميد المحلي (كما في حالة القرى القبائلية)؛ هذه السطوح و بغرض الحصول على درجـــة حـــرارة داخلية معتدلة يُستعمل في إنجازها طبقة أو أكثر من التراب مع بعض المواد النباتيـــة المحليـــة (الـــديس- القصب – جريد النخيل...) .

من جهة أخرى و رغم خضوعها لتأثير التيارات البحرية الباردة و المعتدلة إلا أن مناطق شمـــال غرب إفريقيا تتعرض موسمياً في أواخر فصل الربيع و بداية الصيف إلى رياح جافة و حارة عادة ما تكون مصحوبة برمال الصحراء (الشهيلي). هذه الرياح ذات تأثير سلبي على المحاصـــيل الزراعيـــة والنشـــاط البشري بصفة عامة لكن توضع الكثير من التوطنات الريفية بين الهضاب و بين السلاسل الجبلية يجعلها أقل عرضة لهذه الرياح .[1]

1-3-3 مواد البناء و طرق إستعمالها في إنجاز السكن الريفي التقليدي:

كما رأينا اختلاف التضاريس و المناخ يساهمان في اختلاف تصميم السكن الريفي التقليـــدي عبر مختلف مناطق الوطن ؛فأشكال المباني، لونها و أبعادها بالإضافة إلى مواد البناء و طريقة إســـتعمالها

[1]- معظم معلومات هذا العنصر استقيناها من مذكرة محجوبي لمين المصدر السابق: ص ص 77-80.

تتأثر باختلاف هذين العاملين: التضاريس و المناخ، لكن ليس بمستوى تأثرها بالعوامـــل الإجتماعيـــة و الثقافية. انظر اللوحة رقم (15).

في المناطق الساحلية كما في المناطق الجبلية و الهضاب العليا ينتشر إستعمال الحجـــارة كمـــادة أساسية في بناء الجدران نظراً لوفرتها و خصائصها الفيزيائية المتناسبة مع الضروف المناخية لهذه الأقـــاليم هذا من جهة، من جهة أخرى يُنجز السقف باستعمال عدة مواد: التراب، الخشـــب، القصب أو الديس و القرميد. وإذا انتقلنا جنوباً نحو المناطق السهبية و الصحراوية نجد الطين المادة الأكثر استعمالاً في إنجاز الجدران بينما يضاف إليه جريد النخيل و جذوعه لإنجاز السقف[1] و بالرغم من كون وفرة و ندرة مواد البناء يؤثران في إختيار المواد المستعملة إلا أن عوامل أخرى تتعلق بها تدخل في ذلك كتوفر التقنية المناسبة لإستعمالها، تأقلمها مع المناخ السائد وتجاوبها مع متطلبات و خصائص الثقافة المحلية. فحسب رابوبـــور أموس (RAPOPORT Amos) الندرة لا تحدد شكل التصميم و لكنها تجعل من بعض الحلول صـــعبة الإنجاز كونها مُكلِّفة و يضيف أن إقتران الندرة مع فقدان التقنية المناسبة للإنجاز يحد كثيراً من الكيفيات و أشكال التصاميم التي يمكن الحصول عليها.[2]

و نظراً لكون إنجاز أو توسيع المسكن يتطلب إمكانيات غير عادية بالنسبة للعائلة الموسعة فإنـــه جرت العادة في المجتمعات الريفية الجزائرية أن يتم ذلك بتعاون أفـــــــــــراد القرية بمختلف أعمارهم و مستوياتهم المهنية (حرفين و غير حرفين) و نادراً ما يتطلب الأمر اللجوء إلى توظيف حرفين بـــالأجرة ولعل لهذا الأسلوب بصماته في تصميم و شكل المسكن كما له دور في تعزيز العلاقـــات الاجتماعيـــة الإيجابية من تعاون، تكافل وتضامن؛ البناء الجماعي كذلك فرصة لتعليم و تعلم التقنيات المســـتعملة في الإنجاز وانتقالها من جيل للآخر. [3]

المسكن إذاً لا يمكن أن يأخذ شكلاً غريباً عن النسيج العمراني المحلي كونه ناتجاً عن ظروف محلية بحتة كمواد وطرق البناء، اليد العاملة كذلك العادات و القواعد العامة التي لها صلة بالعمران. هذا إجمالاً هو سر التجانس الذي تمتاز به القرى و التجمعات العمرانية التقليدية.

[1] - في بعض المناطق الصحراوية مثل واد سوف تنتشر تقنيتي الأقواس و القباب في دعم وإنجاز السطوح كواسائل بديلة للحد من كمية أشعة الشمس المنعكسة عليها وتقليل كمية الخشب المسخدمة في الإنجاز كونه جد نادر في هذه المناطق.

[2] - RAPOPORT, Amos. *House Form and culture, Englewood cliffs*, New Jersey: Prentice Hall, 1969. P.105. d'après MAHDJOUBI, Lamine. Op. cit., P83.

[3] - MAUNIER, Rene. *La construction collective de la maison en Kabylie*, Paris: Institut d'ethnologie. 1926. P 14. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P85

لوحـــة رقم : 15

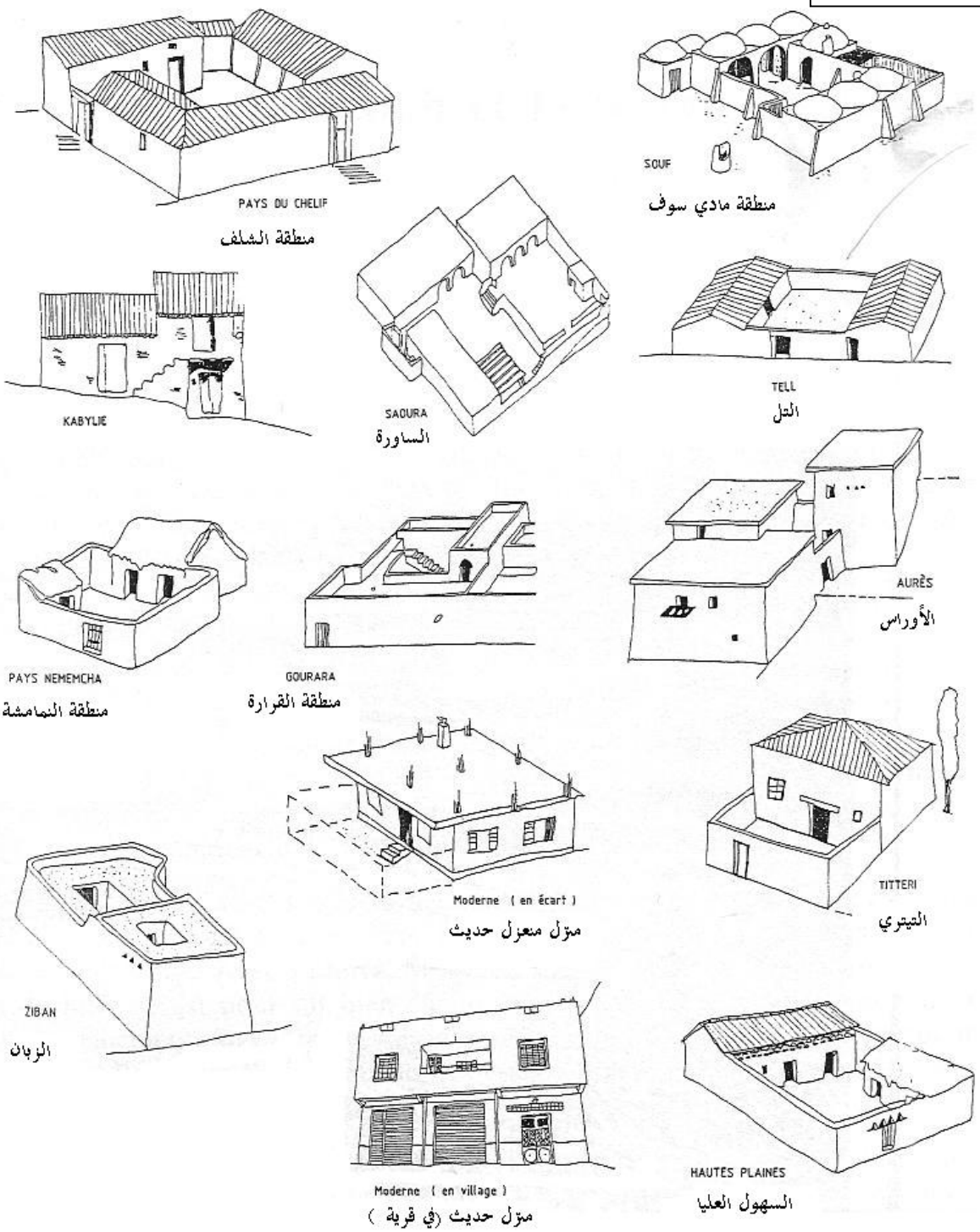

الشكل رقم 23: يوضح تعدد أشكال السكن الريفي الجزائري وتمايزه من منطقة إلى أخرى و لعل أهم ميزة مشتركة بين مختلف الأنماط، الساحة أو الفناء (la cour) وهي الميزة الغائبة في النمط الحديث.

Source : COTE, Marc. Op. cit., P 31.

خلاصة المطلب :

تبين لنا من خلال التعرض إلى تأثير العوامل المختلفة على تشكل و تحول المجال القروي التقليدي الجزائري كيف أن التمايز من منطقة إلى أخرى يرجع أساسا إلى الاختلاف في هذه العوامل. اجتماعية، اقتصادية أو طبيعية هذه العوامل في ترابطها و تشابكها تحدد علاقة الإنسان بالمجال. هذه العلاقة تتجلـــى في طرق، وسائل و تقنيات استغلال الأرض، أنماط البناء و المواد المستعملة في ذلك، تصميم المجال المـــبني و العلاقة بين مختلف مستويات المجال: المنزل، القرية و المنطقة. فمن جهة نجد الهيكلة المجاليـــة التقليديـــة تجسيداً للبنية الاجتماعية القائمة على النظام القبلي العشائري على الأرض ومن جهـــة أخـــرى نجـــدها استجابة لما تمليه الظروف الطبيعية و أساليب الاستغلال و التقنيات التي توصلت إليها المجتمعات التقليدية ففي كثير من المناطق نجد أنساقا متكاملة اجتماعيا، اقتصاديا مع المجال الذي تشغله وتســـتغله، ميزاتهـــا الأساسية: الاكتفاء الذاتي، الانغلاق النسبي على العالم الخارجي و الخصوصية (L'originalité).

المجال القروي الجزائري كغيره خاضع لقانون التحول و التغير إذ كما أشرنا الحضارات المختلفة تعاقبت لتحدث التغير و تترك تأثيرها ، الظروف الطبيعية رغم استقرار ها النسبي تتغير ، كثافة وحجم السكان في مناطق التوطن في تغير مستمر كذلك[1] و بما أننا بصدد دراسة هذه التحولات وتداعيـــــاتها المجالية سنركز على أهم و أبرز محطاتها و أقربها إلى الحالة المجالية الراهنة: مرحلتي الاستعمار الفرنسي و ما بعد الاستقلال.

[1] - بغض النظر عن الخصائص و الميزات الاجتماعية و الاقتصادية.

المطلب الثاني : المجال القروي الجزائري بين الثبات و التحول.

تمهيـــــــــد

2-1 بوادر النظام الرأسمالي وأثره على البنية الريفية التقليدية

2-1-1تأثير النظام الرأسمالي على طبيعة ملكية الأرض في الجزائر.

2-1-2تأثير النظام الرأسمالي في أساليب وطرق استغلال الأرض.

2-2 المجتمع التقليدي الريفي في تحول.

2-2-1 الهجرة الريفية و تطور أسبابها .

2-2-2 التغير و الثبات في البنية الاجتماعية و الاقتصادية الريفية الجزائرية.

2-2-3 تطور بنية العائلة و هيكلة المجتمع و تجلياته المجالية.

2-3 السياسات التنموية الريفية و أثرها في المجال الريفي الجزائري.

2-3-1الاستيطان الفرنسي و سياساته في التوطن الريفي.

2-3-1-1 بداية الاستيطان الفرنسي و أشكاله.

2-3-1-2 سياسة مراكز التجميع (Centres de regroupement)

2-3-2 سياسات التنمية الريفية بعد الاستقلال.

2-3-2-1 الثورة الزراعية الأهداف التطبيق وردود الأفعال.

2-3-2-1-1 أهداف الثورة الزراعية.

2-3-2-1-2 تطبيق الثورة الزراعية الآليات و ردود الأفعال .

2-3-2-1-2-1 القرى الاشتراكية نقاط القوة ونقاط الضعف.

2-4 التوجه الحالي لسياسة التنمية الريفية في الجزائر .

2-4-1 سياسة التجديد الريفي تجربة في المهد.

2-4-1-1 بعض الجوانب التحضيرية لسياسة التجديد الريفي.

2-4-1-2 المبادئ الاسياسة لسياسة التجديد الريفي.

2-4-1-3 برنامج دعم التجديد الريفي.

2-4-1-4 المشروع الجواري للتنمية الريفية المدمجة (PPDRI)

2-5 المجال القروي الجبلي القبائلي و إشكالية التحول.

2-5-1 مرحلة ما قبل الاحتلال الاستيطاني الفرنسي.

2-5-2 مرحلة الاحتلال الاستيطاني الفرنسي أو الزلزال المجالي الكبير.

2-5-3 تحولات ما بعد الاستقلال أو الورشة الدائمة.

خلاصـــــــة

المطلب الثاني: المجال القروي الجزائري بين الثبات و التحول

تمهيد: كثيرة هي الخصائص و الميزات المجالية التقليدية التي لا تزال قائمة في الريف الجزائري و منها التي أُعيد صياغتها مع مرور الزمن و تحول العوامل الاجتماعية، الاقتصادية و الثقافية على وجه الخصوص . هذه التحولات مهَّدت لتغير العلاقات الإجتماعية والعلاقات بين المجتمع و المجال و لعل من أكبر محطاتها الاستيطان الفرنسي و مرحلة مابعد الإستقلال إلى يومنا هذا، إذ إنفتح خلالهما الباب على مصراعيه للمجتمع التقليدي للاحتكاك بعوامل التحول بالقوة و القهر في الأولى و بمحض الإرادة، الرغبة أو الإقتداء[1] في الثانية. هذا الاحتكاك بما تمخض عنه من تبعات مجالية في الريف الجزائري سيكون موضوع هذا المطلب.

كما سبق و أن افترضنا: التحول أو التغير أمر حتمي قائم في كل المجالات العمرانية ريفية كانت أم حضرية لكن الإشكال يكمن في طبيعة ووتيرة التحول و التأثير الذي يتركه في الأبعاد المختلفة للمكان[2] أي النسق المركب من المجتمع، الاقتصاد و المجال الفيزيائي.

إن التحولات التي شهدها التوطن الريفي مع بداية الاستيطان الاستعماري مست المجال الريفي التقليدي الجزائري في الصميم حيث لم يعر الاحتلال أي اهتمام للبنية القديمة القائمة على نظام زراعي جماعي و سعى إلى دمجها ضمن اقتصاده القائم على أُسُس الرأسمالية (الملكية الفردية، الربح، المردودية،...إلخ.) و بعد الاستقلال جاء النقيض للنظام الرأسمالي كرد فعل على أكثر من قرن و ربع القرن من الاستغلال و التبعية ليقترح أسلوباً جديد و نمط آخر للإنتاج و التسيير في الريف الجزائري الذي لم يعد تقليدياً محضاً؛ النظام الاشتراكي إذًا انتُهج كبديل أملا في تنمية تقوم على العدالة الاجتماعية و الرفاهية الجماعية.كيف كان رد فعل المجتمع الريفي على هذه و تلك و ما هي الآثار التي تركها كل منهما على البُعدين المجالي و الاجتماعي و ما هي القيم و العادات التقليدية التي صمدت في مواجهة تيارات التحول المتلاحقة و المتسارعة هذه؟ الوجهة الحالية للسياسة التنموية الريفية الجزائرية لاشك أنها تختلف في الشكل و المضمون عن سابقتها، ما هي الأسس الجديدة التي صيغت وفقها؟ و ما هي تجلياتها الأولية في الإطار المعيشي بشكل عام و السكني على الخصوص ؟ هذه الأسئلة و غيرها سنحاول الإجابة

[1] - الإقتداء بمفهوم ابن خلدون انظر: **ابن خلدون، عبد الرحمان.** *مقدمة ابن خلدون* . بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م. ص .116.

[2] - المكان (the place) بمفهوم ستورات جيمس انظر الفصل الأول القسم الأول ص 21 من هذه المذكرة.

عنها في هذا المطلب بغرض توسيع دائرة الفهم لإشكالية التحولات المجالية في الوسط الريفي الجزائري ككل و القروي بشكل أخص.

المجال الجبلي القبائلي، العينة الواسعة التي اخترنا منها الحالة المدروسة (le cas d'étude) [1] سيستوقفنا كذلك في هذا السياق حيث سنتطرق إليه من خلال إشكالية التحولات المجالية و تجلياتها وذلك على ضوء بعض الدراسات المتخصصة و المركزة. هذا الجزء من البحث يسمح لنا بحصر مجال النظر و البحث تمهيدا لولوج منطقة الدراسة (بني ورثيلان).

2-1 بوادر النظام الرأسمالي وأثره على البنية الريفية التقليدية:

صَاحَبَ ظهور النظام الاقتصادي الرأسمالي في أوربا الغربية تحولات عميقة في العلاقة بين الإنسان والوسط المعيشي الذي يشغله و يستغله حيث أفضى إلى تحويل عوامل الإنتاج التقليدية إلى سِلع وخدمات ذات قيمة نقدية يمكن المتاجرة بها وتبادلها. الأرض على وجه التحديد أصبحت في ظل النظام الجديد كباقي السلع والخدمات خاضعة للملكية الفردية وللمبادلات التجارية بعد أن كانت ملكيتها جماعية وغير قابلة للتقسيم والبيع. قوانين عديدة سُنَّت لهذا الغرض ابتداء من القرن الخامس عشر في بريطانيا أولا ثم مناطق أوربا الغربية قاطبة؛ هذا التحول العميق في طبيعة ملكية الأرض طال كذلك الريف الجزائري ابتداء من النصف الأول من القرن التاسع عشر لكن في ظروف مغايرة.[2]

2-1-1 تأثير النظام الرأسمالي على طبيعة ملكية الأرض في الجزائر:

قبل النفوذ الاستعماري الفرنسي خضع الريف الجزائري لعدة تحولات ولعل أهمها ما جاء به الفتح الإسلامي من قوانين تُعدل أو تُتمم النظام المحلي لملكية الأرض الذي قد يعود إلى القوانين العرفية البربرية أو التشريعات الرومانية أو كليهما معا؛ نظام ملكية الأرض القائم قبل العهد الاستعماري يتلخص في أربعة أنماط، بالإضافة إلى الأراضي المهملة وهي[3]:

- **ملكية البَايلك:** تعود للدولة وتُستغل في الزراعة من طرف القبائل الخاضعة والمتحالفة مع الحكم العثماني[4] ميزتها الأساسية الخصوبة والاتساع والقرب من المدن.

---

[1] - منطقة بني ورثيلان.

[2] - MAHDJOUBI, Lamine, op. cit., P. 96.

[3] -SAIDOUNI. Maouia, *Eléments d'introduction à l'urbanisme*, Alger : Ed CASBAH , 2000. P.173.

[4] - تُعرف بقبائل المخزن تقوم بجمع الضرائب التي يفرضها الحاكم على القبائل المحلية في العهد العثماني وهو ما نقله محجوبي لمين عن كل من هاليت (Hallet) و ديسبوا (Despois) ~ 1

1~ MAHDJOUBI, Lamine, op. cit., P. 98.

- **ملكية العرش:** تعود إلى القبائل التي تتوطن عليها، استغلالها الجماعي تضمنه القوانين العُرفية التي يلتزم بها أفراد القبيلة والتي تحدد وتنظم طرق وأساليب استغلالها.

- **أملاك الوقف أو الحَبُوس:** عائداتها توجه إلى المؤسسات ذات الطابع الديني والخيري و تتموقع في المدن والمناطق الريفية المجاورة لها، وبحكم طبيعتها فهي غير خاضعة للسوق العقارية إذ لا يمكن بيعها ولا تقسيمها.

- **المَلْك:** وهو النوع الوحيد من الملكية الذي يخضع للسوق العقارية ويمكن تجزئته. هذا النوع من الملكية يتميز بالندرة ويتواجد داخل المدن وحولها وكذلك في المجال الريفي.

هذه التحولات في طبيعة ملكية الأرض لم تكن بالقوة التي تؤثر على النظام الاقتصادي التقليدي الذي يقوم على الاكتفاء الذاتي المحلي والاستغلال الجماعي للأرض و وسائل الإنتاج والانغلاق النسبي. التحولات الحاسمة والجذرية جاءت مع بداية الاستيطان الفرنسي بالجزائر و الذي حمل في طياته بوادر النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يتميز بالعقلانية والإنتاج بغرض التسويق و الربح والملكية الفردية لوسائل الإنتاج فبغرض بسط سيطرتها ونفوذها وتسهيل استغلالها للأراضي، سنت سلطات الاحتلال مجموعة من القوانين أهمها[1]:

*مصادرة أراضي السلطة العثمانية (البايلك) لصالح الخواص الأوربيين (تعليمات 1844- 1845م).

*قانون السيناتوس كونسيلت (Senatus Consulte) سنة 1863م الذي أقر الملكية الفردية بهدف إلغاء الملكية الجماعية لأراضي العرش.

*تأكيد حق الملكية الفردية بقانون يقر حق الحصول على عقد الملكية تدعيما لتحرير سوق العقار على شاكلة النموذج الليبرالي الفرنسي(قانون وارنيي Warnier سنة 1873م).

*إلغاء حق الشفعة التقليدي واستبداله بحق الأولوية(Droit de préemption) لصالح الدولة (قانون 1926م).

تركت هذه القوانين أثرًا بالغًا في الوسط الريفي الجزائري حيث سُلِبت مساحات شاسعة من القبائل المحلية لصالح المعمرين وهو ما تُبينه الإحصائيات في الجدول رقم (01) مما دفع بالجزائريين للهجرة إلى الأراضي القليلة المردودية كما أدت إلى استقرار الكثير من قبائل البدو الرحل التي لم يعد لها الحق في الاستغلال الموسمي لأراضي العرش لأنها أصبحت ملكيات خاصة بحكم القوانين المذكورة.

[1]- SAIDOUNI. Maouia, *Eléments d'introduction à l'urbanisme,* Alger, : Ed CASBAH , 2000. P. 174.

النتيجة العامة لاقتطاع الاحتلال للأراضي التي لا غنى عنها لحياة الجماعة هي تَفَكُّك الوحدة الاقتصادية العائلية والتضامن الاجتماعي في الريف و بداية ظهور الفردية[1] في الإنتاج الزراعي.

السنة	مساحة أراضي المعمرين الأوربيين بالهكتار
1850	150000
1870	765000
1900	1682000
1930	2364000
1940	2720000
1951	2727000

جدول رقم 01: تطور مساحة أراضي المعمرين خلال قرن من الزمن.

المصدر: السويدي، محمد. *دراسة المجتمع الجزائري : تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر.* الجزائر: د.م.ج، 1990، ص76.

2-1-2 أثر النظام الرأسمالي في أساليب وطرق استغلال الأرض.

إعادة النظر في القوانين التقليدية التي تنظم ملكية الأرض أضعفت كثيرًا التوازنات التقليدية في الإنتاج والاستهلاك، إذ أصبحت ملكية العائلة الموسعة قابلة للتقسيم، البيع والإيجار كما أصبحت أراضي العرش ملكيات تابعة للخواص الأوربيين ومجالا مفتوحا لسوق العقار. من جهة أخرى شهدت أساليب الاستغلال الفلاحي طفرات عديدة أهمها إدراج زراعة الكروم على نطاق واسع وعلى حساب المحاصيل الأخرى (الحبوب مثلا) كونها استثمارا جد مربح [2]. انظر التمثيل البياني شكل رقم (24).

كما أُدرجت التقنيات الحديثة في الإنتاج النباتي والحيواني في مزارع المعمرين التي كانت تُوجِه محاصيلها للتصدير أساسا مع تجاهل احتياجات السكان المحليين الذين ظلوا متمسكين بالوسائل والطرق التقليدية في الاستغلال مما أدى إلى انخفاض حاد في إنتاج الحبوب. الغذاء الأساسي للسكان.

من جهة أخرى أدى استحداث و إدراج الخدمات الصحية في الوسط الريفي إلى انخفاض الوفيات في فئة الأطفال وهو ما سَرَّع وتيرة النمو السكاني فعلى سبيل المثال ما بين 1886م و 1948م ارتفع حجم سكان الريف الجزائري من 303800 إلى 622100، أي أنه تضاعف في ظرف ست عشريات مما زاد في حدة الاختلال بين مصادر الإنتاج المتوفرة والحجم السكاني وأدى إلى إفقار معظم الشرائح الاجتماعية.

[1]- **السويدي، محمد.** *دراسة المجتمع الجزائري: تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر.* الجزائر: د.م.ج، 1990، ص76.

[2] -HENNI, Ahmed. *La colonisation agraire et le sous-développement en Algérie*. Alger: Ed S.N.E.D, 1982. P126, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P .105

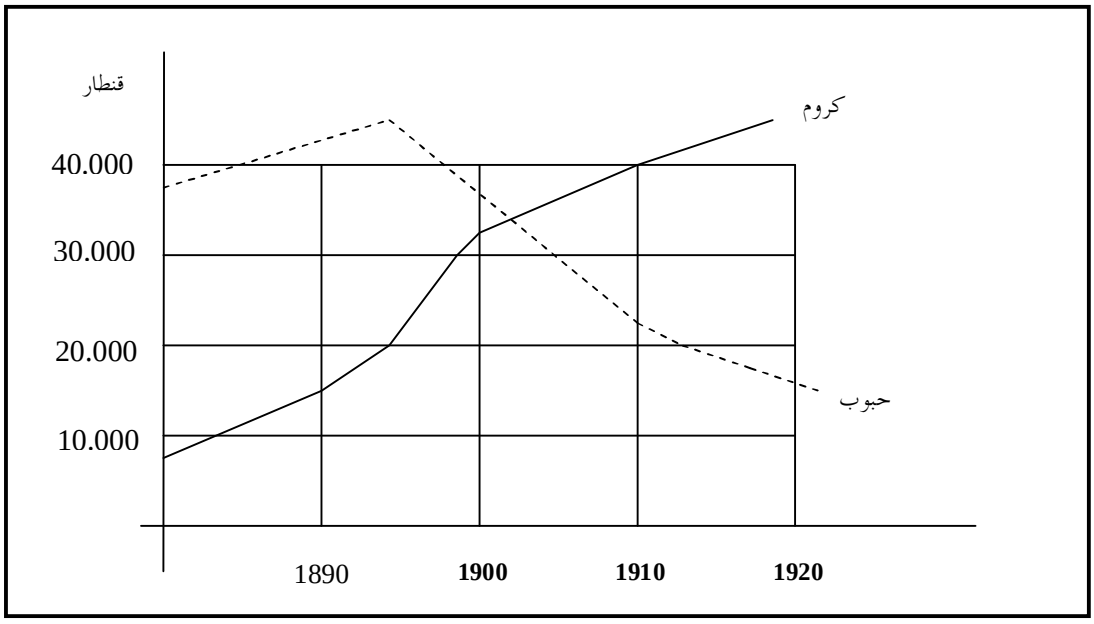

الشكل رقم 24: تطور إنتاج الكروم و الحبوب خلال أربع عشريات من الاستيطان الفرنسي.

Source : HENNI, Ahmed. op. cit., P. 136 d'après MAHDJOUBI, Lamine, op. cit., P .105.

هذا الاختلاف مهّد لبروز ظاهرة الهجرة بشكل واسع، أخذت ثلاث مستويات[1]هي:

- اتجاه السكان إلى الهجرة الخارجية بحثا عن العمل في أوربا وخاصة فرنسا.
- اتجاه السكان نحو المناطق الغنية في الجزائر، والمتمثلة في مزارع الأوربيين في سهول متيجة، عنابة، وهران و مستغانم.
- الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن طلبا للعمل.

هجرة الفائض السكاني من المناطق الريفية كان نتيجة حتمية للضغط المتزايد على مصادر الإنتاج المحليـــة المتاحة و التي لم تعد تلبي أدني مستويات المعيشة [2] على شاكلة المجتمعات الأخرى ظاهرة الهجـــرة هـــذه أفرزت تحولات جذرية و عميقة في البنية الاجتماعية الريفية التقليدية الجزائرية و التي بدورها مهـــدت لتحولات مست كل المستويات المجالية الريفية.

[1]- **السويدي، محمد.** المرجع السابق. ص77.

[2] -BOURDIEU, Pierre. *The Algerians*, Boston : Beacon Press, 1962. P129, d'après. MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.106.

2-2 المجتمع التقليدي الريفي في تحول:

اختلال التوازن بين مصادر العيش الذي نتج عن تفكيك و تجزئة الملكيات العقارية الجماعية من جهة و تسارع الزيادة في الحجم السكاني من جهة أخرى أفضى إلى الانهيار الشبه كلي لنسق الإنتاج التقليدي عبر مختلف المناطق الأمر الذي أضحى يهدد العائلات الريفية بالمجاعة و أرغمها على تبني خيارات حاسمة بدفع أفرادها وتشجيعهم على الهجرة بهدف العمل و تخفيف الضغط على مصادر العيش المحلية المتاحة و لسد حاجياتها الغذائية المتزايدة سعت العائلات الريفية إلى استئجار واستغلال أراضي الأسر التي فضلت الهجرة بشكل كلي ونهائي إلى المدن.[1]

2-2-1 الهجرة الريفية و تطور أسبابها:

الظاهرة تعود إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر فمنذ القرن السابع عشر كان القرويون و تحت تأثير الظروف الصعبة (تحولات المناخ، عدم كفاية مصادر العيش...الخ) يلجئون إلى مناطق ريفية أخرى أو المدن القديمة للعمل في مواسم الحصاد و الجني على أن يعودوا إلى مواطنهم عند تحسن الظروف أو انتهاء مواسم العمل و على سبيل المثال كانت مدينة الجزائر تستقبل سكان الريف من مناطق مختلفة (القبائل، وادي مزاب، ورقلة، بسكرة...الخ.) لتقديم خدماتهم المختلفة في مواسم معينة [2] ***« وعند ما تغلق أبوب المدينة في الليل كان هؤلاء يؤوون إلى أكواخ مؤقتة بنوها بجانب سور المدينة الخارجي»*** [3] .الاستيطان الفرنسي أعطى أبعاد أخرى لهذه الظاهرة حيث أصبحت المدن الحديثة التي أنشأها المعمرون الوجهة الجديدة للمهاجرين بالإضافة إلى المدن القديمة (الجزائر، قسنطينة، وهران). في هذه الأخيرة وتحت الضغط السكاني المتزايد بدأت بوادر الفوضى العمرانية في الظهور حيث عان النازحون الجدد الأمرَّين: ندرة فرص العمل و وضاعة ظروف السكن، من جهة أخرى و بحكم العلاقة الجديدة معها اختار آلاف المهاجرين فرنسا وجهة لهم بهدف العمل ومساعدة عائلاتهم في مواجهة الضغط المتزايد على مصادر العيش المتوفرة لكن هذا النوع من الهجرة لم يكن بالشكل الكافي لاستعادة التوازن المفقود[4] انظر الجدول رقم (02).

---

[1] - معظم معلومات هذا العنصر استقيناها من مذكرة محجوبي لمين، المرجع السابق. ص. 107.

[2]- BOURDIEU, Pierre. *The Algerians*, Boston : Beacon Press, 1962. P 63. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.113.

[3] - Ibid, MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.113.

[4] - HENNI, Ahmed. op. cit., P.78, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.118.

السنوات	عدد المهاجرين (1)	عدد العائدين(2)	الفارق(1)- (2)
1924-1920	213000	155700	+57300
1929-1925	177600	174700	+2900
1934-1930	105100	121700	-16600
1939-1934	145500	85100	+60400
1944-1940	34000	2000	+14000
1948-1945	185000	8650	+99100
1954-1949	763500	621300	+142200

جدول رقم 02 : تطور هجرة الجزائريين نحو فرنسا خلال أربع عشريات و نصف عشرية قبل بداية الثورة.
Source : HENNI, Ahmed. op. cit., P79. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., 118.

هذه الموجات المتذبذبة من الهجرة تمخض عنها أوضاع اجتماعية متباينة عبر مختلف المناطق الريفية الجزائرية، فمنها التي عرفت بعض التوازن و منها التي شهدت إفراغا شبه كلي لمحتواهـــا الاجتمـــاعي و الاقتصادي[1].

2-2-2 التغير و الثبات في البنية الاجتماعية و الاقتصادية الريفية الجزائرية:

تأثرت البنية الاقتصادية الريفية بعوامل التحول أكثر من تأثر البنية الاجتماعيـــة الـــتي قاومـــت الظروف الجديدة و تأقلمت معها بتحوير جزئي وتدريجي لبنيتها التقليدية فتوسع الاقتصـــاد النقـــدي و تطور وسائل المواصلات سهَّل و سرّع إدماج البنية الاقتصادية القديمة ضمن النظام الجديد القائم علـــى الانفتاح على السوق بحيث لم يعد للتكاملات الاقتصادية المحلية أي وزن واســـتُبدِل نمـــط الاســـتهلاك التقليدي بالأسلوب الأوروبي[2].

و لعل من بين مؤشرات التحول في نمط الاستهلاك الاستغناء على المطمورة و القلعة كوســـائل لتخزين المؤن. التحول جعل من الريف تابعاً اقتصاديا للمدينة بعد أن كان يتمتع بالاكتفـــاء النســـبي و الاستقلالية؛ بتعبير آخر الريفيين اكتشفوا نمط بديل لأسلوبهم في الحياة: الخدمات الصـــحية، المدرســـة، الطاقة الكهربائية، وسائل الإعلام...الخ. « ***هذا الانفتاح الاقتصادي انجر عنه تمايز اجتماعي كبير ليس فقط في وظائف السكان بل تعدى إلى تفاوت الدخل الفردي***»[3]

[1] -COTE, M. *Montagnes du Maghreb: Un cas de déterminisme géographique*, [En ligne]. ‹http:www.cafe-géo/cafe2/article.php3?_article=126›. (Page consulté le 18/04/2007).

[2] - MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P-P.119-120.

[3] - BOURDIEU , Pierre. & SAYAD .A, *Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie*, Paris : Ed Minuit, 1964. P. 140 d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.124.

الاحتكاك بالنمط الجديد للاستهلاك غيَّر كثيرا من اهتمامات القرويين الاقتصادية و سلوكياتهم فعوض السعي إلى شراء قطعة أرض مثلاً أصبحوا يعطون الأولوية لاقتناء التجهيزات المترلية و الملابس الحديثة [1]؛ و على المستوى المجالي بدأت التحولات في الظهور على تصميم المنازل التي أُضفي عليها الطابع الحديث و استُخدِمت في إنجازها طرق و مواد جديدة .[2]

من جهة أخرى أثرت التحولات الاقتصادية على مكانة و دور العائلة الموسعة كوحدة أساسية للإنتاج و الاستهلاك بما وفرته من فرص للعمل بالأجرة لأفرادها الأمر الذي مهد لإمكانية استقلالهم مادياً و معنوياً ؛ فتراجع دور العائلة الموسعة يتناسب و نسبة التحضر و الاندماج في النظام الاقتصادي الحديث الذي تختلف درجات تجذره وانتشاره بين المناطق الحضرية و الريفية كما تختلف بين منطقة ريفية وأخرى وهذا يعني أن العائلة الموسعة لا تزال تحتفظ بجزء من أدوارها التقليدية في مناطق عدة من الريف الجزائري[3]. و بشكل عام انتشار العمل بالأجرة و ظهور الفردية أثرا بشكل عميق على هيكلة و طبيعة العلاقات الاجتماعية في العائلة الموسعة و لعل سر التحولات المجالية يكمن هنا.!

2-2-3 تطور بنية العائلة و هيكلة المجتمع و تجلياته المجالية:

العائلة الموسعة، ثاخروبث، أذروم، القبيلة (ثاقبيلت) و غيرها من الوحدات الاجتماعية عرفت درجات متباينة من التحول في بنيتها و العلاقات التي تربطها و شهدت تبني واعتماد أنماط سلوكية جديدة (دخيلة) و مع قوة عوامل التحول الاقتصادية و الاجتماعية أبدت هذه الوحدات الاجتماعية نوع من المقاومة الأمر الذي أفضى إلى إبطاء سرعة التغير و الحد من اتساعه وتَجذُّرِه.

فعلى مستوى العائلة الموسعة تعدد مصادر الدخل أضحى يقوض السلطة الأبوية التي كانت تقوم على احترام القيم العرفية و الدينية و التحكم الصارم في مصادر ووسائل الإنتاج الزراعية أساساً. اعتماد النظام النقدي و العمل بالأجرة أتاح للعائلة النووية نوعاً من الاستقلالية إذ لم يعد للكثير من

[1] - BOURDIEU , Pierre. & SAYAD. A, *Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie*, Paris : Ed Minuit, 1964. P 143 d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit.,P.124

[2] - تقليد كل ما هو غربي يذكرنا بمقولة ابن خلدون « **في أن المغلوب مولع أبدأ بالإقتداء بالغالب في شعاره و زيه و نحلته وسائر أحواله و عوائده** »

~1 و لعل الاحتلال ثم الهجرة ونحو فرنسا ووسائل الإعلام المختلفة هي أهم عوامل استيعاب مظاهر الحضارة الغربية. هنا سوال يطرح نفسه : أليس ظاهرة التقليد من عوامل التحول و ما هو مدى تاثيرها؟

1~ **ابن خلدون، عبد الرحمان .** *مقدمة ابن خلدون*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م. ص 116.

[3] -MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.118.

القيود التي تفرضها العائلة الموسعة أي تأثير بل قد يتعدى الأمر إلى المطالبة بالمشاركة في القرار وتدبير شؤون العائلة[1].

و كتأقلم مع الأوضاع الجديدة أصبح رب العائلة الموسعة (الجد، الأب، الأخ الأكبر) يتقبل التنازل على جزء من سلطاته لصالح بعض أفراد العائلة (من الأبناء)[2]؛ النمط الأبوي القديم إذاً تعدل إلى نمط نصف أبوي (Semi patriarcal)[3] باكتساب الأسر النووية لجزء من السلطة وقوة القرار. انظر الشكل رقم (25). هذا ورغم تنازله الجزئي عن سلطاته التقليدية يضل رب العائلة (الجد، الوالد) يتمتع بسلطة رمزية جد محترمة.

هذا التحول أثر إلى حد ما في طبيعة ملكية الأرض التي كانت جماعية ولا تقبل أي تقسيم فتطور نزعتي الفردية و الاستقلالية أفضى إلى مطالبة الأسر النووية بحصتها من الأرض ضمن الملكية الجماعية الأمر الذي مهد لانهيار دور العائلة الموسعة كوحدة أساسية للاستهلاك و الإنتاج؛ هذا التراجع لدور العائلة الموسعة عادة ما يترجم بانقسامها إلى عدة أسر مستقلة. في المناطق الريفية المعزولة عن الحركية الاقتصادية الحديثة كما هو الحال في الضواحي الفقيرة من المدن احتفظت العائلة الموسعة بأدوارها و لا تزال تحتفظ بها إلى حد ما لكون المداخيل الفردية لا تسمح باستقلال الأسر النووية كما أن القيم الاجتماعية السائدة بها لا تزال تشكل عائقاً في وجه أي محاولة من هذا القبيل [4] و على العموم فإن الدراسات التي تناولت موضوع تطور العائلة الجزائرية تبين أن حجم العائلة الموسعة شهد تقلصاً ملحوظاً بفعل عوامل التحول المختلفة[5].

التحولات التي طالت العائلة الموسعة في الريف الجزائري أثرت على كامل البنية الاجتماعية بحيث شهدت بداية القرن الثامن عشر انحصاراً كبيراً لتأثير العصبية [6] القبلية و لعل من أهم أسباب هذا التراجع ما يلي[7]:

- انتشار النظام الاقتصادي الحديث و سلسلة التحولات التي أفرزها أدت إلى تفكك التضامن القبلي مصدر قوة القبيلة.

[1] - BOURDIEU, Pierre. *Algérie 1960 structures économiques et structures temporelles*, Paris: Ed minuit, 1977.P.61, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P .131.
[2] - BOUTEFNOUCHET, Mostefa. Op. cit., P222.
[3] - نصف أبوي (Semi –patriarcal) مصطلح ورد فقط عند محجوبي لمين و لم يَرِد عن بوتفنوشت مصطفى .
[4]- MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., p 134.
[5] - Idem.
[6] - BOURDIEU, Pierre. *The Algerians*, Boston: Beacon Press, 1962. P. 121 d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P. 136.
[7] - MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P-P. 136- 137.

- فرض القانون من طرف الدولة سمح بتوفر نوع من الاستقرار و هو ما قلل من دور القبيلة الدفاعي، العامل الأساسي في نشأتها.
- انحصار دور الأسواق التقليدية التي كانت أقطاباً للتبادل الاقتصادي و الاجتماعي بين القبائل.

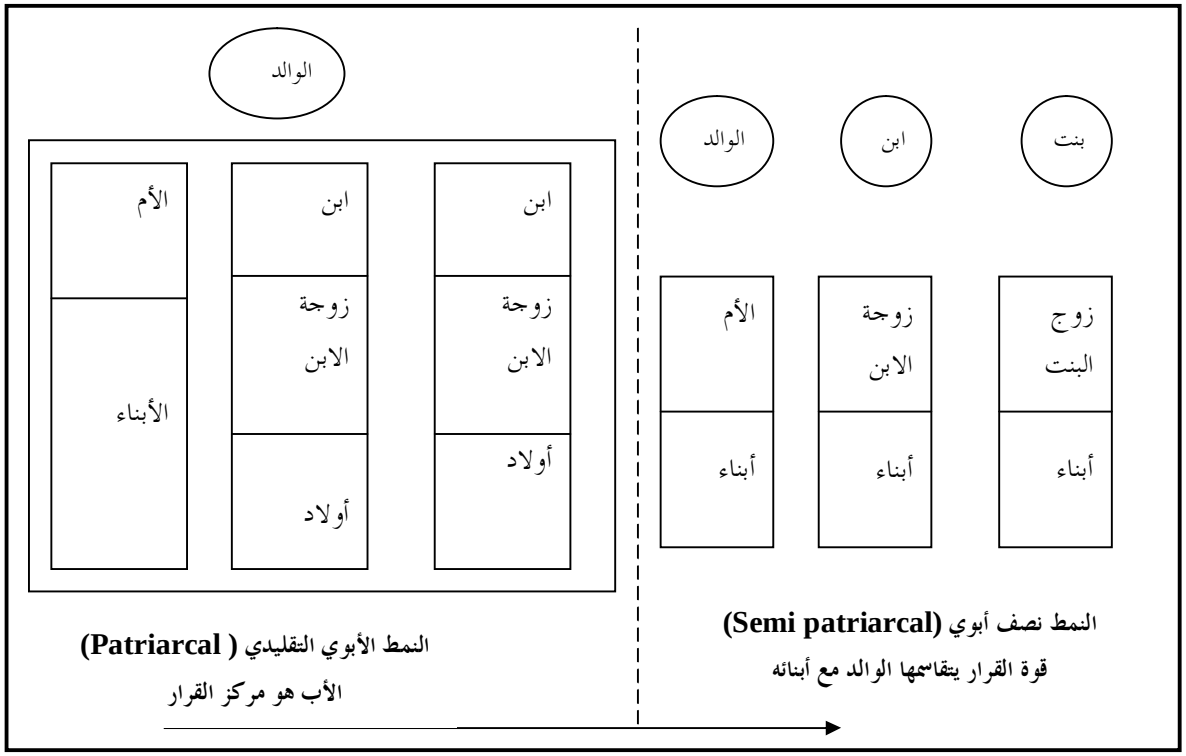

شكل رقم 25 : تطـــــــور مركز القرار من الوالد إلى الأبناء.

Source : BOUTEFNOUCHET, Mostefa**.** op. cit., P222.

ومع التراجع الكبير الذي شهدته القبيلة في الساحة الاجتماعية و الحياة اليومية فإنها لا تـزال في أذهان القرويين تشكل أحد العناصر الأساسية من هويتهم إذ عادة ما ينتسب أبناء المنطقة الواحـدة إلى قبيلة معينة و يعتبرون أنفسهم أقرباء. المهاجرون منهم إلى المدن كذلك تنتشر بينهم هذه الظاهرة[1].

ماذا عن العلاقات الاجتماعية على المستوى القروي؟ سؤال منطقي يفرض نفسه بعد التعـرض إلى مختلف مظاهر التحول الاجتماعي في الريف الجزائري فالاحتكاك بالآفاق الجديدة للتواصل و التبادل (وسائل الإعلام، أماكن العمل و التكوين، المدرسة...الخ.) غيَّر كثيرا في طبيعة العلاقات الجوارية بـين أفراد القرية الواحدة، هذه العلاقات لم يعد لها نفس الهدف و المعنى و الأهمية فعلى سبيل المثال الجماعـة (ثاجماعث) بالمفهوم التقليدي و بكل ما لها من وزن لم يعد لها نفس التأثير الملموس في حياة الأفـراد و

[1] - BOUTEFNOUCHET, Mostefa**.** op. cit., P. 195.

سلوكياتهم اليومية وكفضاء للتواصل و الترابط الاجتماعيين حل محلها المقهى[1]؛ ولعل بروز الجمعيات المحلية ذات الطابع الاجتماعي و الريفي هو آخر مظاهر التحول في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع القروي.

تلكم هي بعض مظاهر التحول التي شهدها المجال الريفي بما يضمه من قرى و توطنات مختلفة تطرقنا إليها من وجهة نظر اجتماعية واقتصادية محضة ونظرا لكون هذه التحولات ذات صلة وثيقة بسياسات التنمية الريفية بشتى أبعادها (العمرانية، الاقتصادية و الاجتماعية ...الخ.) التي عرفتها الجزائر منذ العهد الاستعماري فإننا سنوجه اهتمامنا إلى هذا الجانب في الجزء المتبقي من هذا المطلب.

2-3 السياسات التنموية الريفية و أثرها في المجال الريفي الجزائري:

المجال الريفي بما يضمه من قرى، أراضي زراعية ورعوية و غابات و غيرها ليس وليد الصدفة بل تشكل من علاقة التفاعل المتواصلة بين القرويين والمجال الذي يشغلونه ويستغلونه وفق أنماط تملّك متمايزة من منطقة لأخرى توارثتها الأجيال عبر العصور. منذ أكثر من قرن من الزمن، المجال الريفي عبر مختلف أقطار المعمورة -كما هو الحال في الجزائر- أصبح محل اهتمام دوائر التنمية و التخطيط التي جعلت منه حقلاً لتجارب تنموية متعددة مست جوانبه المختلفة، الفلاحة، العمران، الغابات،...الخ. وأثرت بشكل كبير على أساليب الحياة الريفية التقليدية حيث تترجم ذلك عمرانيا بإهمال أو تهديم القرى القديمة وبناء قرى جديدة حديثة تعتمد على وسائل وأدوات تهيئة وتخطيط عمرانية ذات طبيعة قانونية تنظيمية مستوحاة من وسائل التخطيط العمراني الحضري وبما أن المجال الحضري كان المسرح الأول لتطبيق وسائل التعمير والتهيئة الحديثة فإن تطبيقها على المجال القروي يعني إدراج المنظور الحضري بشكل أو بآخر في سيرورة التحولات المجالية القروية، هذه التحولات التي يمكن أن نصطلح عليها اسم التعمير (Urbanisation) أخذت منحى غير معهود منذ الحرب العالمية الثانية و حسب تعبير كل من ليليان فوي (Liliane VOYE) و جون ريمي (Jean REMY) هذه الظاهرة تُمثل حَراك جغرافي (Mobilité géographique) ميزاتها الأساسية هي[2]:

- التغير في الحدود المجالية و تقريب المسافات.
- الرتابة في أساليب التملك واستعمال المجال .(L'homogénéisation de l'Appropriation).
- التغير في تمثلات ونظرة القرويين أو الريفيين تجاه المجال نتيجة الاحتكاك بالأوساط الحضرية و استعمال الوسائل التقنية الحديثة.

[1] -MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.139

[2]-REMY ,J & VOYE , L. *La ville et l'urbanisation.* Paris : Ed Ducalot. PP 68-84 et PP 117- 130. D'après BACHAKH, Houria. *Mécanismes de formation / transformation de l'environnement bâti: essai de l'identification de l'environnement villageois kabyle, le cas de Aith yeni*. thèse de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1998. P.61.

و خلاصة ما ذهب إليه الباحثان السابقان في كتابيهما حول المدينة و التعمير هو أن المجال الريفي في السابق كان مستقلاً عن المدينة في عملية تشكله و تحوله، و أن هذه العملية منذ عدة عشريات أعيد صياغتها حسب ما تمليه و سائل التعمير و التهيئة العمرانية الحديثة إلا أن درجة تأثير هذه الأخيرة مرتبطة أساساً بدرجة تقبلها و بحيثيات ترجمتها على الواقع[1]. الواقع الذي يعني النسق المركب من المجتمع، المجال الفيزيائي و البعد الاقتصادي. و بما أن المجال الريفي الجزائري كان حقلاً لعدة تجارب من هذا القبيل و لا يزال فإننا فيما يلي سنعرج على بعضها دون بعض اعتماداً على الدراسات الأكاديمية التي تمكنا من الحصول عليها.

2-3-1 الاستيطان الفرنسي و سياساته في التوطن الريفي:

إدراج وسائل التحكم في المجال ضمن سياسة التوطن خلال فترة الاستيطان الاستغلالي الفرنسي كان الهدف منه إعادة صياغة أسلوب تَمَلُّك المجال بما يتناسب و أهداف المستعمر الأمر الذي يعني تحطيم وتقويض أواصر النسق التقليدي القائم وقد تم ذلك على عدة مراحل باستحداث آليات و وسائل مختلفة نتيجتها النهائية زعزعة استقرار الريفيين بترحيلهم أو بتغير كلي أو جزئي لأنماط معيشتهم.

2-3-1-1 بداية الاستيطان الفرنسي و أشكاله:

خلال الحقبة الأولى للاحتلال كانت أولويات سياسة التوطن تتلخص فيما يلي:[2]- توفير الشروط اللازمة لاستقرار المعمرين- تجميع العائلات الجزائرية المتوطنة بشكل مبعثر في تجمعات خاصة للأجل استغلال أراضيها لإنتاج المحاصيل التجارية (La politique de Cantonnement)- تجميع القبائل الثائرة و تشجيع البدو الرحل على الاستقرار.

و سعيا لتحقيق هذه الأهداف شرع في إنجاز **ثلاث أنواع من القرى**؛ ففي أول الأمر كانت القرى أوربية بحتة أو مختلطة يقيم فيها الجزائريون مع الأوروبيون[3] ثم شُرع في إنجاز قرى ذات أهداف عسكرية محضة عرفت باسم سْمَالَ Smala[4] انظر الأشكال (26)، (27)، لوحة رقم (16). أما قرى الفلاحين (Villages des Paysans)[5] فقد أنجزت بغرض إعادة إسكان العائلات المهجرة، انظر الأشكال (28)، (29) لوحة رقم (17).

[1] - REMY ,J & VOYE , L. *La ville et l'urbanisation.* Paris : Ed Ducalot. PP 68-84 et P.118. d'après BACHAKH, Houria. Op. cit., P.61
[2] - MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.153
[3] - Idem
[4] - Ibid
[5] - Ibid

لوحـــــــــــة رقم : 16

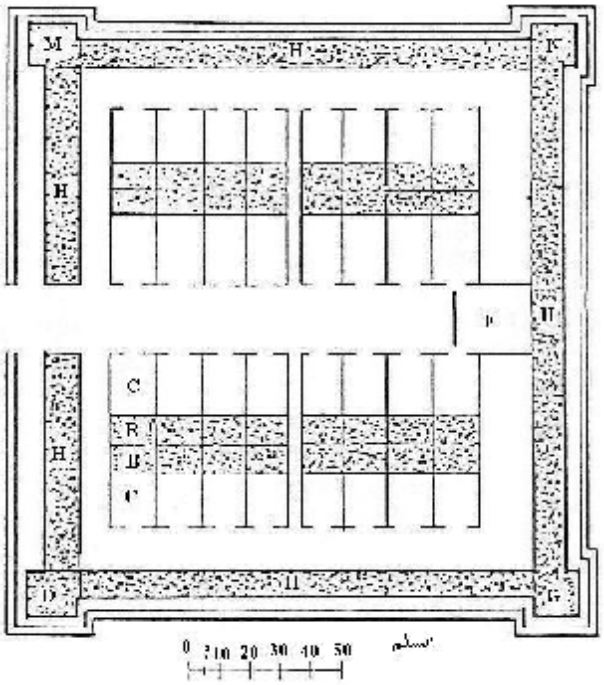

شكل رقم 26: مخطط لقرية مخزن مصممة مـــن طـــرف ريتشـــارد Ritchard سنة 1848.

B مســـــــكن، C ساحة، D نزل استقبال ، E مســـكن القائد، G مركـــــــز الحراسة، N مســـتودعات، إســـطبلات، محلات تجـــــــــــــــارية، M طاحـــــــــونة، N مسجد.

Source : TARTARY, Jaques. L'habitat rurale en Algérie, in *la vie urbaine*, Paris: 1963 juillet – septembre. MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.156.

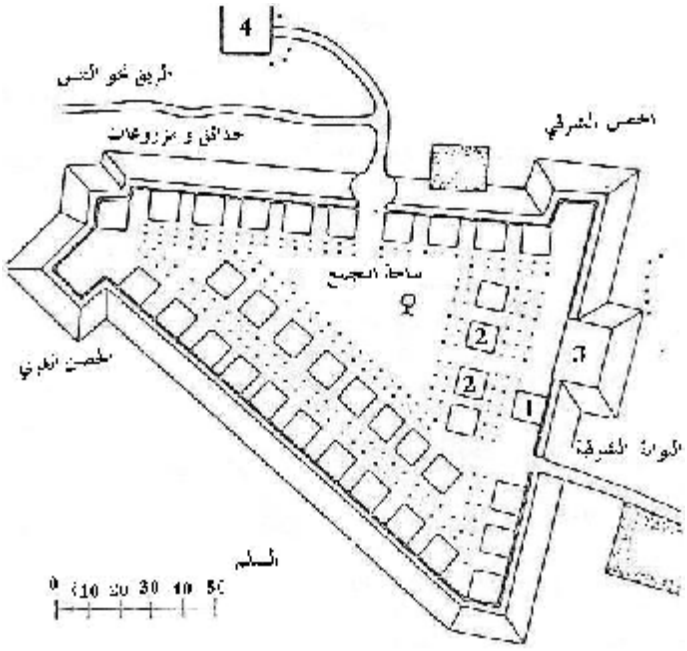

شكل رقم 27: مخطط لِسمَالَ التنس قرية لتوطين السكان المـــــــحلين (الجزائريين) أسسها لاباســـــيه (Lapasset) سنة 1945 قرب مدينة التنس، وقد تم تحصينها على شاكلة المخيمات العسكرية ، الشكل المثلث أملته طبيعة الموقع.

1- مستودع الأدوات.
2- مخازن.
3- ملجئ حربي واسع.
4- مأوى الغنم .

Source: TARTARY, Jaques. L'habitat rurale en Algérie, in *la vie urbaine*, Paris: 1963 juillet – septembre. MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.156.

لوحـــــــــة رقم : 17

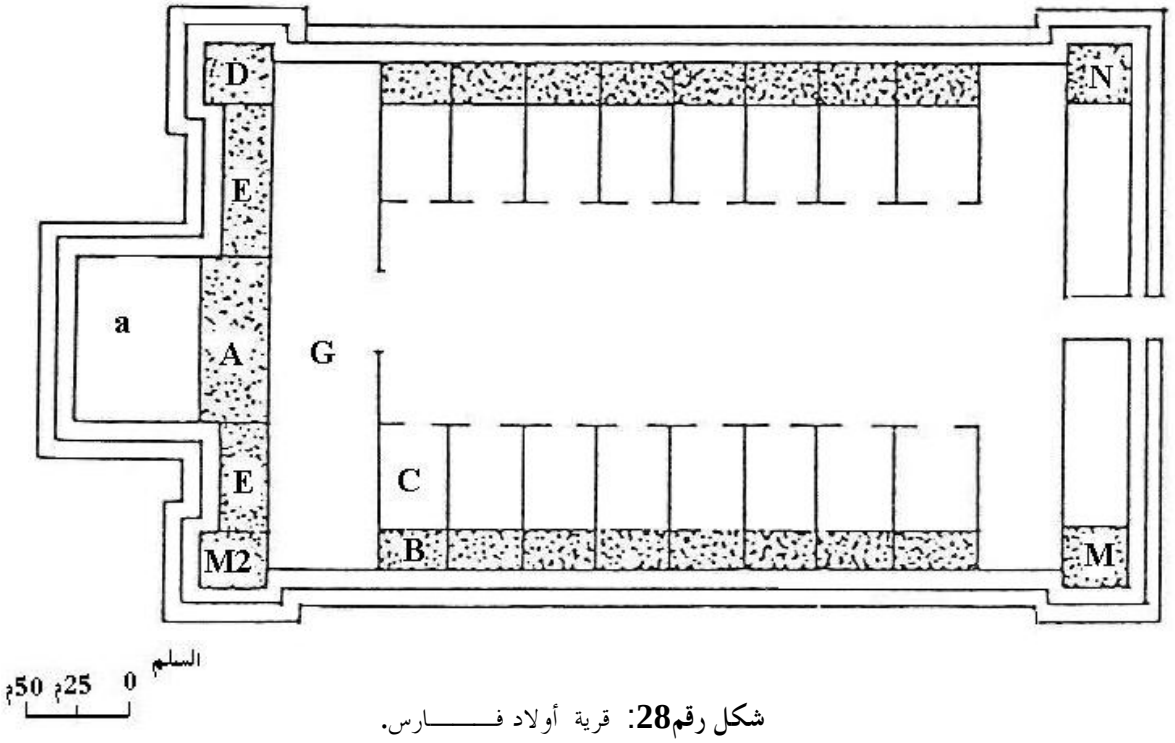

شكل رقم28: قرية أولاد فـــــــارس.

A- مسكن القايد a –ساحة للنساء B- مساكن القرية C – ساحات المساكن D- دار الضياف (نزل الاستقبال) G- ساحة كبيرة
M – طاحونة M2 – فرقة الحراسة N – مسجـــــــــــــــــد.

Source: TARTARY, Jaques. L'habitat rurale en Algérie, in *la vie urbaine*, Paris: 1963 juillet – septembre. P. 220, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.158.

شكل رقم 29 : مخطط قرية جْديدة يعود إلى تاريخ 1849 /06/32. من تصميم مارتنبري (Martinprey)، كل مربع من المخطـــط الشطرنجي مخصص لمسكن مؤقت، يتم استبداله شيءً فشيءً بمسكن دائم بالمواد الصلبة.
A – مكان الخيام أو الأكواخ (القوربي)
B – مسجـــــــــــــــــد
C – مسكن القايد ، نزل الاستقبال، سجن

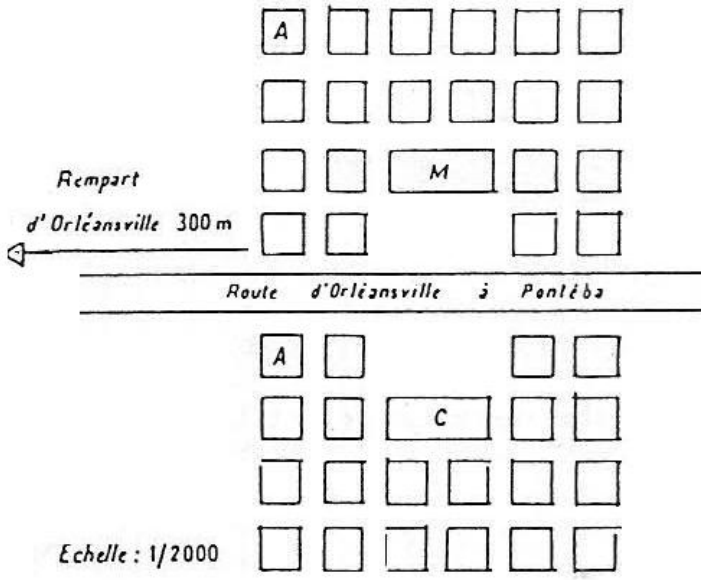

Source: TARTARY, Jaques. L'habitat rurale en Algérie, in *la vie urbaine*, Paris: 1963 juillet – septembre. P 217, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.158.

2-3-1-2 سياسة مراكز التجميع (Centres de regroupement):

في بداية الأمر مراكز التجميع هذه وظفت كجزء من سياسة المناطق المحرَّمة (Les zones interdites) التي انتهجها جيش الاحتلال في المناطق المدعمة للثوار و على الخصوص الجبلية منها حيث تُفرَّغ المنطقة من سكانها و تُعلن كمنطقة محرمة. حسب بيار بورديو و صياد [1] هذه السياسة لم يشهد التاريخ أفظع منها و استناداً إلى كورناتو. م (CORNATON. M)[2] أكثر من 3525000 قروي تم تهجيرهم إلى مراكز التجميع و هو ما يعادل نصف سكان الريف الجزائري آنذاك، أين أُجبروا على العيش في ظروف أقل ما يطلق عليها **"المحتشدات"** و تحت رقابة الجيش عان هؤلاء الجوع ، الحرمان، التعذيب الضيق، و المرض و أحياناً العطش إلى غاية سنة 1959م أين تدخلت السلطات المدنية للحد من الخراب الذي حلَّ بالمناطق الريفية – ولعل ذلك لامتصاص موجة تأييد الثورة التحريرية - و أوصت لجنة خاصة بتفتيش المحتشدات باستبدال سياسة مراكز التجميع العسكرية ببرنامج لتنمية[3] الريف مضمونه إنجاز 1000 قرية جديدة، أهدافه المعلنة هي [4]:

- سد الحاجة المتزايدة لإسكان الريفيين المهجرين.
- تحسين ظروف معيشة المهجرين بإدراج الخدمات الاجتماعية الأساسية في القرى الجديدة.
- تدعيم الأسر بأراضي زراعية ووسائل إنتاج.

و مع أن هذه الإصلاحات تمخض عنها توزيع فِعْلِي لآلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية بغرض إعادة توطين المهجرين واستقرارهم في القرى الجديدة إلا أن برنامج 1000 قرية جديدة لم يُستكمَل و لم يبلغ الأهداف المعلنة له لسببين رئيسيين هما[5]:

- السبب الأول: تتويج الثورة التحريرية بالاستقلال الذي وضع حدًا نهائياً و بشكل تلقائي لهذه السياسة.

[1] - BOURDIEU , Pierre. & SAYAD. A, *Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie*, Paris: Ed Minuit, 1964. P. 13. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.160

[2] -CORNATON, M. *Le regroupement et la décolonisation en Algérie*, Paris : Ed Ouvriers, 1967. PP. 122-123 d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.160.

[3] - وذلك ضمن مخطط قسنطينة المشهور.

[4]- LESBET, Djaâfer. *Les 1000 villages socialistes en Algérie*, Alger : Ed O.P.U, 1979. PP. 76-77. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., 161.

[5]- MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P 165.

- السبب الثاني: أسبقية الاعتبارات العسكرية على الاعتبارات الأخرى أياً كانت طبيعتها حيث أن مواقع القرى الجديدة في الغالب يتم تحديدها من طرف الفرق الهندسية العسكرية بما يتماشى و الخطط التكتيكية الدفاعية الأمر الذي يفسر بناء قرية عين تيدة في موقع يتعرض لرياح شديدة و جد بعيد عن حقول المواطنين و في حالات أخرى نجد قرى كجان دارك ببجاية و كركارة بالقل بُنيت بمواقع تتعرض لخطر الفيضانات الموسمية بمحاذاة الوديان، أمافي قرية جوانة بالحضنة وقرية برج بعاش بالتنس فإن السكان أجبروا على تحمل قلة الماء الشروب.[1]

من الناحية الاقتصادية مراكز التجميع وما تبعها كان لها آثار سلبية بالغة على النشاط الزراعي و منه على معيشة العائلات الريفية حيث أدى بُعد المسافة بين الحقول الزراعية و مراكز التجميع و خاصة في المناطق الجبلية إلى إهمال استغلالها و الاستغناء عنها كما أن الرقابة الدقيقة المفروضة على حركة السكان صعَّبت نشاطاتهم مما أدى إلى الحد من مردوهم .علاوة على ذلك فإن نقص وسائل العمل وبساطتها لا يسمح بأي حال بتحسين الإنتاج[2] .

أما من الجانب العمراني و المعماري فإن تصميم القرى الجديدة اقتبست إلى حد كبير من النمط العمراني الريفي الأوروبي هذا من جهة و من جهة أخرى لا تخلو قرية من بصمات الهندسة العسكرية فالمخطط الشطرنجي الذي اعتمد في معظم القرى الجديدة كان يرمي إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما[3]:

- تسهيل عملية الإنجاز إذ كلما كانت الطرقات مستقيمة تسهل حركة وسائل النقل و آليات الإنجاز.
- تيسير المراقبة العسكرية لحركة السكان داخل القرى و تمكين الجيش من التدخل السريع عند اقتضاء الضرورة انظر الشكلين (30) و (31) لوحة رقم: (18) و الشكلين (32) و (33) لوحة رقم (19).

دوائر التخطيط الفرنسية في ذلك الوقت أدخلت نمطاً جديداً للتوطن مع تجاهل كل الخصائص الاجتماعية و الثقافية المحلية الأمر الذي نتج عنه تبعات نفسية و اقتصادية جد سلبية على السكان و التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

[1] - LAWLESS, R & SUTTON, K, *Population regrouping in Algeria , traumatic change and the rural settlement pattern,* Durham University,1978. , PP 5-4. MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.166.
[2] - Idem.
[3] - Ibid. P. 168.

لوحـــــــــة رقم : 18

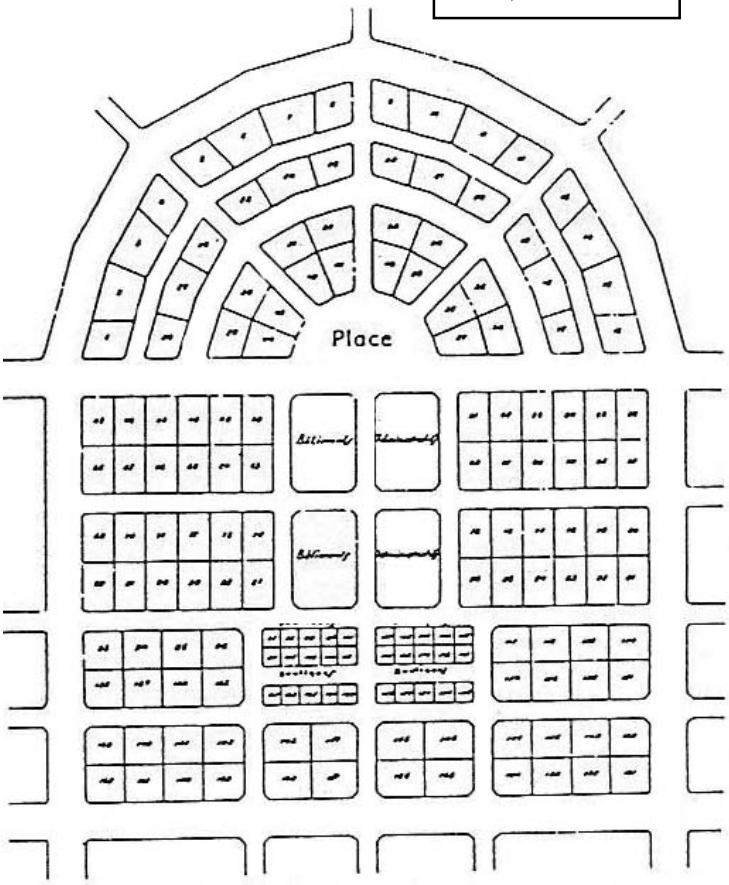

شكل رقم 30 : مخطط نموذجي لمراكز التجميع (centres de regroupement)

يظهر الشكل النموذج المعتمد في تخطـــيط معظم مراكز التجميع.

السكان المهجرين تم إعادة إسكانهم في قرى اعتمد في تصميمها النموذج الأوروبي الذي يضم في مركز القرية معظم المرافق العمومية.

بهذا النهج فرضت سلطات الاحتلال علـــى السكان وسط معيشي لا يتماشى و ما يتميز به من خصائص اجتماعية و ثقافية.

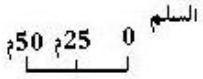

Source: BUGNICOURT, J. *Les nouveaux centres ruraux en Algérie*, Alger : Direction de l'agriculture et des forêts en Algérie, 1960. P .213 d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.170.

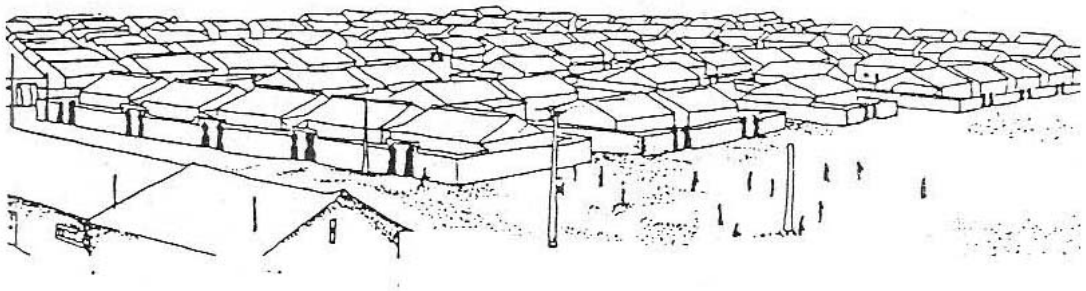

شكل رقم 31: مشهد عام لأحد مراكز تجميع الســـــــــكان.

Source : MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.170.

لوحـــــــــة رقم : 19

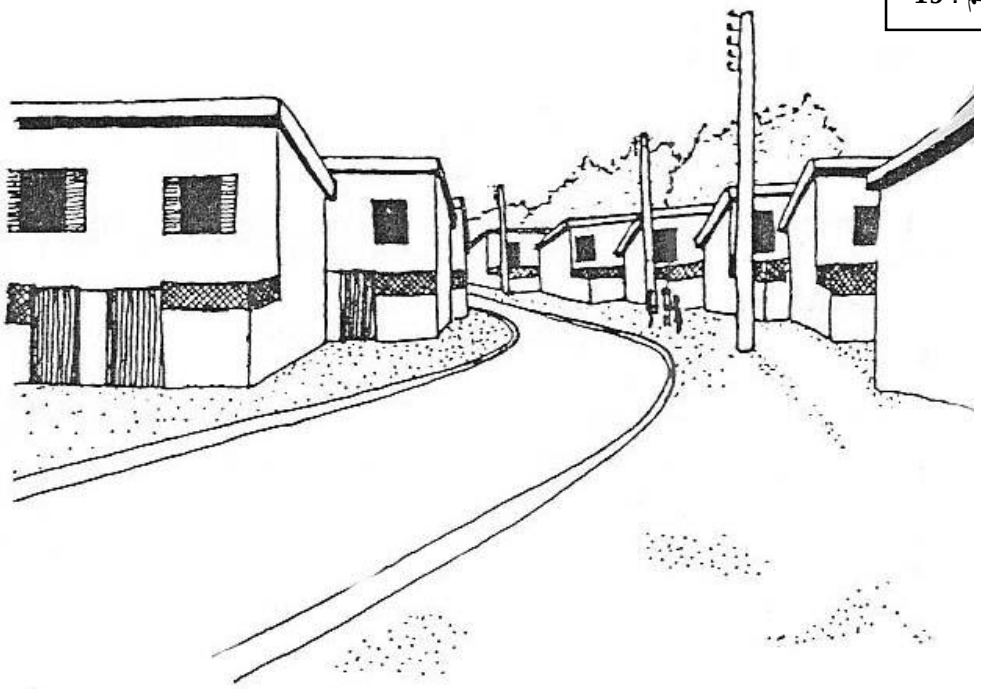

شكل رقم 32: قرية دَلامـــــــــــــــــــــــتي (Dalamties)

يبرز الرسم كيف أن السكان من اجل الحصول على مجال أكثر خصوصية و أكثر تناسبا مع قيمهم قاموا ببناء جدران عالية حول الأفنية الخارجية للمنازل.

Source: PLANHOL, de Zavie. *Nouveaux villages algérois. Paris:* P.U.F, 1961.P101. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.177.

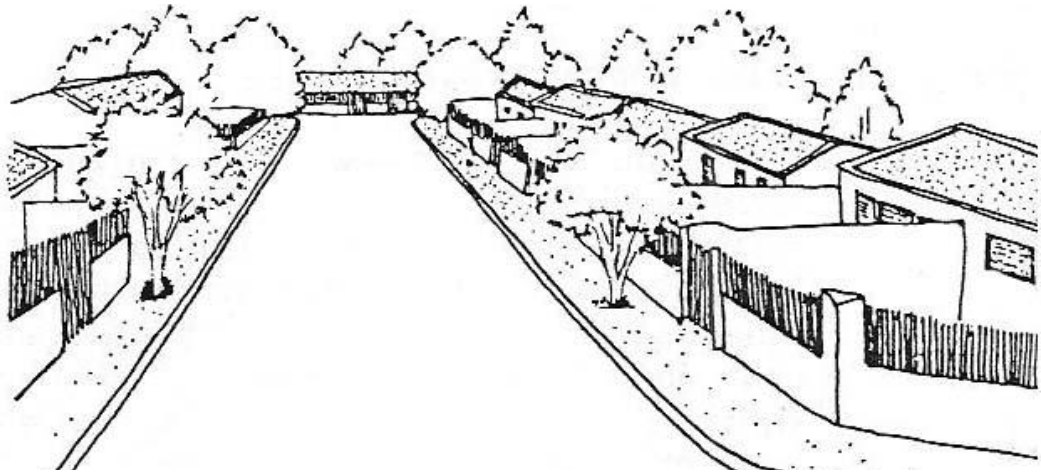

شكل رقم 33 : قرية سانت مارقـــــــــــــــريت (Saint Marguerite).

كذلك في قرية سانت مارقريت السكان قاموا بإضافة حواجز من القصب على جدران الأفنية لنفس الغرض.

Source: PLANHOL, de Zavie. *Nouveaux villages algérois*. Paris: P.U.F, 1961. . P101. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.177.

- إحساس السكان بانعدام الحرية كون القرى الجديدة تمثل سجناً على الهواء الطلق بالنسبة إليهم.
- فقدان الحميمية و تزعزع الروابط الاجتماعية التي كان المجال التقليدي يضمنها ويدعمها .
- فقدان الخصوصية (الحُرمة) التي توفرها هيكلة المجال القروي التقليدي.
- فقدان معالم التوجه و صعوبة الحركة داخل المجال الجديد

و على لسان السكان يلخص كل من بوريو و صياد هذه التبعات « ***منازلنا أقفاص، ... نحن كالسردين في العلب .....، لقد أُجبرنا على بناء سجوننا بأيدينا ..... لا نعرف أين نحن إننا نعاني من صـــعوبة تحديد الوجهة التي نسير وفقها نحن كمن يسير في ظلمات الليل***»[1]

الخلاصة أن هذه السياسة أثرت على المجال القروي التقليدي بشكل سلبي رغم أهدافها الايجابيـــة المعلنة و أنها طفرة غير عادية في عملية التشكل و التحول التي مر بها المجال الريفي الجزائـــري اتســـمت بالتَغير الجذري السريع و الإجباري .... و كما سبق و أن اشرنا إليه مجيء الاستقلال وضع حداً نهائيـــا لتطبيق هذا المخطط حيث أُهملت معظم مراكز التجميع و القرى الجديدة من قبل الســـكان ليلتحقـــوا بالمدن أو قراهم الأصلية.

بالاستقلال إذًا فتحت صفحات أخرى لتكتب فيها تطلعات، طموحات و أهداف كانت خلال الثورة التحريرية أحلاما و أمنيات لتنضج شيئاً فشيئاً على شكل سياسات للتنمية الريفية بعد سنوات من الاستقلال و لعل أهمها الثورة الزراعية.

2-3-2 سياسات التنمية الريفية بعد الاستقلال:

لعل موضوع سياسات التنمية الريفية يتعدى إطار دراستنا هذه التي تركز على المجـــال القـــروي كموضوع للبحث، لكن رغبتنا في استيفاء الجوانب التي لها علاقة بلب الموضوع يفرض علينا التطـــرق إليها ولو بإيجاز و بشكل انتقائي.

مرحلة ما بعد الاستقلال شهدت تجارباً تنموية ريفية عديدة قد تختلف وقد تلتقـــي في بعـــض جوانبها و لعل أهم ما ميز المرحلة المبكرة من الاستقلال هو السعي إلى إعادة الصياغة لنمط التملـــك و الاستغلال للمجال الذي وُرِثَ عن العهد الاستعماري الأمر الذي تحقق على مراحل بتطبيـــق سياســـة التسيير الذاتي على المستثمرات التي كان في يد الأوروبيين و على الأراضي التي تم تأميمها[2].

[1] -BOURDIEU , Pierre. & SAYAD. A, *Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie*, Paris : Ed Minuit, 1964. P. 154 d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.168.

[2]- **السويدي، محمد.** المرجع السابق، ص ص. 121-124.

استعادة الجزائريين لأراضيهم لم يحد من تناقص الإنتاج الفلاحي الأمر الذي عقَّد الظروف المعيشية للمواطن الجزائري بشكل عام و الفلاحين على وجه الخصوص؛ كما أن النزوح الريفي عرف اطرادًا كبيراً في هذه المرحلة. هذه الأسباب و غيرها دفعت النظام القائم إلى إعلان بداية مشروع الثورة الزراعية سنة 1971[1].

2-3-2-1الثورة الزراعية الأهداف، التطبيق و ردود الأفعال:

سبقت الثورة الزراعية عدة ثورات مماثلة عبر العالم و لعل أهمها ثورتي كل من روسيا و الصين. على خطى هذين البلدين و غيرهما حاولت الجزائر تبني نظام زراعي يقوم على مبدأين أساسيين هما مركزية التخطيط و الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج.

2-3-2-1-1 أهداف الثورة الزراعية:

على المدى البعيد كانت هذه السياسة تهدف إلى « ***التحويل الجذري للمجال الريفي كي يستجيب لمتطلبات التنمية و التقدم و الاندماج في الاقتصاد الوطني الحديث***»[2] وذلك يتطلب تحقيق الأهداف المرحلية التالية[3]:

- تطوير الاقتصاد الريفي من اقتصاد معاشي إلى اقتصاد منتج لتزويد السوق المحلية و الوطنية بالمنتجات الزراعية و الحيوانية و تصدير الفائض إلى السوق العالمية .
- تحديث وسائل الإنتاج و بنية القطاع الفلاحي ككل.
- تحسين الوضعية الاجتماعية و الاقتصادية لسكان الريف.
- الحد من هجرة سكان الريف نحو المدن.

وعلى شاكلة الإستراتيجيات التنموية الأخرى تتضمن هذه السياسة جانبين أساسين هما الجانب الإيديولوجي و الجانب التطبيقي.

الجانب الأول يتلخص في مبادئ الاشتراكية أما الجانب الثاني فيتمثل في السُبُل و الآليات التي من خلالها يتم تحقيق هذه النقلة النوعية من النظام الزراعي التقليدي إلى النهج الجديد (اشتراكية الإنتاج و الاستهلاك). حسب منضري تلك الحقبة تحقيق ذلك يستلزم التغيير الجذري لطرق الإنتاج و أساليب المعيشة التي ألفها سكان الريف و ذلك بالاعتماد على التخطيط الاجتماعي، الدعاية و الترويج للأفكار

[1] -MAHDJOUBI, Lamine. op., cit., P.179.

[2] - الميثاق الوطني سنة 1976.عن محجوبي لمين المصدر السابق. ص179.

[3] - MAHDJOUBI, Lamine. op., cit., P-P. 179-180.

الجديدة، تغيير المجال المعيشي بشكل عام و العمراني و المعماري بشكل خاص ببناء 1000 قرية فلاحية وبتغير نمط ملكية الأرض الأمر الذي يعني ثورة بالمفهوم الشيوعي على الأوضاع القائمة.

هذا النهج يذكرنا بتجارب الإصلاح الاجتماعي التي شهدتها أوربا في القرن التاسع عشر و التي لم تفلح في بلوغ أهدافها و لعل تجربتي كل من روبيرت أون (Robert OWEN) و شارل فوري (Charles FOURIER)[1]خير دليل على ذلك.

الاعتقاد بأن القيم و السلوكيات التقليدية عائق لتحقيق التطور السريع ليست حقيقة مطلقة الأمر الذي ذهب إليه لونج نورمان في قوله « ***هنالك الكثير من البديهيات التي تؤكد أن ما يسمى بالقيم و العلاقات الاجتماعية التقليدية تتناسب و تتماشى مع التنمية و التقدم***»[2]. إذن من الناحية المبدئية تحقيق النتائج المرجوة من الثورة الزراعية يبدو ليس أمراً هيناً لأنه يتطلب إعادة صياغة جذرية لظواهر اجتماعية تتعارض حتماً و أهدافها بل أبعد من ذلك هذه الظواهر يمكن أن تتكامل معها و تدعمها كما هو الحال في التجربة الصينية التي قامت على الاحترام و التكامل مع النسق المعيشي القائم.[3]

2-3-2-1-2 تطبيق الثورة الزراعية الآليات و ردود الأفعال:

تحت شعار « الأرض لمن يخدمها » و شعار « القضاء على استغلال الإنسان للإنسان » شُرِع في تطبيق الإجراءات الأولية للثورة الزراعية و التي أدت إعادة صياغة واسعة النطاق لنمط ملكية الأرض (الفلاحية على وجه الخصوص) و لعل أهم هذه الإجراءات تتمثل فيما يلي[4]:

- تأميم جميع الأراضي التي غاب ملاكها.
- وضع حد أقصى لمساحة الأرض التي يمكن امتلاكها من طرف الخواص حسب نوعية الأرض و حجم العائلة.
- توزيع الأرضي المؤممة و أراضي قطاع التسيير الذاتي على مزارعين صغار ضمن تعاونيات جماعية للإنتاج تضم 20 فلاح على الأقل يعملون في حدود مساحة من الأرض قدرها حوالي 2350 هكتار.

[1] "FOURIER, Charles." *Microsoft® Encarta®* 2006 [CD]. Microsoft Corporation, 2005.
[2] - LONG, N. *An introduction to the sociology of rural development*, Tavistock publications. 1977, P30. MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.181.
[3] - WARD, H. *World powers in the twentieth century*, **BBC** and Heineman éducational Books, 1978. XIII. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op., cit., P. 185.
[4] - MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.182.

- تزويد كل البلديات بتعاونيات متعددة الخدمات مهمتها من جهة إمداد الفلاحين بالبذور، الآليات و السماد و من جهة أخرى القيام بجمع و تسويق الإنتاج الفلاحي.
- الشروع في إنجاز القرى الفلاحية الاشتراكية.

هذا و بالإضافة إلى التحديات المبدئية اعترض تطبيق الثورة الزراعية العديد من العقبات و المشاكل المترابطة لعل من أهمها ما يلي:[1]

- الكثير من مُلاَّك الأراضي الصغار كانوا مترددين في التعامل مع كل مظاهر النظام الفلاحي الجديد (التعاونيات المتعددة الخدمات، القرى الفلاحية، ...إلخ.) حيث لم تستقطب الثورة الزراعية سوى نسبة قليلة من الفلاحين البسطاء و خصوصاً منهم الذين لا يمتلكون أراضي زراعية.
- النقص الكبير لليد العاملة في الكثير من المستثمرات الفلاحية أدى بصنّاع القرار إلى تحويل الفلاحين من مناطق بعيدة لملئ الفراغ إذ تم تحويل أكثر 35 %[2] من السكان بعيداً عن مواطنهم الأصلية.
- تردد ملاك الأرض في ضم أراضيهم إلى التعاونيات الفلاحية الاشتراكية من جهة يعود إلى تعارض النظام الجديد و النمط المعيشي السائد (أساليب الإنتاج و الاستهلاك، نظام الملكية، العلاقات الاجتماعية... الخ.) و من جهة أخرى يعود إلى استفحال التعفن البيروقراطي في تسيير و إدارة هذه التعاونيات[3].

2-3-2-1-2-1القرى الاشتراكية نقاط القوة ونقاط الضعف:

مشروع الألف قرية اشتراكية يمثل أحد الوسائل التي اعتمدها صناع القرار من أجل التوصل إلى التغير الجذري للبنية الاجتماعية الاقتصادية و الثقافية التقليدية اعتقاداً منهم أن تحسين الظروف المعيشية و تغير المجال يؤدي حتماً إلى تحوير الذهنيات لتتقبل و تتبنى الإيديولوجية الاشتراكية كنهج جديد في الحياة. من جهة أخرى المشروع كان يهدف إلى إعادة الهيكلة الكلية للمجال الريفي بشكل يؤهله ليكون أكثر استجابة لمتطلبات و مستلزمات النظام الاقتصادي الجديد.

[1] -MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.182.
[2]-MUTIN, G. *La Mitidja, décolonisation et espace géographique*, Paris : C.N.R.S. 1982., P 293, MAHDJOUBI, Lamine. op., cit., P.183.
[3] -MAHDJOUBI, Lamine. op., cit., P.185.

على نطاق واسع يشمل معظم المناطق المأهولة من الريف الجزائري شُرع في تطبيق المخطط حيث حُدِّدَ لكل قرية فلاحية دورها الأساسي ضمن المجال الريفي حسب ما تُمليه عوائق و مؤهلات كل منطقة وهو ما يعد نقلة نوعية مقارنة بسياسة التنمية الريفية الاستعمارية بل أبعد من ذلك تم تحديد أهداف إستراتجيات واضحة لكل القرى حسب مواقعها ذكرها لمين محجوبي[1] نقلاً عن بربنر فيليب (BREBNER Philip)[2] نذكر منها ما يلي:

توطين عمال التعاونيات الفلاحية و عمال قطاع التسيير الذاتي في مناطق استصلاح الأراضي .

- تحويل بنية التوطن في المناطق المستصلحة .
- الحد من ظاهرة التزوح الريفي نحو المدن بخلق ظروف منافسة (العمل، السكن...الخ).
- توسيع قاعدة التوطن الريفي نحو المناطق السهبية بإنجاز مراكز ريفية الغرض منها الإسهام في توطين واستقرار السكان البدو.
- تدعيم المناطق المحرومة بمراكز ريفية تظم المرافق العمومية الأساسية.

وتم وضع سلم لهراركية القرى بغرض تحديد احتياجاتها، تضم هذه الهراركية ثلاث أنماط من القرى هي:

النمط الأول: تظم من 100 إلى 250 مسكن يقطنها من 700 إلى 1400 ساكن. هذا النمط يتطلب بناء قرية جديدة أو توسيع النسيج العمراني القديم مع تزويده بالمرافق القاعدية (الإدارية، الصحية، التربوية و الدينية).[3]

النمط الثاني: يظم من 250 إلى 300 مسكن يقطن بها من 740 على 2450 ساكن يتطلب بالإضافة إلى الخدمات القاعدية تزويده بمرافق تلبي حاجياته و حاجيات سكان المناطق المحيطة به [4].

النمط الثالث: يتطلب بالإضافة إلى توسيع التوطن الموجود أو بناء قرية جديدة التطوير بشكل يؤهله ليلعب دور قطب محلي متعدد الخدمات (تجاري، صناعي، إداري وفلاحي) ويشترط فيه أن يظم أكثر من 700 مسكن يقطنها من 2800 إلى 4900. [5]

هذا ورغم وضوح أهداف المشروع و التطلعات الكبيرة من ورائه إلا أنه عان خلال مراحل إنجازه من الكثير من العوائق و التحديات لتضاف إلى التحديات المبدئية المذكورة. هذه العقبات تتعلق

[1]-MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.187.
[2]-BREBNER, Philip. Algeria : the transformation of a settlement system, *third world planning review* . February 1981, Vol 03 : 43-56.
[3] -MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P 189.
[4] -Idem. P189.
[5] -MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P 189.

من جهة بتأهيل المشرفين على تطبيق المشروع ومن جهة ثانية تتعلق باختيار مواقع القرى الفلاحية الجديدة.

مشكلة التكوين تظهر من خلال المرحلة الأولية لجمع المعلومات التي يتم توظيفها في اختيار مواقع القرى و إعداد مخططات الإنجاز ؛ فلسوء الحظ لم تُعد أي دراسة بالمعنى الكامل بل أسوء من ذلك المضمون الحقيقي لأهداف المخطط لم تفهم أصلاً ففي هذا الصدد تساءل جعفر لسبت « ***هل مُعِدُو الدراسات قاموا فعلاً بزيارة مواقع الإنجاز؟*** »[1] هذا و من جهة أخرى تسبب كل من الإهمال و استفحال البيروقراطية في تعقيد الكثير من الحالات. كما أنه في كثير من الحالات تطفوا إلى السطح التحديات المبدئية على شكل صراع بين مصالح وأهداف المسئولين ورغبات وسلوكيات الفلاحين فعوض الأخذ بعين الاعتبار للخصائص الاجتماعية و الاقتصادية المحلية يركز صناع القرار على الشعارات و الاعتبارات السياسية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.[2]

من جهة أخرى طغت الاعتبارات التقنية البحتة على غيرها في أولويات أمانة الدولة للتخطيط (Secrétariat d'Etat au plan) و يظهر ذلك من خلال الدراسة التي أعدتها هذه الأخيرة بخصوص المعلومات الواجب جمعها قبل اختيار المواضع المستقبلية لبناء القرى الفلاحية حيث أن المواقع التي تكون قريبة من محاور المواصلات الرئيسية و خطوط الكهرباء ذات الجهد العالي هي التي تحظى بالأسبقية[3].

هذا وقد ضل الجانب المعماري و العمراني للقرى الاشتراكية محل انتقاد العام و الخاص كونها لم تعط للاعتبارات الاجتماعية و الثقافية القدر اللازم من الاهتمام و لعل الأمر يعود إلى ما ذهب إليه أموس رابوبور (Amos RAPOPORT) «***المهندسون المعماريون و الجماهير لديهم قيم وقناعات مختلفة...***»[4] و حسبه كذلك الصعوبة تكمن في فهم المهندس المعماري لثقافة السكان و ما ينجر عنها من تصميم خاص للمجال المبني. تجاهلَ مهندسوا القرى الاشتراكية لتطلعات، تمثلات، قيم وعادات السكان وراحوا يصممون نمط السكن **"المثالي"** الذي يعتقدونه الأفضل لهم. كما ساد الاعتقاد لدى

[1]-LESBET, Djaâfer. *Les 1000 villages socialistes en Algérie*, Alger: Ed O.P.U, 1979. p 96. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P. 191.
[2] - MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P. 191.
[3]-MAURER, G. Les villages socialistes en Algérie, in : *Formes de croissance urbaine au Maghreb.* C.N.R.S, 1982. p.286. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P191.
[4]-RAPOPORT, Amos. *House Form and culture, Englewood cliffs,* New Jersey: Prentice Hall, 1969. P. 52, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.199.

صناع القرار أن السكن الريفي التقليدي دون المستوى المطلوب اجتماعياً، وصحيا و جمالياً بل أبعد من ذلك طغت النظرة الإيديولوجية التي تهدف إلى استئصال روح الفردية و الذاتية التي ترتبط بأنماط السكن التقليدي[1].

نظرة المسئولين السلبية تجاه النسيج العمراني القديم جعلهم يركزون على البعد الجمالي في القرى الاشتراكية الجديدة كحل للقضاء على وضاعة المنظر و بالتالي فُرِضَ على السكان عدم القيام بأي تغييرات في المباني يؤدي إلى تشويه المنظر العام للقرية [2]. الجزء الوحيد الذي يُسمح بتعديله هو مساحة صغيرة بجانب المسكن مخصص لتوسيع هذا الأخير عند الحاجة انظر الشكلين (34)، (35) لوحة (20)

التركيز على البعد الجمالي و الصحي أدى بالمصممين إلى عدم إدراج الفضاء المخصص لإيواء الحيوانات ضمن المنزل واقتراح إسطبل جماعي منفصل عن السكنات ضماناً لراحة السكان - في اعتقادهم- وهو ما لم يستسيغه السكان و لم يتقبلوه « ***إنها وظيفة النساء من غير الممكن أن يقوم بها الرجل، أنا لا أقبل أن تحلب زوجتي خارج المنزل***»[3] نتيجة لذلك أهمل الكثير من السكان تربية الحيوانات و انعكس ذلك سلباً على مداخيلهم.

في العديد من القرى تم اعتماد نمط التخطيط الأوروبي الذي تتركز فيه المرافق العمومية في مركز القرية بينما تنتظم حولها الأحياء السكنية انظر الشكل لوحة (21).

وهذا يعني استقطاب الفلاحين من المناطق المجاورة لقضاء حاجياتهم مما يتسبب في فقدان السكان السيطرة على حركة الدخول إلى و الخروج من القرية الفلاحية و هو ما يتعارض مع تقاليد و أعراف و خصوصيات المجتمع الريفي.

الدراسات التي أنجزت حول هذه التجربة الإنمائية الفريدة في تاريخ الجزائر المستقلة سجلت بالإضافة إلى النقائص المذكورة نقائص أخرى، منها التي تتعلق بعدم مراعاة الحجم الحقيقي للأسرة الريفية[4] و منها التي تتعلق بمواد البناء المستعملة التي من جهة قد لا تتناسب و وظائف العائلة ومن جهة أخرى لم تشكل في أي حال من الأحوال الاختيار الأمثل و السديد لعدم توفر الأيدي العاملة المؤهلة التي تتقن استعمالها و لكونها مكلفة إذ ازداد استيراد مواد البناء بشتى أنواعها بنسبة 725 % خلال

[1]-MEGRAND, R , Les villages socialiste en Algérie, in *les influences occidentales dans les villes maghrébines à l'époque contemporaine*, C.N.R.S, Axe en Provence, 1970.P. 186, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P200.
[2]-Circulaire M.P.T.C 1976, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.206.
[3]- LESBET, Djaâfer. Op. cit., p 194. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.202.
[4] - LESBET, Djaâfer. Op. cit., p 194. D'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., PP.207- 209.

الفترة الممتدة ما بين 1969 و 1977 م[1]. من جهة أخرى [2]تجربة القرى الاشتراكية الفلاحة سمحـــت باستحداث أحد وسائل تسير والتحكم في تحول المجال الريفي بشكل عام و القروي على وجه الخصوص. التي تتمثل في مخطط التوجيه العمراني .(Plan d'Urbanisme Directeur P.U.D) الذي تم إعادة صياغته من طـــرف الصـــندوق الجزائـــري لتهيئـــة الإقلـــيم (Caisse Algérienne d'Aménagement de Territoire) ليتماشى و الواقع الجزائري. الهدف منه يظهر من خلال تسميته و يتمثل في توجيه و تنظيم المجال (العمراني و الريفي) ليتماشى و متطلبات العصـــرنة. حســـب جـــورج مـــوتى (Georges MUTIN)[3] هذا المسعى لم يحقق على أي حال من الأحوال الأهداف المتوخاة منه. كونه في الواقع لا يمثل سوى وسيلة تسيير لا تولي أي اعتبار للإمكانيات الحقيقية (البشرية و الطبيعية) و هو مـــا أكـــده مولود شقراني (Mouloud CHERGANI) في دراسته عن أدوات التعمير في المجال الجبلي القبائلي[4].

و في نفس السياق لابد من التطرق إلى آخر نموذج من وسائل التحكم في التهيئة و التعمير الذي تم استحداثه بالقانون 29/90 المؤرخ في يوم 90/12/01 و هو المخطط التوجيهي للتهيئة والعمراني (P.D.A.U) و هو أداة تقنية استشرافية مرفقة بأداة أخرى تقنية وقانونية هي مخـــــطط شغل الأراضـــــــي

(Plan d'Occupation au Sol) الدراسات التقييمية الأولية التي أجريت على هذه الوسائل الأخيرة بينت مدى عجزها على استيعاب الأبعاد المختلفة للتحول في المجال الحضري كما في المجال الريفي. وهي الآن في معظمها في طور المراجعة و التجديد

[1] -Idem , P 195. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P.209.

[2] - جُل المعلمات المتضمنة في هذه الصفحة مستقاة من المصدر التالي :

BACHAKH, Houria. *Mécanismes de formation / transformation de l'environnement bâti : essai de l'identification de l'environnement villageois kabyle, le cas de Aith yeni.* thèse de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1998. P-P .67-73.

[3] - MUTIN, G. « la politique urbaine Algérienne » P-P. 121-147 in *« politique urbaine dans le mande Arabe »* , édition SINDBAD,1984.

[4] - CHAGRANI, M. *Urbanisation et organisation de l'espace montagnard, cas de Larbâ- Nathirathen , une commune de Djurjura*. Thèse de magistère en urbanisme en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1988.

لوحـــــــــــة رقم : 20

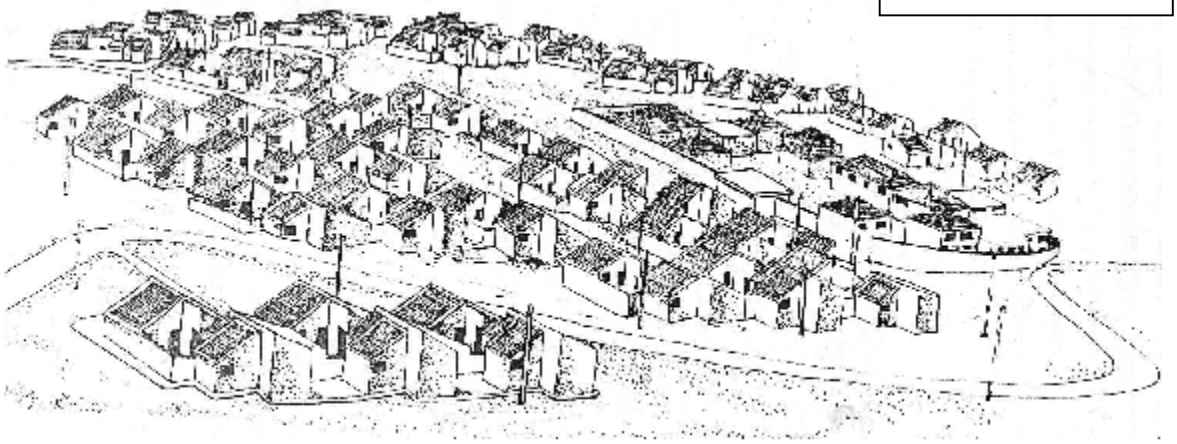

شكل رقم 34: جانب من إحدى القرى الاشتراكية.

من الشكل يتبين قدر الاهتمام الذي أولي للجانب الجمالي في تصميم القرى الاشتراكية إلى درجة تكاد تنعدم معها إمكانية التوسيع أو التحوير.

Source: MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., p. 201.

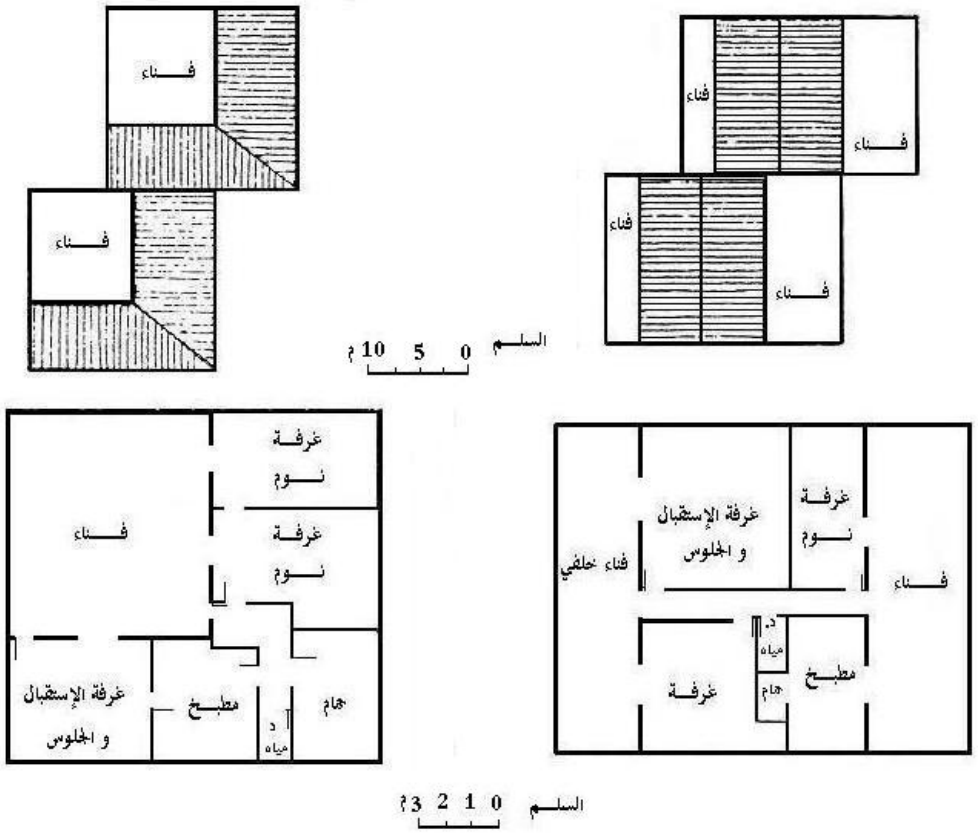

شكل رقم 35: عينات من مخططات مساكن القرى الاشتراكية.

Source: LESBET, Djaâfer. op. cit., PP. 150 – 151. d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., P .205

لوحـــــــة رقم : 21

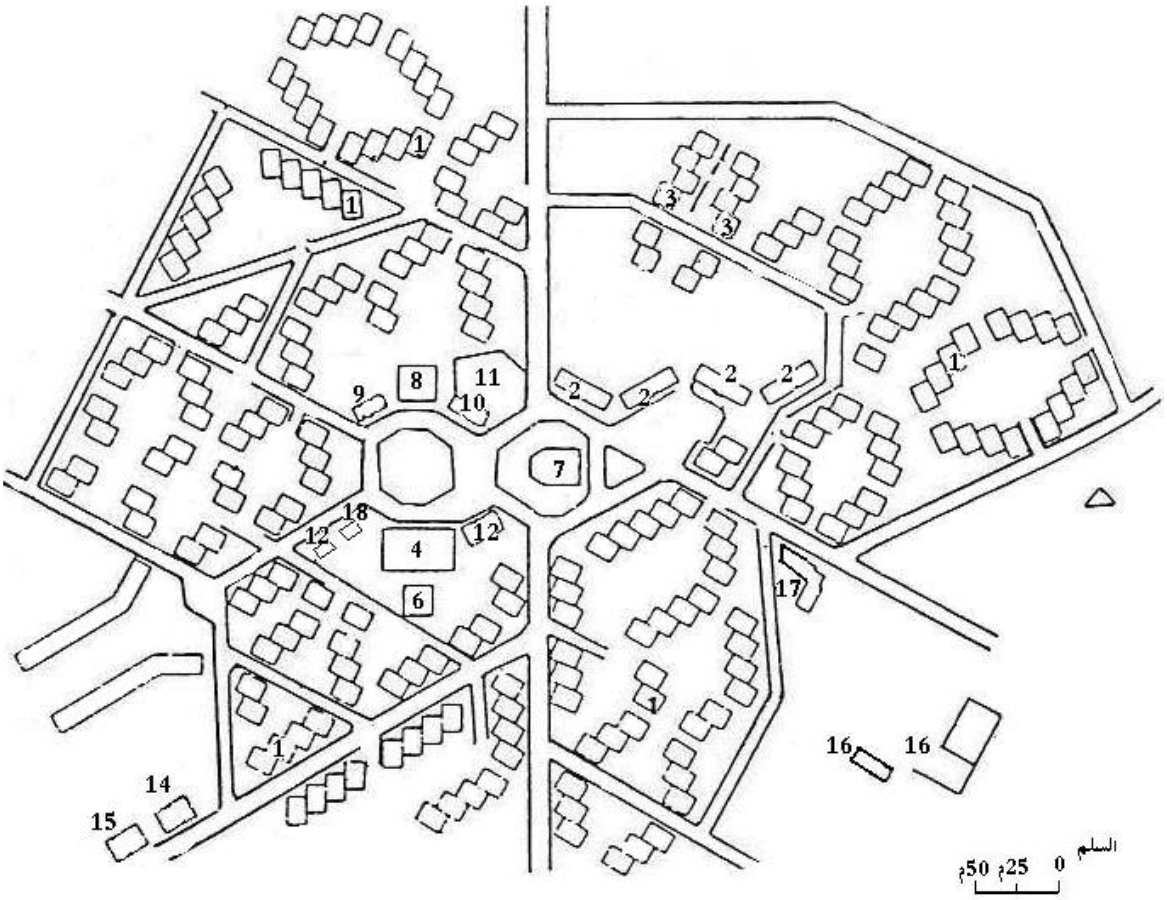

1- مســـاكـــــن
2- مدرســـــــــــة
3- مساكن المـــدرسين
4 - سوق الفـــــــلاح
5- مصحـــــــــة
6- مركز متعدد الخـــدمات
7- مسجـــــــــد
8 – حمـــــــــام عمومي
9- مقهـــــــــى
10- محـــــــــلات
11- ســـــــــوق
12- بنـــــــــك
13- تعاونية فلاحيـــــة
14- مـــــــــرآب
15- مذبـــــــــح
16- ملعـــــــــب
17- نادى الشـــــاب
18- مكـــــــتب بريدى

شكل رقم 01: مخطط عام للقرية الاشتراكية ديـــــة التـــــــرفاس.

Source: LESBET, Djaâfer. op. cit.,PP 150 – 151, d'après MAHDJOUBI, Lamine. op. cit., p.205.

من خلال التطرق العابر إلى بعض سياسات التنمية الريفية خلال الفترة الاستعمارية ثم من بداية الاستقلال إلى غاية بداية الثمانينات من القرن الماضي يظهر لنا جلياً أن محاولات تحسين الأوضاع في المجال الريفي لم تحقق من الأهداف المعلقة عليها سوى النسبة البسيطة و ذلك لعدة أسباب لعل أبرزها هو النقص الفادح في الدراسات الأولية المتخصصة و المركزة كونها الوسيلة الوحيدة للحصول على المعلومات الأساسية التي يتم توظيفها للتخطيط والبرمجة المستقبلية. فخلال الفترة الاستعمارية كما هو الحال بعد الاستقلال حاول صناع القرار بمعية المخططين تغير الأوضاع التقليدية إلى أوضاع جديدة لا تتماشى و الخصوصيات المحلية للمجتمع الريفي. التجاهل للأوضاع القائمة بفرض محيط معيشي يتناقض و أساليب معيشة الريفيين عقد كثيراً حياتهم خلال مراحل التحوّل التي مرّ بها المجال الريفي.

لا يزال المجال الريفي خاضعاً لقانون التحول وعوامله سواءً المتعلقة بسياسات التنمية أو بعوامل أخرى كالهجرة و العولمة...إلخ.

2-4 التوجه الحالي لسياسة التنمية الريفية بالجزائر:

خلال السنوات الأخيرة شرعت الجزائر في إرساء الآليات و القواعد لنهج جديد في حقل التنمية الريفية ، يندرج ضمن سياق الإصلاحات الشاملة التي شرع فيها بهدف أقلمة الاقتصاد الوطني مع قواعد اقتصاد السوق، تجاوز حالة الأزمة المتعددة الأوجه المتمخضة عن العشرية السوداء[1] و ما قبلها و كذا مسايرة التحولات الاقتصادية والاجتماعية العالمية [2]. يتمثل هذا الطرح في سياسة التجديد الريفي.

2-4-1 سياسة التجديد الريفي تجربة في المهد:

التجديد الريفي (**le renouveau rural**) هي التسمية الواعدة التي أطلقت على هذه السياسة التي تهدف إلى «***... إعادة تقيم، تصحيح و تحديث التجارب التنموية السابقة وكذلك الابتكار و التأقلم على استغلال واستعمال الطرق الاقتصادية الحديثة التي تعتمد على المعارف العلمية ...***»[3]

بالإضافة إلى تدارك النقائص كما تهدف إلى توفير إطار وسبل إنعاش تدريجي للمناطق الريفية من خلال علاقة جديدة بين الفاعلين العموميين و الخواص في إطار مسار لا مركزي وينصب ضمن حركية تنموية مندجة وتساهمية[4] .

سياسة التجديد الريفي الهدف منها كذلك التطوير الاقتصادي للبلاد بإشراك مختلف المناطق الريفية كما تتضمن في طياتها بسط الحكم الراشد و التنمية المستدامة و المساواة في الحصول على الخدمات الأساسية بالإضافة إلى ترقية اللا مركزية و التماسك الاجتماعي [5] هذه الرؤية يمكن توضيحها من خلال الشكل رقم (37).

في ما يلي سنحاول التطرق بشكل مختصر إلى أهم جوانب هذه السياسة التي لاتزال قيد التجربة.بهدف استيعاب التحولات المجالية الراهنة في حيثياتها(النظرية، التحضيرية والرسمية) .

---

[1] – *L'Algérie en mouvement " le renouveau rural"* (dossier publié le 13 février 2007 par le quotidien ELMOUDJHID). [En ligne]. ‹/http:// mddr.gov.dz/ppdristatic/index.htm›, (Page consulter le 20/05/2007).

[2] – Idem.

[3] – Ibid.

[4] - نص الحديث الذي أجراه رئيس الجمهورية بوتفليقة ل (واج) حول التنمية الشاملة بالجزائر متوفر على الرابط التالي :
http://193.194.78.233/ma_ar/stories.php?story=06/09/17/5299069. (تمت زيارة الموقع يوم 2007/05/20 على الساعة 19و 20دقيقة)

[5] -Ministre délégué chargé du développement rural (M.D.C.D.R) , *Approche Méthodologique pour la mise en ouvre des projets de proximité de développement rural intégré P.P.D.R.I*, 2006, P.02.

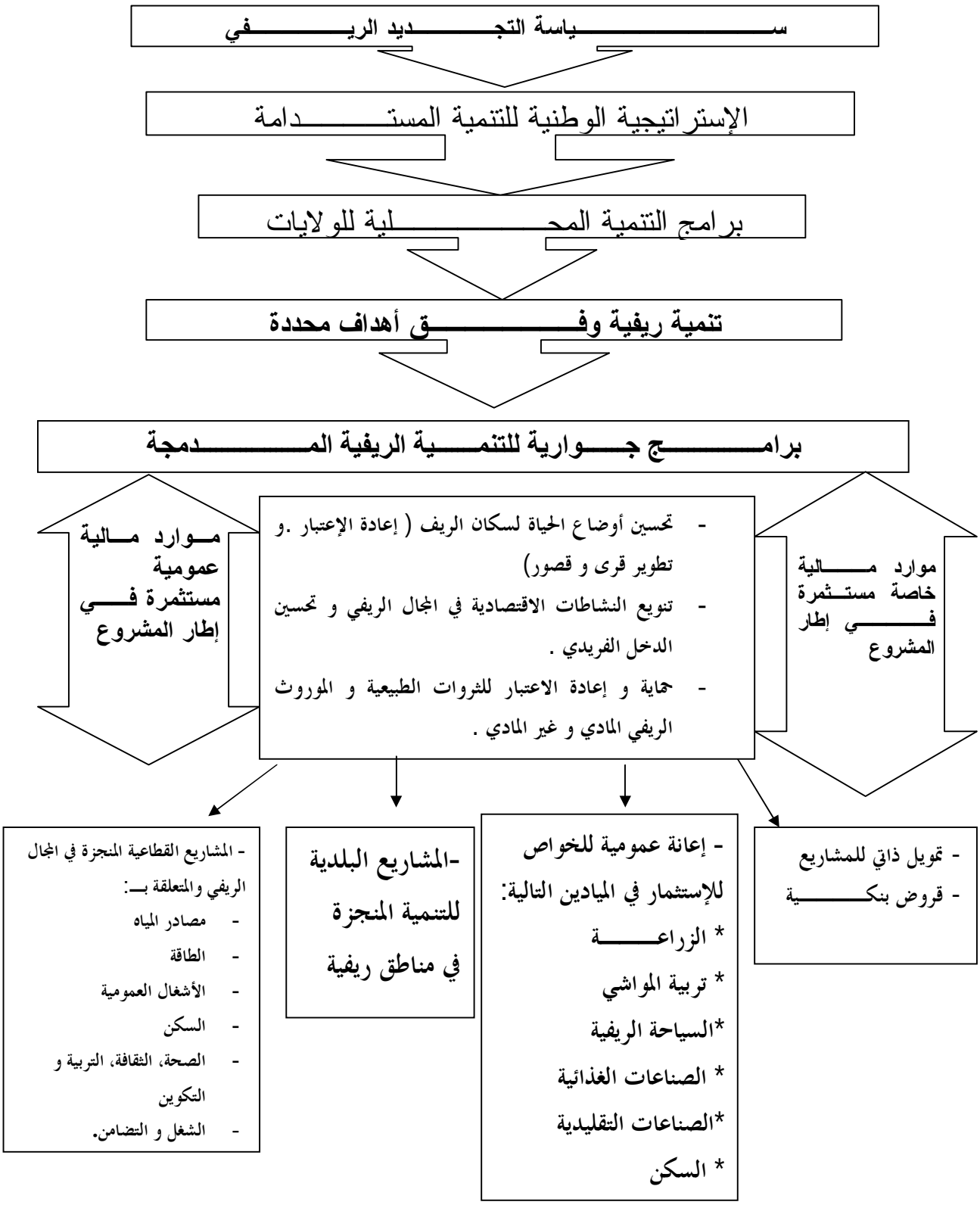

الشكل رقم 37: تمثيل بياني عام لسياسة التجديد الريفي

Source: Ministre délégué chargé du développement rural (M.D.C.D.R), *Approche Méthodologique pour la mise en ouvre des projets de proximité de développement rural intégré P.P.D.R.I*, 2006, P.03.

2-4-1-1 بعض الجوانب التحضيرية لسياسة التجديد الريفي:

سنة 2006 تعد مرحلة حاسمة في مسار إعداد مشروع التجديد الريفي حيث شهدت توسيع آفاق التطبيق لمبادئ إستراتيجية التنمية الريفية المستدامة، وذلك لتوفر العوامل المحفزة التالية:

1- الإرادة السياسية التي تظهر في تصريح رئيس الجمهورية التالي:« ***نظرا لتاريخها البعيد والقريب و واقعها، إمكانياتها، طموحاتها وآفاقها بلادنا اعتمدت التنمية المتوازنة في مجمل أقاليمها بما في ذلك ما يتعلق بالتنمية الريفية كضرورة ملحة اقتصاديا، اجتماعيا، أمنيا، ثقافيا و إيكولوجيا.***[1]»

2- تحس الأمن في الوسط الريفي.

3- توسيع سياسة اللامركزية والإنعاش الاقتصادي.

4- الشراكة الموسعة إلى المؤسسات الفاعلة في المجال الريفي[2].

مشروع التجديد الريفي مر على عدة مراحل تحضيرية يمكن تلخيصها فيما يلي:

المرحلة الأولى:2002-2003: تضمنت دراسات أولية ومشاورات، صبر للآراء، زيارات ميدانية و استطلاعات حول احتياجات وتطلعات السكان ثم عرض النتائج على مجلس الحكومة في جويليه 2003.

المرحلة الثانية 2003-2004: تضمنت فحص نتائج الدراسات السابقة و استغلالها في تحضير مشروع الإستراتيجية الوطنية للتنمية الريفية المستدامة (S.N.D.R.D) في جويلية 2004 م.

المرحلة الثالثة 2004-2005: وتتضمن ما يلي:

- التطبيق التجريبي للإستراتيجية الوطنية للتنمية الريفية المستدامة.
- إعداد الولايات لاستراتيجياتها الخاصة بالتنمية الريفية المستدامة.
- تفحص ودراسة النتائج المستخلصة من المرحلة التجريبية.

المرحلة الرابعة 2005: وتضمنت ما يلي:

- تقديم سياسة التجديد الريفي (P.R.R) (الرهانات، المفاهيم، المكونات، المبادئ ، الإجراءات الاقتراب، الوسائل التطبيقية والانجاز، المتابعة، التقييم والبرمجة.)
- اجتماع مجلس الحكومة في فيفري 2006.

[1] - *L'Algérie en mouvement " le renouveau rural"* (dossier publié le 13 février 2007 par le quotidien .ELMOUDJHID). [En ligne]. ‹/http:// mddr.gov.dz/ppdristatic/index.htm›, (Page consulter le 20/05/2007).
[2]- Idem.

- تعيين المجلس الوطني للتنمية الريفية (C.N.D.R) و48 خلية ولائية لتنشيط التنمية الريفية (C.A.D.R.W) في مارس 2006.
- اجتماع الولاة بالحكومة في جوان 2006.
- إعداد الوثيقة "التجديد الريفي".

المرحلة الخامسة 2006: اعتماد سياسة التجديد الريفي وإصدار تعليمات للحكومة من طرف رئيس الدولة للشروع في تطبيق برنامج دعم التجديد الريفي .(P.S.R.R).

2-4-1-2 المبادئ الاسياسة لسياسة التجديد الريفي: تتلخص هذه المبادئ فيما يلي

- دعم وتوفير شروط تنمية متوازنة ومتسقة
- دعم التآلف الاجتماعي و محاربة التهميش و الإقصاء
- تدعيم التكامل بين المجال الحضري و المجال الريفي.
- تنظيم التكامل بين المشاريع و البرامج.
- إشراك المجتمع المدني و دعم سياسة الشراكة
- بناء المشاريع من القاعدة نحو القمة.
- دعم النهج اللامركزي في التسيير.

السير وفق هذه المبادئ يتطلب من الدولة مرافقة على كل المستويات وهو ما تجسد من خلال برنامج دعم التجديد الريفي (P.S.R.R) الذي يتضمن الآليات و الأدوات و الإجراءات المقررة في هذا الإطار.

2-4-1-3 برنامج دعم التجديد الريفي:

يهدف إلى دعم المنظمات المحلية (جمعيات، تعاونيات مهنية)، الشركات المختلفة، (العمومية، الخاصة و المشتركة)، منتخبو الجماعات المحلية بشكل يسمح لهم بالانضمام في ديناميكية التجديد الريفي كما يهدف إلى دعم المصالح التقنية للوزارات المختلفة المشتَرِكة و السلطات اللامركزية لترقية التنمية الريفية في الولايات و ذلك من خلال الدعم التقني و المنهجي للتخطيط التصاعدي المتضمن في إستراتيجية التجديد الريفي[1]. من الآليات التي سطرت لتطبيق هذه السياسة نجد برامج التنمية الريفية

[1]- *L'Algérie en mouvement " le renouveau rural"* (dossier publié le 13 février 2007 par le quotidien ELMOUDJHID). [En ligne]. ‹/http:// mddr.gov.dz/ppdristatic/index.htm›, (Page consulter le 20/05/2007).

المدمجة للولايات (P.D.R.I.W) تظم مجمل البرامج الجوارية للتنمية الريفية المدمجة (P.P.D.R.I) التي تؤسس حول حول الأربعة مواضيع التالية[1]:

1 – تطوير أو إعادة الاعتبار لقرية أو قصر: (بتحسين نوعية وشروط الحياة في المجال الريفي).

2- تنويع النشاطات الاقتصادية في المجال الريفي (الاقتصاد المحلي ،التجارة ،السياحة الريفية، الصناعة التقليدية، تثمين الموارد المحلية، المؤسسات الصغيرة و المتوسطة، الطاقة المتجددة، تكنولوجيا المعلومات و الاتصال) و تحسين جاذبية المجال الريفي (عودة السكان، الشباب، جذب سكان جدد...إلخ.)

3- حماية و تثمين الثروات الطبيعية (الغابات، السهوب، الجبال، الواحات، الساحل...إلخ)

4-حماية وتثمين التراث الريفي المادي و غير المـــــــــــادي: المنتوجات المحلية، التراث العمراني

2-4-1-4 المشروع الجواري للتنمية الريفية المدمجة (P.P.D.R.I):

يشكل أداة التدخل المفضلة في إطار سياسة التجديد الريفي في المناطق الريفية. تسمح هذه الأداة التي أقيمت على أساس مسعى تساهمي بإدماج مختلف التدخلات و الموارد المالية و الميزانيات القطاعية و المحلية عند القاعدة بغرض تحقيق الأهداف المرجوة و يستند المشروع الجواري للتنمية الريفية المستدامة المتكاملة إلى المبادئ التالية:[2]

- التركيب التصاعدي للمشاريع الجوارية.
- تنظيم و تقنين مشاركة السكان المعنيين.
- ترقية مهام التنشيط و التسهيل و التنسيق و إعداد الشبكات.
- مستويات التحكم تتمثل في:

*المجموعات التي تقترح وتقبل المشروع المقترح.

* الدوائر التي تؤكد المشروع.

* إدارات الولايات التي تصدق المشروع.

* الوالي الذي يوافق على المشروع.

[1] - *L'Algérie en mouvement " le renouveau rural"* (dossier publié le 13 février 2007 par le quotidien ELMOUDJHID). [En ligne]. ‹/http:// mddr.gov.dz/ppdristatic/index.htm›, (Page consulter le 20/05/2007).

[2] - نص الحديث الذي أجراه رئيس الجمهورية بوتفليقة ل (واج) حول التنمية الشاملة بالجزائر متوفر على الرابط التالي :

http://193.194.78.233/ma_ar/stories.php?story=06/09/17/5299069. (تمت زيارة الموقع يوم 2007/05/20 على الساعة 19و 20دقيقة).

- معالجة الإشكاليات المحلية المتمثلة في مكافحة التصحر، تنمية تعددية النشاطات و ترقية الثروات و المهارات المحلية.
- الأولوية للسكان الأكثر عزلة.
- إدماج ديناميكية المشروع لديناميكية المنطقة.

تفاعل الاستثمارات ذات الاستغلال الجماعي و ذات الاستغلال الفردي.

- إدماج إجراءات التنمية الاقتصادية و الاجتماعية في القاعدة.
- نظام المتابعة و المراقبة من خلال الآثار.
- نظام المساعدة في القرارات الخاصة بالتنمية الريفية و هو نظام للتشخيص المشترك على مستوى المنطقة المعنية بالتنمية، تسمح بتحديد القدرات و توجيه التدخلات العمومية و تقيم مختلف البرامج و المشاريع الجاري تنفيذها.

سياسة التجديد الريفي التي أعدت في جانبها التنظيمي و النظري و تم تطبيقها بشكل تجريبي هي الآن في طور التطبيق الجزئي لتعمم خلال الأعوام الست المقبلة (2008-2013م) على جل المناطق الريفية تشكل بالنسبة إلينا نموذجا حيا يمكن تتبع مراحله و كذلك نتائجة وهذا بحكم اشرافنا على تطبيقها و متابعتها على مستوى دائرة بني ورثيلان (حالة الدراسة).

هذه السياسة استقطبت اهتمامنا لعد أسباب منها:

- كونها تشكل أحد جوانب تحول المجال القروي في المرحلة الراهنة على المستوى الوطني و المحلي.
- كونها تتضمن بعض الأجوبة النظرية عن التساؤل المطروح في بداية هذا لبحث و المتعلق بسبل ترشيد. التوطن الريفي الحالي بإشراك جل العناصر الفاعلة فيه مع مراعاة الإمكانيات و المعوقات المحلية لكل منطقة.
- كونها تهتم بالموروث التقليدي الريفي و ترقيته.
- كونها تهتم بالجوانب العمرانية و المعمارية في المجال القروي من خلال أحد المحاور الأربعة التي تبني. وفقها المشاريع الجوارية للتنمية الريفية (P.P.D.R.I).
- كونها تعتمد منهجية سياسية المشاركة (Politique participative) التي تعني إعداد المشاريع وبرمجتها من القاعدة نحو القمة الأمر الذي يعني في حالة توفر شروط النجاح تحقيق التحول التنموي دون التعارض و الخصوصيات المحلية الثقافية، الاجتماعية و الاقتصادية.

على ذكر التحول التنموي وفق الخصوصيات المحلية سنتطرق فيما يلي إلى المجال القروي القبائلي وخصوصياته من خلال إشكالية التحولات المجالية.

2-5 المجال القروي الجبلي القبائلي و إشكالية التحول[1]:

خلال العشريات الأخيرة فقدت العديد من الأوساط القروية التقليدية مميزاتها و خصوصياتها المحلية الشكلية (العمرانية و المعمارية) و الضمنية (الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية) و هذا إلى درجة يصعب على الباحث تبيان و تمييز تلك الخصائص التي ضلت تحتفظ بها لأحقاب عدة.

المجال القروي القبائلي مثال حي تتضح من خلال دراسته و التمعن في مختلف أبعاد هذه التحولات. فيما يلي سنحاول التطرق إلى حيثيات و تجليات هذه التحولات على ضوء بعض المراجع و الدراسات التي تناولت منطقة القبائل بشكل شامل أو التي تعرضت لأحد جوانبها. الهدف من هذا الجزء من البحث هو التعرف على أهم محطات تشكل و تحول المجال القروي القبائلي و كذا أهم مميزاته.

2-5-1 مرحلة ما قبل الاحتلال الاستيطاني الفرنسي:

المراجع القديمة التي تناولت منطقة القبائل تتميز غالباً بكونها جزئية[2] و ذات مقاربات اجتماعية و/أو جغرافية و لعل أعمال بن خلدون تشكل استثناءاً في هذا الصدد كونها شملت بالإضافة إلى الخصائص الجغرافية و الاجتماعية أبعاداً أخرى كالسياسية، العرقية و الثقافية، ففي كتابه المسمى **"كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** يبن أن البربر هم سكان شمال إفريقيا منذ عصور طويلة، لهم طريقة خاصة في التوطن و يعتمدون في المعاش على تربية المواشي و زراعة الأرض. في ذات الكتاب تعرض إلى تاريخ و أنساب معظم القبائل البربرية على الخصوص القبائلية منها و حسب عبد الحميد الفهري[3] فإن المعطيات التي دونها كتَّاب المغرب على رأسهم ابن خلدون و بن عذاري ساهمت كثيراً في معرفة حقائق لم تكن لتعرف إلا من خلال مؤلفاتهم.

فترة الاحتلال الفرنسي فتحت المجال لعدة أبحاث استكشافية هامة للمجال الجزائري بصفة عامة و القبائلي على وجه الخصوص و نذكر منها على سبيل المثال كتاب

---

[1] - استفدنا أثناء إعداد هذا المبحث من الدراسة السابقة التالية:

BACHAKH, Houria. *Mécanismes de formation / transformation de l'environnement bâti : essai de l'identification de l'environnement villageois kabyle, le cas de Aith yeni.* thèse de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1998. P-P 75-82.

[2] -كونها شملت حيز محدد من منطقة القبائل أو اكتفت بأحد جوانبه.

[3] - **المهدي، عبد الحميد.** البربر الجبالية في المغرب في العصور الوسطى *أعمال ملتقى دولي في التاريخ حول التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور من 23إلى 24 افريل 2001* م. منشورات مخبر الدراسات التارخية والفلسفية - جامعة قسنطينة، ص. 141.

«La formation des cités populaires sédentaires de l'Algérie» الذي ألفه إميل ماسكـــــــري (Emile MASQURY)1. والذي من خلاله حاول التعرض إلى عوامل نشأة و استمرارية التوطنات البشرية في الجزائر مُرَكِّزاً اهتمامه على مناطق المزاب، الشاوية والقبائل واستخلص أن هذه التوطنات تشترك في القواعد العامة التي نشأت وفقها كونها خضعت لتأثيرات ثقافية مشتركة، وحسبه اختلاف هذه المدن على في المظاهر الخارجية لا يعني اختلافها في الجوهر2 .

من جانب آخر جون كلود برل (Jean Claude BRULE) وجاك فونتان (Jaque FONTAINE) في دراستهما حول المجال الفيزيائي والمبني الجزائري[3] يميزان بين نمطين متماثلين في بناء وتنظيم المجال الجزائري وهما:

- مجال يسوده النظام القبلي (Tribal) أي تسيطر عليه القبائل، يتميز بالتجانس الاجتماعي والاعتماد على خدمة الأرض التي تستغل كملك (Melk). هذه القبائل عادة ما تكون مستقرة و تتربع على إقليم ثابت نسبياً.

- مجال يسوده نظام بدوي (Nomade) يخضع لسيطرة العروش (Clans) وتستغل الأرض فيه كملك عرش (Arch). هذه العروش تتميز بتنقلاتها الموسمية الدورية.

من خلال المراجع السابقة نستخلص أن منطقة القبائل تتميز بـــ :

- نظام قبلي وتوطن مستقر نسبياً أهم مظاهره القرية (ثَادَرْثْ، جمعها ثُدَّارْ في اللغة المحلية).
- الاستغلال المتوازن و المتكامل لأجزاء المجال الطبيعي حيث « ***يعتمدون على دورة الجبل في الزرع والتشجير و تربية الحيوان ويعيشون على قدر كبير من الكفاف و يوفرون حاجياتهم بكثير من العناء لكن مع قدر فائق من الانسجام***»[4].
- بعض المبادئ الأساسية التي ينبني عليها نمط الحياة و التوطن نذكر منها: التطوع و التكاتف لخدمة المصلحة العامة، المعارف والتقنيات التي يتقاسمها جل أفراد المجتمع و المتعلقة بمناحي الحياة

[1]-MASQUERAY, Emile. *Formation des cites chez les populations sédentaires de l'Algérie : kabyle de Djurdjura, Chaouia de l'Aures, Beni Mzab*, Axe en Provence : EDISUD, 1983, 374 P. (Archives Maghrébins, C.R.E.S.M).

[2]- MASQUERY, Emile. Op. cit., .P 20.

[3]-BRULE Jean Claude, FONTAINE Jacques. *Algérie : Volontarisme étatique et aménagement du territoire*. Alger : P.U.F, 1990, P-P. 106-140.

[4]-**المهدي، عبد الحميد.** المرجع السابق.

المختلفة، الرمزية التي نجدها في مختلف جوانب الحياة كذلك (المسكن، الملبس، التواصل...إلخ.) بالإضافة إلى الهراركية في تنظيم المجال المعماري والعمراني.

هذه الخصائص لعلها وليدة المسار التاريخي للمنطقة بما فيه من تأثير و تأثر فبعد اندثار المماليك النوميدية برز العديد من المجتمعات البربرية المنفصلة و المتمايزة نسبياً إلى درجة أنها أصبحت تشكل فسيفساء مجالية و مع مرور الزمن تكرس التمايز حيث تحددت معالم المجال القبائلي جغرافياً في الشمال الشرقي من الغرب الأوسط بين سهل متيجة الشرقي و سهل عنابة فهو يتربع على الجزء الشرقي من سلسلة جبال الأطلس التلي.

و كما أشرنا منطقة القبائل ضلت تحت تأثير عدة حضارات ساهمت كل منها بشكل أو بآخر في صياغة مضمونها الثقافي و محتواها الاجتماعي وبالتالي في تكوين خصائص التوطن البشري بها العمرانية منها والمعمارية ونذكر في هذا الصدد ما يلي:

- تأثير الحضارة الرومانية إذ لا تزال الشواهد الكثيرة دالة على استيطانه بهذه المنطقة حيث أسس بها عدة مدن .و تجمعات عمرانية نذكر كنها (SALDAE, CHOBA, SAVA, RASAZUS, PETRA, TUBUSUPTU….etc.)[1] كما بنوا الحصون العسكرية و شقوا الطرقات وأنجزوا القنوات لجلب الماء (Aqueducs).

- تأثير الحضارة البيزنطية التي هي بمثابة الوريث للحضارة الرومانية.

- تأثير الفتح الإسلامي الذي أدى إلى نهضة بالمنطقة حسب جون ديسبوا (Jean Despois) حيث عم انتشار الديانة الإسلامية المنطقة بتزايد نشاط الطرقية و الزوايا و الأولياء (Marabout) الذين كان لهم الدور الفعاّل في حل النزاعات و المناوشات التي تنشأ من حين للآخر بين القبائل. مجالياً تظهر بصمات هذه الحقبة من خلال الأضرحة التي بنية على قبور العديد من الأولياء تخليداً وتمجيداً لهم بالإضافة إلى المساجد و الزوايا، أماً اجتماعياً فمن خلال نشأة العديد من العائلات والقبائل الأشراف (Maraboutique).

- و يأتي دور الأتراك الذين عملوا امتلاك بعض الأراضي الخصبة و شيدوا بدورهم العديد من الحصون العسكرية والمباني الدينية (المساجد، المدارس، الزوايا...) وأقاموا نظاماً لجمع الضرائب لم يستسيغه السكان المحليين وقابلوه بالرفض و أد بهم الأمر إلى الانسحاب إلى المناطق الجبلية المعزولة تحسباً لأي استخدام للقوة ضدهم من قبل الأتراك.

[1] - DESSOMES. *Notes sur l'histoire des Kabylies*, Paris: *Tira, Drra Ben Kheda*,1992, P. 117.

حسب جاك فونتان إلى غاية الربع الأول من القرن التاسع عشر ضل المجال القروي القبائلي بشكلٍ مجمل يتفرد بخصوصيات تميزه في جوانبه الاقتصادية و السياسية والثقافية و التي يمكن حصرها فيما يلي:

-في المجال الاقتصادي تميز المجال القروي القبائلي بالاعتماد على الزراعة المعاشية، الصناعة التقليدية و التبادلات التجارية (الخارجية و الداخلية) التي تضمها شبكة من الأسواق القديمة.

- في الجانب الاجتماعي السياسي تميز المجال القبائلي بنمط تسيير محلي يعتمد على قوانين عرفية خاصة تسهر على تطبيقها، تعديلها و احترامها جماعة عقلاء القرية (ثَاجْمَعْثْ).

- أما الجانب الثقافي فيتلخص في بناء اجتماعي يسوده الانسجام ويتسم بالحرية و المساواة النسبيتين.

2-5-2 مرحلة الاحتلال الاستيطاني الفرنسي أو الزلزال المجالي الكبير:

كما سبق و أن رأينا، المجال القروي الجزائري شهد تحولات عميقة خلال فترة الاحتلال الاستغلالي و الاستيطاني الفرنسي الذي استمر حوالي قرن و نصف القرن من الزمن.

ابتداء من سنة 1844م شهدت منطقة القبائل توغل الاحتلال الجديد ليخضعها لسيطرته كامـــلة و لأول مرة في التاريخ فيما بعد. الاحتلال ومن أجل تسهيل الاستيطان والاستغلال و فرض نمط الخاص في تملك المجال سن قوانين تساعده على ذلك تتعلق بملكية الأرض أهمها التي أصدرت سنوات 1863، 1871و 1874م. تترجم تطبيق هذه القوانين على المجال القروي بما يلي :

- تقسيم منطقة القبائل إلى إقليمين قبائل كبرى و قبائل صغرى:
  - إقليم القبائل الكبرى يقع شمال غرب حوض الصمام و يضم مرتفعات جرجرة وما حولها.
  - إقليم القبائل الصغرى يقع جنوب شرق حوض الصومام.
- إحكام السيطرة عسكرياً على المنطقة مهد السبيل لمصادرة أخصب أراضي الأهالي لصالح المعمرين و طردهم إلى المناطق الفقيرة و المنحدرة.
- استغلال الأراضي الجبلية المنحدرة في الزراعة أدى مع مرور الزمن إلى انجراف التربة و تدني المشهد الطبيعي و من ثم الانحصار التدريجي للثروات المنتجة محلياً.
- بالتوازي مع تناقص عوامل الإنتاج الزراعي عرف النمو السكاني زيادة معتبرة خلال فترة الاحتلال الفرنسي الأمر الذي دفع بالسكان إلى تبني خيار الهجرة بحثاً عن العمل.
- الهجرة غيرت كثيراً من طباع وثقافة القرويين ونظرتهم إلى موطنهم الأصلي الأمر الذي تجسد وتجلى بشكل تدريجي في المجال خلال مراحل لاحقة.

- الهجرة من جهة أخرى أدت إلى إفراغ جزء كبير من شبكة القرى من محتواه الاجتماعي و الاقتصادي بينما أصبحت بعض التجمعات الحضرية القديمة والحديثة النشأة بحكم مواقعها أقطاب للتبادل و النمو الاقتصاديين. مدينة بجاية ومدينة تيزي وزو هما أكبر مثالين على هذه الأقطاب.

إعادة صياغة نمط التملك المجال خلال فترة الاحتلال الفرنسي تترجم بعمليات شملت المجال القبائلي على شاكلة المناطق الأخرى من الجزائر نذكر منها ما يلي:

- فك العزلة عن القرى بإنجاز طرق ومحاور للمواصلات تسهيلاً للسيطرة و الاستغلال.
- بناء المرافق العمومية كالمدارس، الكنائس، المصحات و مقرات المصالح الإدارية.
- إنجاز المنشآت العسكرية كالحصون، الثكنات ومراكز التعذيب.

هذه المرحلة من التحول المجالي تعتبر حلقة محورية من سلسلة التحولات التي عرفتها المنطقة بحكم العمق الذي اتسمت به وقِصر مدتها مقارنة بما سبقها و بحكم كونها مهدت السبيل لتحولات عمق فيما بعد.

2-5-3 تحولات ما بعد الاستقلال أو الورشة الدائمة:

استقلال الجزائر بعد أكثر من قرن وربع القرن من الزمن جاء بعد سنوات من الصراع المسلح الذي أتى على الأخضر واليابس وطال البشر و الديار حيث تعرض المجال القروي بما يحويه إلى هزات لم يُشهَد لها مثـــــيل في تاريخ الجزائر بتطبيق سياسة الأرض المحـــروقة و مراكز التجـــميع (Centres de regroupement) .

المخلفات الاستعمارية سواءً الناتجة عن الحرب التحريرية أو الناتجة عن سياساته الاستيطانية المتوالية أدت إلى تحطيم شبه كلي للعلاقة التقليدية التي تربط القرويين بمحيطهم القريب (العمراني و الزراعي) و بالتالي التغير الشامل للمعالم المجالية و التوجهات الاجتماعية .

بعد الاستقلال سعت السلطات الوطنية و المحلية إلى تحسين هذه الأوضاع و معالجتها باعتماد العديد من الإجراءات و المشاريع التنموية في صالح المجال الريفي نذكر منها مشروع الثورة الزراعية بما يضم من قرى ومستثمرات فلاحية، السياسات المتوالية لدعم تجديد و ترميم السكن الريفي و البناء الذاتي و كذا سياسة التجديد الريفي (Le renouveau rural) التي لا تزال في المراحل الأولى من التطبيق.

المجال الريفي الجزائري بشكل عام منذ الاستقلال تدعم بمشاريع مست قطاعات أخرى إلى جانب الفلاحة والسكن حيث تم توسيع مختلف الشبكات (الطرق، الكهرباء، الاتصالات السلكية، المياه الصالحة للشرب، صرف المياه المستعملة...الخ) و بناء مرافق عمومية مختلفة (التربية، التكوين، الإدارة، الصحة، السياحة، الشباب والرياضة...الخ).

المجال القروي الجبلي القبائلي منذ الاستقلال احتضن الكثير من هذه المشاريع و الإجراءات التنموية بما لها و عليها و لا يزال كذلك، كما أنه ضل وعاءاً لنشاطات السكان أفراداً وجماعات والتي تتجلى من خلال البناء الذاتي، بناء بعض المرافق العمومية كالمساجد و من خلال استثمارات اقتصادية مختلفة. المهاجرون من سكان منطقة القبائل يشكلون شريحة جد فاعلة في معادلة التحولات المجالية وذلك لكونهم الطبقة الأكثر تميزاً اقتصاديا و ثقافياً بحكم احتكاكها مع الوسط الغربي و الحضري.

المجال القروي القبائلي الجبلي الحالي يحمل في طياته أثر كل التأثيرات التي سبق التعرف عليها كما أنه لا محال سيتعرض لتأثيرات ستساهم في تغيره و تحويره في من خلال دراسة حالة منطقة بني ورثيلان[1] سنحاول التحقق من الفرضيات التي سبق و أن طارحناها في بداية بحثنا بشكل أكثر قرباً من الواقع و أبعد عن التعميم.

خلاصة المطلب :

التساؤلات التي طارحناها في مستهل هذا المطلب تتمحور حول عوامل، حيثيات و تجليات التحولات المجالية القروية في الجزائر بشكل عام و منطقة القبائل بشكل خاص. من خلال المباحث المدرجة تبين لنا أن التحول المجالي ظاهرة جد معقدة لا يمكن استيعابها إلا من خلال التمعن في متغيرات مختلفة (اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، سياسية...الخ) و يلعب الزمن هنا دوراً محورياً كونه يشكل إلى جانب المجال الطبيعي ثنائية أساسية يوظفهما الإنسان (بكل أبعاده) لإحداث التحول التدريجي.

فعلى سبيل المثال من خلال التعرض إلى الجانب الاقتصادي تبين لنا كيف كان التحول من النظام الاقتصادي المعاشي إلى النظام الرأسمالي بداية لسلسة من التحولات المختلفة تجلت آثارها في المجتمع و المجال على حد السواء، كما أن التحول إلى النظام إلى الاشتراكي بعد الاستقلال أدى إلى حدوث طفرة غير عادية في المجال القروي الجزائري بشكل عام و ذلك من خلال تطبيق سياسة الثورة الزراعي و مشروع القرى الاشتراكية. بالإضافة على ميزة التعقيد تبين لنا أن التغييرات المجالية تتسم بالاستمرارية و الترابط بحيث تشكل كل مرحلة من التحول حلقة من مسلسل تمتد آخر حلقاته إلى الوقت الحاضر بما يشهده من تحولات فمن خلال تفاعل الظروف المستجدة بالحالة القائمة تنتج حالة جديدة وهكذا دوليك.

[1] - انظر الفصل الثاني والفصل الثالث.

خلاصـــــــــة القـــــــــسم :

حاولنا خلال المطلب الأول من هذا القسم إبراز أثر العوامل المختلفة (الاقتصادية، الاجتماعية و الطبيعية ...الخ) في تشكيل و تباين التوطنات البشرية (القرى على وجه الخصوص) في المجال الريفي الجزائري بشكل عام موضحين ذلك ببعض الأمثلة المستقاة من دراسات سابقة. حيث تبين لنا مدى تتعدد أشكال التوطن البشري التقليدي بفعل تأثير العوامل السابقة و تباينها النسبي من منطقة إلى أخرى.

خلال المطلب الثاني تتبعنا مجمل العوامل التي كانت وراء تشكل الحالة الراهنة للمجال القروي الجزائري بشكل خاص و الريفي بشكل عام. الخصائص و الميزات المجالية التقليدية تعرضت إلى هزتين كبيرتين أتت على مجملها: الأولى خلال فترة الاحتلال الفرنسي الاستيطاني الذي سعى إلى إعادة صياغة العلاقة التي تربط القرويين بمحيطهم بما يتماشى و مصالحه و الثانية بعد الاستقلال خصوصا من خلال تطبيق سياسة الثورة الزراعية. محاولات تغيير الأوضاع هذه لم تكن لتتم لو لا استخدام أساليب شتى، تراوحت من القوة العسكرية (خلال الحقبة الاستعمارية) إلى الدعاية و إصدار قوانين خاصة ورغم الوسائل المسخرة في هذه وتلك فإن القرويين قابلوا الأوضاع الجديدة عموماً بالرفض و المقاومة و حاولوا الحافظ على الموروث التقليدي بشتى السبل المتاحة حيث تترجم ذلك في الواقع بإنتاج هيئة مجالية (Forme spatiale) هجينة يمتزج فيها القديم و الجديد.

خلاصة الفصل الأول :

الجانب النظري من هذا الفصل مكننا من التموقع ضمن الكم الهائل من الأبحاث و الدراسات السابقة التي لها علاقة من قريب أومن بعيد بالظاهرة المدروسة أو بأحد العناصر الأساسية للبحث (التحولات المجالية، القرية، الجبل، منطقة القبائل...الخ) كما مكننا من تحديد المفاهيم والمنهجية اللازمة للاقتراب من ظاهرة التحولات المجالية.

بداية الاقتراب من ظاهرة التحولات المجالية القروية كانت بمحاولة إلقاء الضوء على المجال الريفي التقليدي الجزائري ومظاهر التوطن البشري المختلفة التي يضمها وذلك لهدف أساسي هو التحقق من الفرضية الأولى للبحث و التي مفادها أنه **من أجل فهم التحولات وتقيمها لابد من فهم ما كانت عليه القرى سابقاً.**

بعد استفاء الجوانب المتعلقة بخصائص المجال القروي التقليدي الجزائري حاولنا الإحاطة بمجمل حيثيات التحول المجالي القروي وتجلياته أولاً على مستوى المجال الريفي الجزائري بشكل عام وذلك توسيعاً لدائرة الفهم و النظر ثم على المستوى المجال القروي القبائلي تمهيداً لولوج منطقة الحالة المدرسة (بني ورثيلان).

من خلال تتبعنا لمسلسل التحولات في المجال القروي الجزائري تأكدت لنا الفرضية الثالثة للبحث حيث تبين كيف أن التحول المجالي قد يكون مفروضًا و بشكل غير معهود (طفرة)[1] بعيداً عن الاحتياجات الطبيعية للسكان و خير مثال على ذلك سياسة مراكز التجميع خلال فترة الاحتلال الفرنسي و مشروع الثورة الزراعية خلال السبعينات من القرن الماضي.

الفرضية الثانية للبحث تأكدت بشكل عام من خلال التعرض إلى مميزات المجال القبائلي و جوانب من خصائص مسار التحول الذي مر به حيث اتضح لنا كيف أن الظروف الخاصة المحيطة بالمنطقة (الطبيعية، الاجتماعية و الثقافية...الخ) ساهمت كلٌ منها بشكلٍ من الأشكال في إعطائه الهيئة التي هو عليها الآن.

[1]- مصطلح خاص بدراسة التحولات في علم الإحياء.

الفـــــــــصل الثانـي

بنـي ورثيلان، الطـبيعة الإنســان و العمـران

الفصل الثاني : بني ورثيلان الطبيعة الإنسان و العمـــران

تمـــــــــهيد

القسم الأول: الخصائص المجالية و الطبيعية لمنطقة الدراسة

القسم الثاني: الدراسة العمرانية و المعـــــــــــــــمارية

القسم الثالث: الدراسة الاجتماعية و الاقتصـــــــــــادية

خلاصـــــــــة.

تمهـــــــــــــــيد الفصل

منطقة بني ورثيلان ما هي إلا جزء ضئيل من الزخم الواسع والمتعدد المسمى **"المجال القـــروي "** اخترناها كعينة للاقتراب من فهم الإشكال وتقصي أهم أبعاده. بحكم انتمائها إلى المنطقة الجبلية القبائلية و كونها تعيش وعاشت التحولات بما تتضمنها من حيثيات : مجاليـــــــــــة (عمرانية ومعماريـــة) ، ثقافية، اقتصادية و اجتماعية فهي على شاكلة العديد من المناطق ضلت مصرحا لتعاقب الحضارات الـــتي لا تزال بصماتها تشهد عليها .

في هذا الفصل سنتطرق بشكل انتقائي إلى بعض حيثيات التوطن البشري بمنطقة بـــني ورثـــيلان حيث سنقدم عنها مسح تاريخي ومجالي بهدف توسيع بوتقة الفهم و النظر وبعدها تستقر راحِلة البحث بنا عند المجال المبني و أشكاله المختلفة حيث اخترنا من بين أكثر من 80 دشرة، قرية وتجمـــع عمـــراني ثلاث أمثلة بهدف إبراز تعدد مظاهر التوطن بالمنطقة واختلاف أشكاله باختلاف أسباب نشأته وعوامل استمراره. ولاستكمال فهم النسق العمراني سنحاول التطرق إلى بعض الأبعاد الاجتماعية الاقتصـــادية بهدف ربطها بالبعد الجمالي الذي هو مصرحٌ لها.

مقـــــــــــدمة الفصـــــــــل

منطقة بني ورثيلان ما هي إلا جزء ضئيل من الزخم الواسع والمتعدد المسمى **"المجال القـــروي"** اخترناها كعينة للاقتراب من فهم الإشكال وتقصي أهم أبعاده. بحكم انتمائها إلى المنطقة الجبلية القبائلية و كونها تعيش وعاشت التحولات بما تتضمنها من حيثيات: مجاليـــــــــــة (عمرانية ومعمارية)، ثقافية، اقتصادية و اجتماعية فهي على شاكلة العديد من المناطق ضلت مصرحا لتعاقب الحضارات التي لا تزال بصماتها تشهد عليها.

في بداية هذا الفصل سنتطرق بشكل انتقائي إلى بعض حيثيات التوطن البشـــري بمنطقـــة بـــني ورثيلان حيث سنقدم عنها مسحا تاريخيا ومجاليا بهدف توسيع بوتقة الفهم و النظر و بعـــدها تســـتقر راحِلة البحث بنا عند المجال المبني و أشكاله المختلفة حيث اخترنا من بين أكثر من 110 دشرة، قريـــة وتجمع عمراني ثلاث أمثلة بهدف إبراز تعدد مظاهر التوطن بالمنطقة واختلاف أشكاله باختلاف أسباب نشأته وعوامل استمراره. ولاستكمال فهم النسق العمراني سنحاول التطرق إلى بعض الأبعاد الاجتماعية الاقتصادية بهدف ربطها بالبعد المجالي الذي هو مصرحٌ لها.

القـــــــــسم الأول

بني ورثيلان، الخصائص المجالـية و الطبــيـعية

القسم الأول : بني ورثيلان الخصائص المجالية و الطبـــــيـــعية

تمـــــــــــــهيد

المطلب الأول : المـــــــــــوقع

المطلب الثاني : الخصائص الطبيعية

- التضـــــــــاريس
- المـــــــــــناخ
- الماء بين المـــــــــاضي و الحاضر
- الغطاء النباتي و المشهد الزراعي

خلاصـــــــــة

القسم الأول: بني ورثيلان، الخصائص المجالية و الطبـــــيعية

مقدمة القسم: بني ورثيلان[1] اسم يطلق على دائرة تضم أربع بلديات تقع في أقصى الشمال الغربي لولاية سطيف و بتعبير آخر: أقصى الجنوب الشرقي لمنطقة القبائل الكبرى و أقصى الجنوب الغـــربي لمنطقـــة القبائل الصغرى .كما أنه يطلق على إحدى هذه البلديات الأربع.

التقسيمات الإدارية المتعاقبة في المنطقة جعلت من المجال الجغرافي لهذه التسمية يتوسع تارة وينحصر تارة أخرى فيما يلي سنتطرق إلى الخصائص المجالية و الطبيعية للمنطقة المتمثلة في الدائرة بحدودها الحالية.

المـــــــــــطلـب الأول: المـوقـع

ليكون التعريف بالموقع شاملاً تناولناه على الشكل التالي:

1-1 بني ورثيلان الدائرة: تضم البلديات التالية : بني ورثيلان، عين لقراج، بني شبانة وبلديـــة بـــني موحلي . يحدها من الشمال والشمال الغربي ولاية بجاية ، من الجنوب الغربي ولاية برج بوعريريج، من الجنوب بلديات حمام قرقور، حربيل وقنزات و أخيراً من الشرق نجد بلدية بوسلام وبلدية ذراع قبيلـــة. تتربع الدائرة على مساحة قدرها 228,73 كم^2 انظر الخرائط رقم (01)، رقم (02) و رقم (03).

1-2 بني ورثيلان البلدية: تحتل موقع تتـــلاقى فيه ثلاث ولايات: سطيف، بجاية، برج بـــوعريريج. و تشغل مساحة قدرها 72,38 كم^2 أما حدودها فهي كالتالي:

- من الجنوب الشرقي : بلدية عين لقراج.
- من الشمال الشرقي : بلدية بني شبانة.
- من الشمال الغربي : بلدية بني معوش التابعة لولاية بجاية.
- من الجنوب الغربي : بلدية ألماين التابعة لولاية برج بوعريريج.

1-3 مركز الدائرة: يطلق عليه اسم الجَمعة[2] عند السكان المحلين و ذلك نسبة إلى السوق الأُســـبوعية التي تقام بها كل جُمُعة وهو تجمع عمراني غير متجانس يقع في الجهة الشرقية من تراب البلديـــة (بـــني ورثيلان). يقطعه الطريق الوطني رقم 74 الذي شكَّل و يُشكّل إلى حد الآن عامل تنموي هام كما هو

[1] - يطلق هذا الاسم كذلك على قبيلة تقطن المنطقة يدعي أفـــرادها الانتساب إلى جـــد واحد اسمه ورثـــيلان -حســـب الســـيناتوس كونســـيلت (sénatus consulte) سنة 1899م.

[2]- هذه التسمية عند السكان غير القاطنين بالتجمع الحضري لمركز بني ورثيلان تعني التجمع ككل بينما تعني عند السكان القاطنين فيه وسط أو عقر المركز.

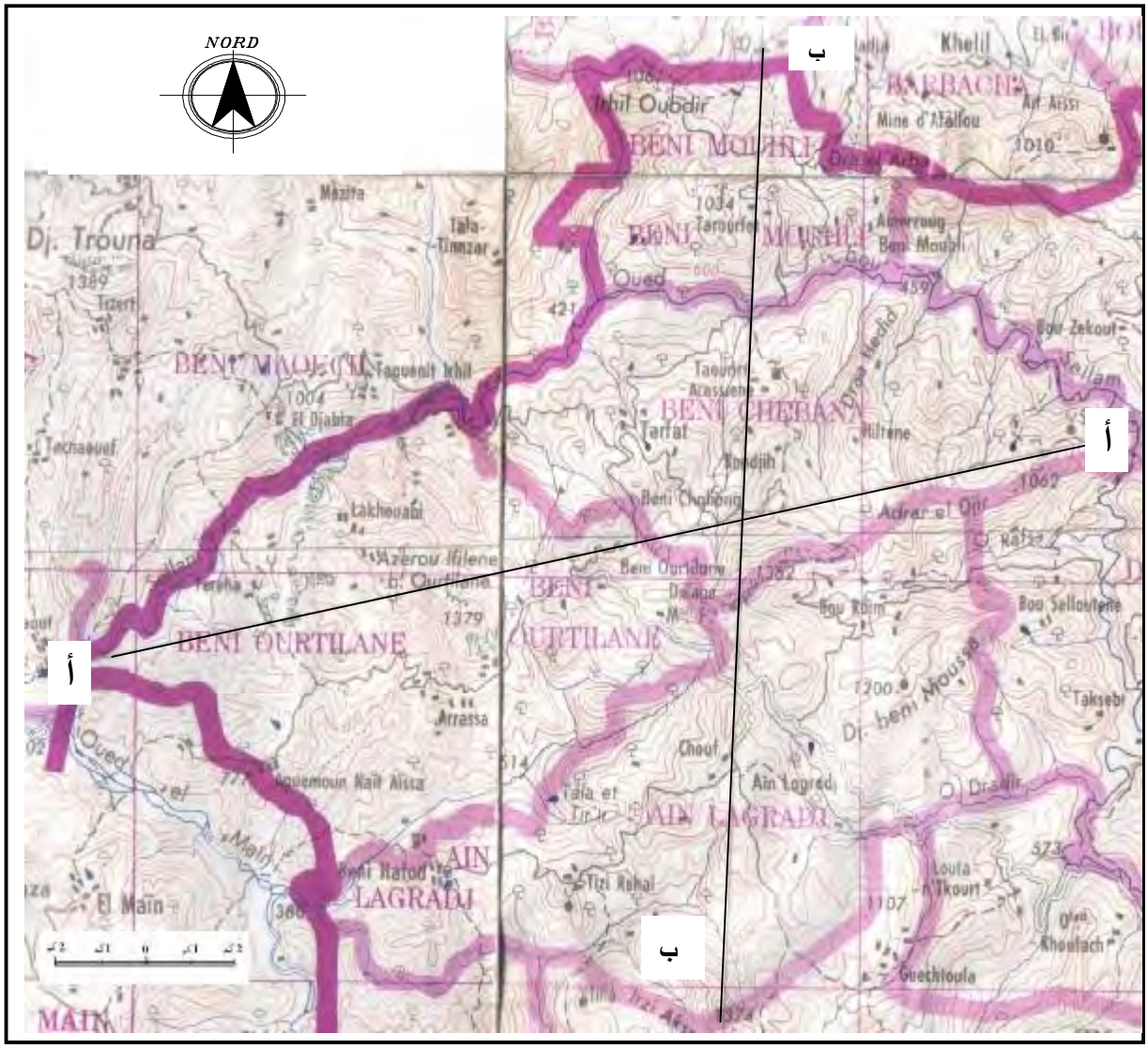

خريطة رقم 01: الحدود الإقليمية لدائرة بني ورثيلان حسب التقسيم الإداري الجاري.

Source: Cartes des limites administratives de la Wilaya de Sétif (1984), N 19.03 et N° 19.04, Ech ,1/100.000, Alger : I.N.C.

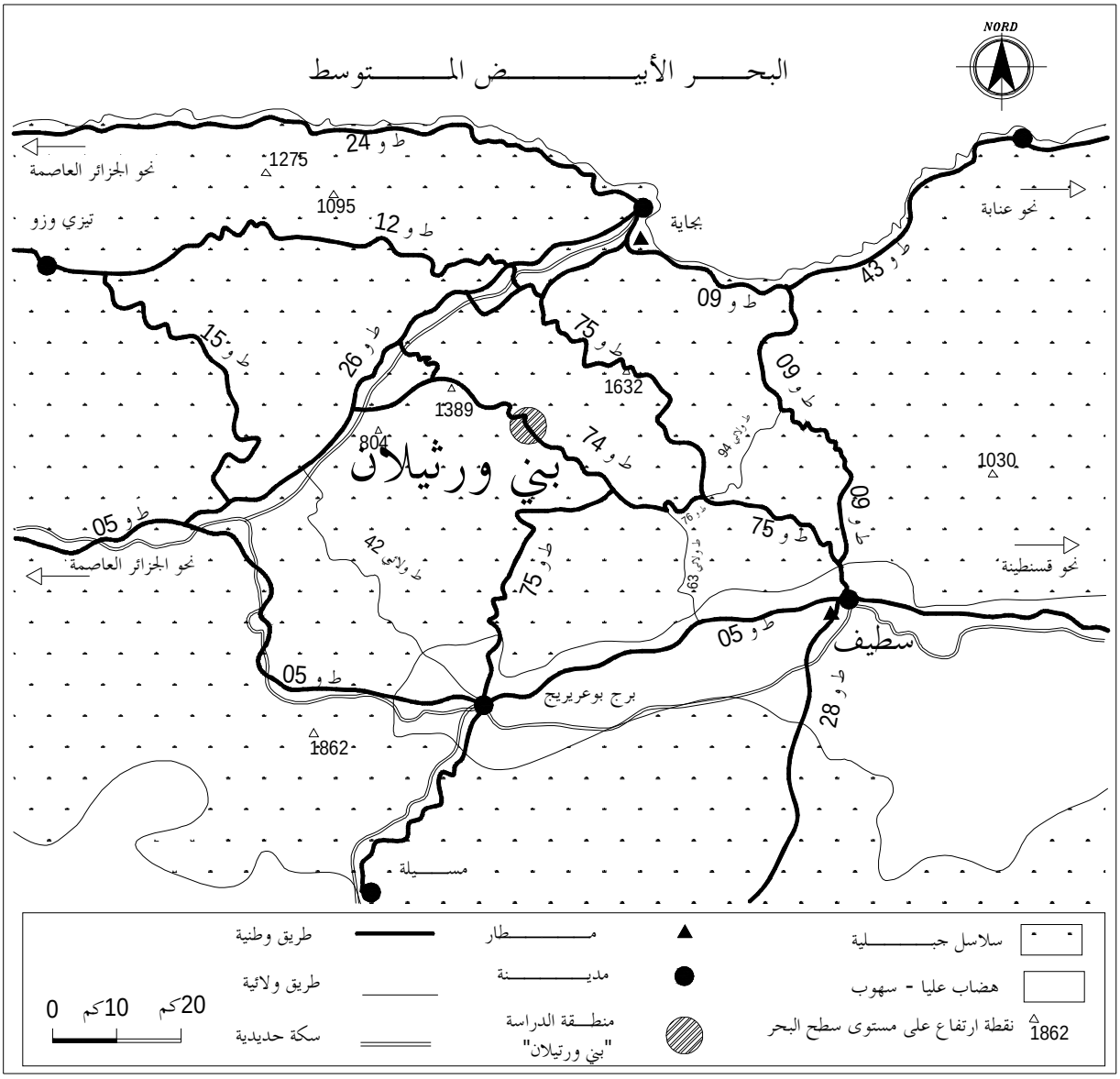

خريطة رقم 02: موقع منطقة بني ورثيلان ضمن الإطار الجغرافي الجهوي.

Source: FONTAINE, Jacques. *Villages kabyles et nouveau réseau urbain en Algérie, le cas de la région de Bejaia*. thèse de 3ème cycle, Tours : centre d'étude et de recherche URBAMA « Urbanisation du monde arabe »: 1983. P.91. + traitement de l'étudiant.

عامل تنموي هام كما هو الحال بالنسبة للمناطق و التجمعات العمرانية الأخرى التي يمرُّ بها انطلاقا من مدينة سطيف مثل عين عباسة، عين الروى، بوقاعة، التر ونة و غيرها.

الجَمعة تبعد عن مدينة سطيف بمسافة قدرها 80 كم و هي نفس المسافة تقريباً التي تفصلها عن مدينة بجاية. تتميز بموقع شديد الانحدارات حيث تموضعت البنايات في أول الأمر على ربوات أو قِمم منفصلة مُشكِّلة ثلاث قرى متمايزة(فانتيكلت، أنو و إغيل أفلا) ثم أخذت تشغل الفراغات التي تفصل فيما بينها انظر الخريطة رقم (08) و الآن أصبحت حواف الطرقات الرئيسية الواجهة المفضلة لتوضّع البنايات الجديدة. يفصل هذا الموقع بين أعلى قمتين جبليتين بالمنطقة و هما رأس أقوف 1372م و قمة جبل أزرو 1358 م انظر المقطعين الطوبوغرافيين أ أ و ب ب شكل رقم (38).

1-4 محاور المواصلات: يعتبر الطريق الوطني رقم 74[1] أهم محور للمواصلات يمر بالمنطقة حيث يشكل العمود الفقري لها بالإضافة إلى الطريق الولائي رقم 04. لا تزال المنطقة تعاني من بعض أوجـــه العزلـــة نظراً للحالة المتردية للطرق المستغلّة وافتقارها إلى شبكة طرق معبدة تربطها بالبلديات المجاورة.

الطريق الولائي رقم 04 بجزئه الغربي، يربط مركز الدائرة بقرية أقمون نايث عيسى غرباً ماراً بالعديـــد من القرى و المد اشر حيث تتفرع عنه عدّة طرق - منها المعبدة ومنها التي لا تزال مسالك بســـيطة- باتجاه القرى الموزعة جنوب و شمال تراب بلدية بني ورتيلان. إلى الجهة الشمالية الشرقية مـــن تـــراب الدائرة يتجه الجزء الثاني انطلاقا من نقطة تفرّعه عن الطريق الوطني رقم74 على مستوى بلدية بني شبانة مروراً بالمركز الإداري لهذه الأخيرة إلى غـــــــــــــاية مركز بلدية بني موحلي؛ كـــالجزء الســـابق يتفرّع عنه عدة طرق ثانوية باتجاه التجمعات السكنية المنتشرة على مجال البلديتين بـــني شـــبانة و بـــني موحلي. انظر خريطة (04): أهم القرى و الطرق المؤدية إليها.

[1]- في صائفة 2006م انطلقت به أشغال التهيئة و التوسيع الأمر الذي سيحدث طفرة تنموية بالمنطقة و المناطق التي يمر بها.

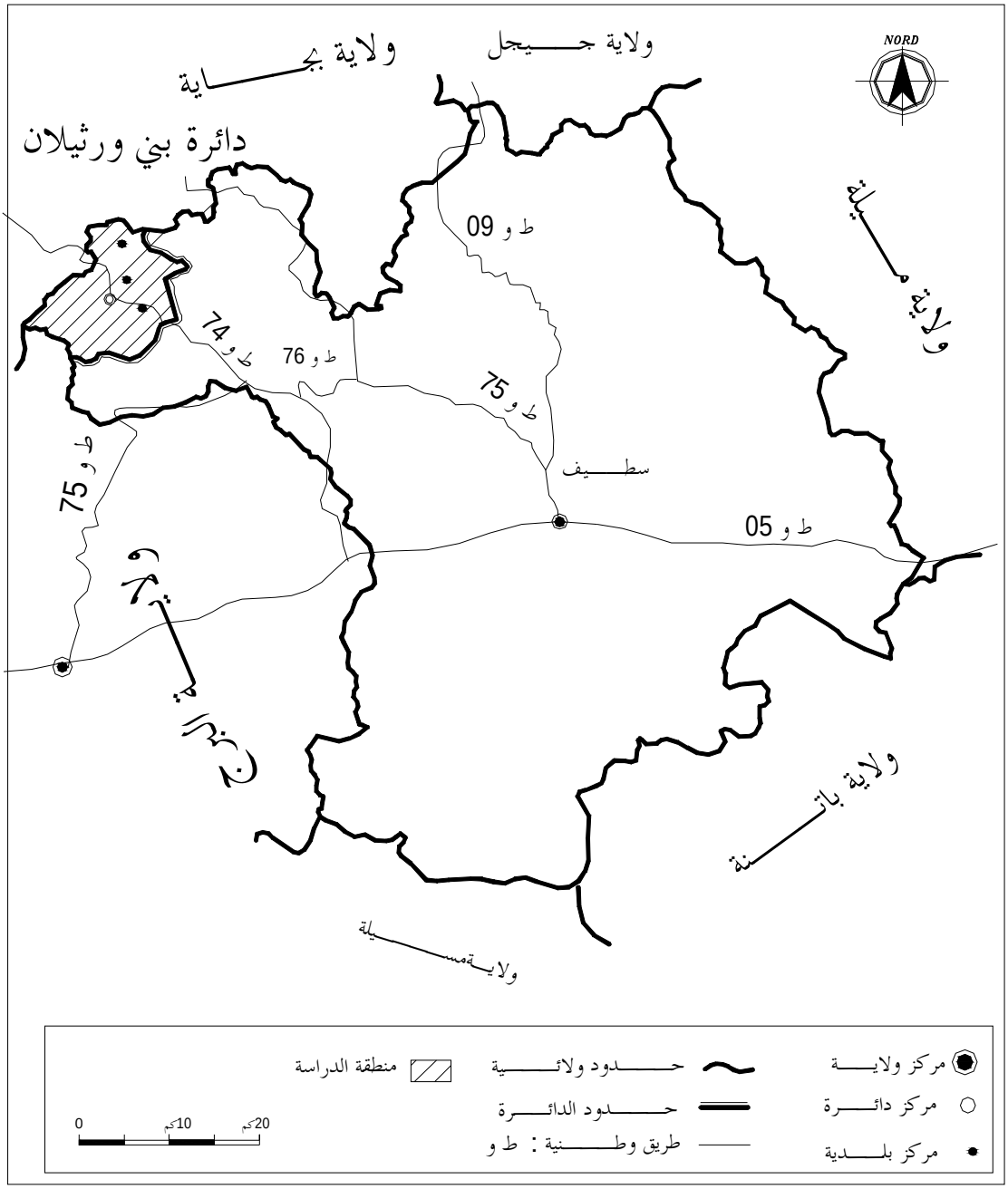

خريطة رقم 03 : موقع دائرة بني ورثيلان ضمن المجال الولائي.

Source: Carte Touristique d'Algérie, Ech: 1/500.000, Alger : I.N.C, 1987 + traitement de l'étudiant.

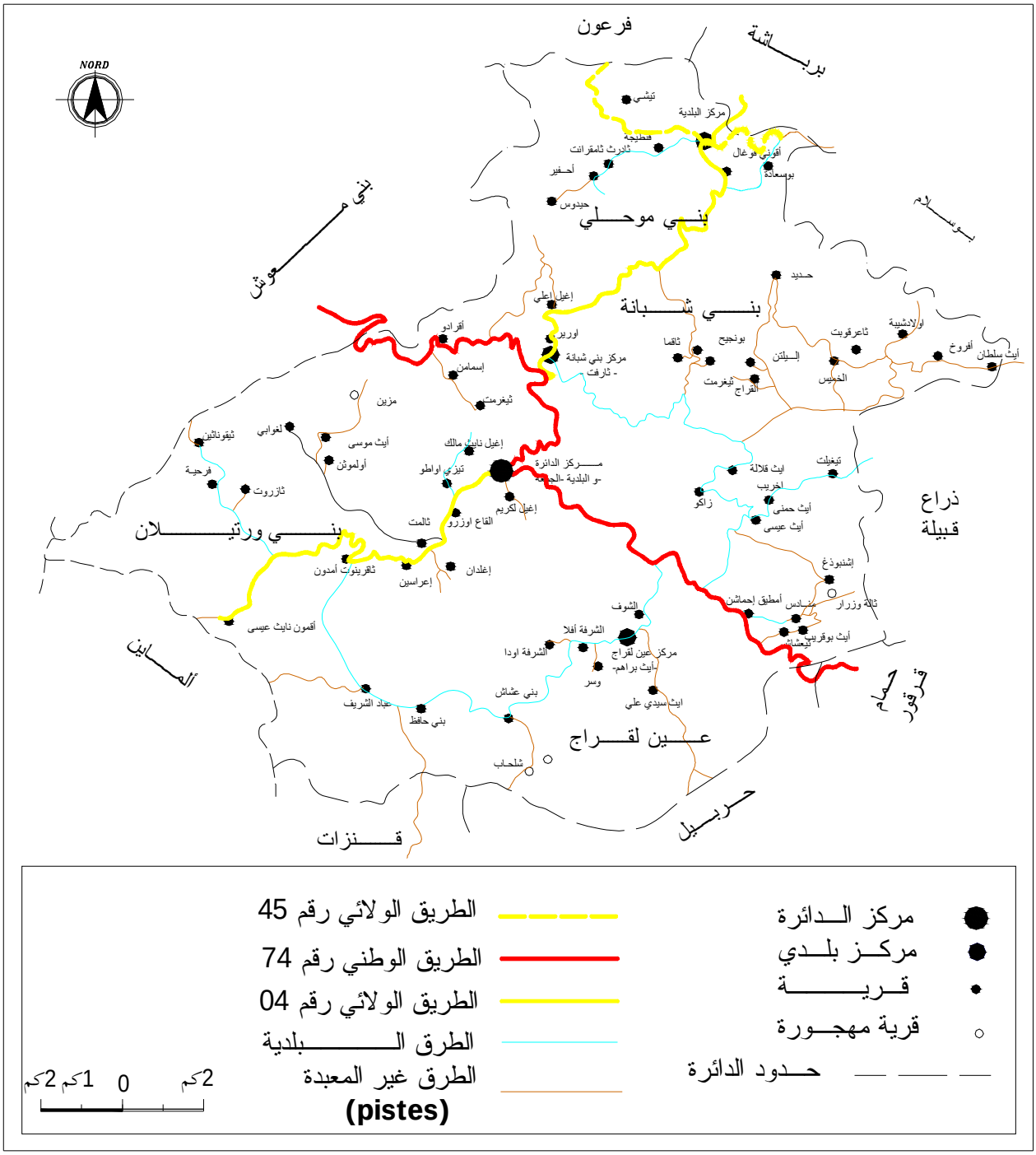

خريطة 04: أهم القرى و الطرق المؤدية إليها بمنطقة بني ورثيلان.

Source : Cartes Topographiques, AKBOU N° NJ-31-V-6 Ouest & N° NJ-31-V-6 Est, Ech : 1/50.000, Alger : I.N.C 1991 + traitement de l'étudiant.

المطلب الثاني: الخصـــــائص الطبيعية.

2-1 التضاريس: منطقة بني ورثيلان تشكِّل جزء من سلسلة الأطلس التلي، على وجه التحديد امتداد لكل من سلسلتي جميلة و البابور، تتميز بتضاريس صعبة و شديدة الانحدار و الالتواء انظر: الصور لوحة رقم (22 و23)، الشكلين رقم (38 و 39) و الخريطة رقم (05) هيئتها الجيوفيزيائية مشكَّلة من تتـــابع تلال وهضبات تتموضع عليها في الغالب قرى أو تجمعات سكنية و يتخللها مجاري مائية، انحـــدارات، التواءات، انهيارات صخرية ...الخ. و تجدر الإشارة هنا إلى النسبة الضئيلة للأراضي المستوية و القليلـــة الانحدار إذ نجدها فقط على شكل قطع متفرقة بمحاذاة واد بوسلام بالإضافة إلى مساحات أكثر أهمية في منطقتي ثساونت نسبث و شلحاب الواقعتين ببلدية عين لقراج. إن الطابع الجبلي للمنطقة له دور كبير في تبعثر القرى والتجمعات السكنية كما أنه عامل مثبط و كابح للتنمية بالمنطقة و ذلك لما تتطلبه التهيئة العمرانية من تكاليف إضافية مقارنة بالمناطق الأقل انحدارا.

2-2 المناخ: منطقة بني ورثيلان يميزها مناخ شبه رطب (Sub-humide) لكونها خاضعة للتـــأثيرات البحرية وواقعة بمنطقة جبلية تلية. يتميز المناخ الشبه الرطب بصيف حار و جاف (31° في شهر جويلية) و شتاء ممطر و بارد (3° في شهر ديسمبر) معدل التساقط السنوي يقدر بـــ 700 ملم.[1]

في فصل الصيف التساقطات نادرة في الغالب بينما تشتد درجة الحرارة متسببة في بعض الأحيان في اندلاع الحرائق في الغابات والأحراش أما الأمطار الشتوية والخريفية تتسبب في انهيارات وانحرافـــات للتربة عندما تشتد قوة غزارتها من جهة أخرى المنطقة معرضة لظاهرتي الجليد في لشتاء و رياح السيروكو الحارة في نهاية ربيع و بداية الصيف. هذه العوائق المناخية وغيرها تشكل عوامل مثبطة للتنمية بالمنطقة و تقلل من أهمية الثروات والإمكانات الطبيعية والفلاحية التي تزخر بها.

2-3 الماء بين الماضي و الحاضر: قديماً وجود منبع الماء يعتبر العامل الأساسي لاختيار مكان أو موضع الاستقرار لقرية ما حيث يتم بناء عين (ثَالَ باللغة المحلية) أو أكثر و إعداد أنظمة لتقسيم واستغلال هـــذا المورد الأساسي.كما نجد بالإضافة إلى ذلك بعض الآبار البسيطة العمق التي تُستعمل للاستغلال الفردي عادةً. المجاري المائية استغلت كذلك و خاصة في القرى التي تمر بها و ذلك في الســـقي أو ري البســـاتين المشجَرة و المساحات المزروعة.

[1]- حسب مديرة التخطيط و تهيئة الإقليم لولاية سطيف عام 1988م.

لوحة رقم (22)

صورة رقم 13: جبل أزري أقصوري من أبرز التضاريس بالمنطقة يشرف على سلسلة من التجمعات العمرانية والقرى (شلحاب – الشرفة...) و يعد من أهم المزارات السياحية التي يمكن استغلالها كبديل تنموي.

المصدر: مصور مجهـــــــــــــــــــول.

صورة رقم 14: واد حريرة الدائم الجريان؛ وفرة الماء و الخصوبة النسبية للتربة عاملان لتوطن اثنتان من أهم قرى المنطقة: عباد الشريف و بني حافظ اللتان تظهران في خلفية الصورة. الغطاء النباتي يزداد كثافة بالقرب من الوادي.

المصدر: الباحث، خـــــــــــــــــــــــريف 2004.

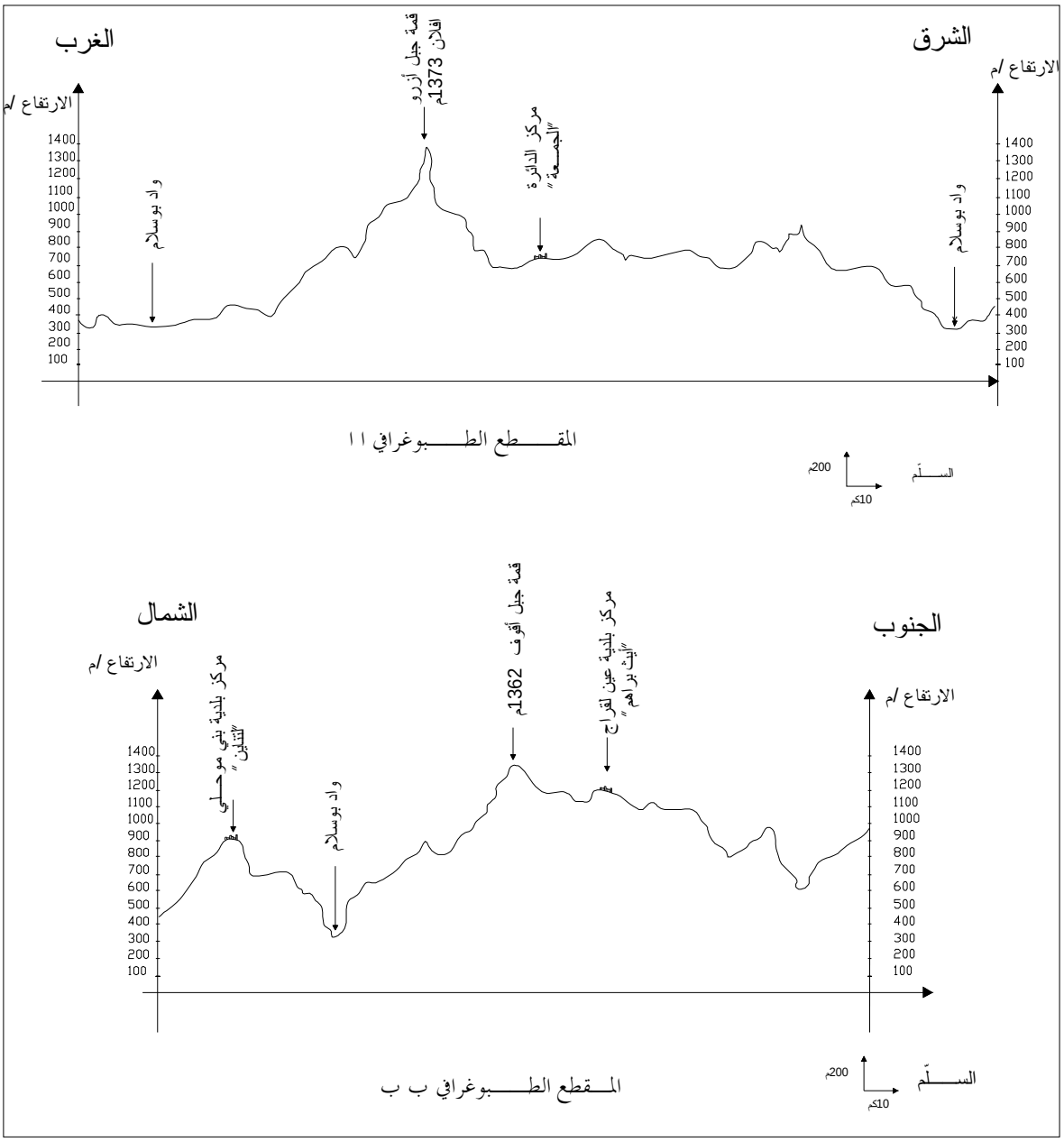

شكل رقم 38:مقطعين طوبوغرافيين على منطقة بني ورثيلان. أأ و ب ب

المصدر: الباحث اعتماداً على خريطة الحدود الإقليمية الإدارية لولاية سطيف N 19.03 و N° 19.04 ، سلم: 100000/1، انظر خريطة رقم 01.

لوحة رقم : 23

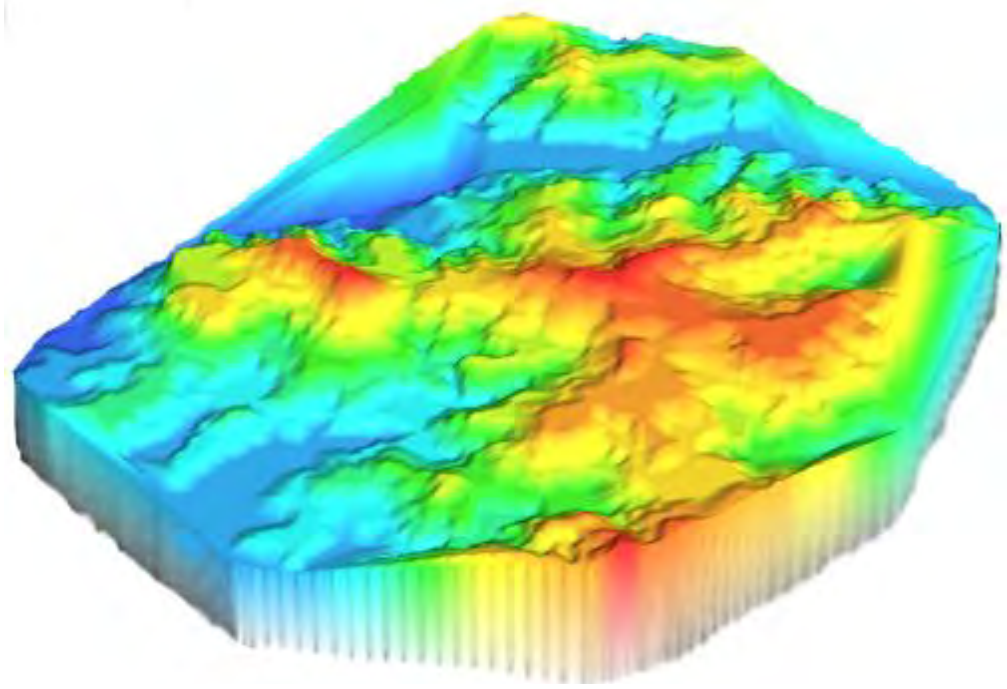

شكل رقم 39 : تمثل تجسيم لتضاريس منطقة بني ورثيلان من إعداد الطلبين نحال محمد أكلي و بلـــول خالد

Source: NAHAL, M. A. & BLOUL, K. *Développement et Aménagement d'une Zone Montagneuse Marginale cas de la Daïra de Beni Ourtilane (wilaya de Sétif)*, Mémoire pour l'obtention de diplôme d'ingénieur en Aménagement Régional. Alger: USTHB - Faculté des Sciences de la Terre, de la Géographie et de l'Aménagement Département de géographie et d'aménagement du territoire, 2007.

صورة رقم 15: جبل أزرو من أبرز التضاريس بالمنطقة يشرف على سلسلة من التجمعات العمرانية والقرى وهو كذلك من أهم المزارات السياحية التي يمكن استغلالها كبديل تنموي:

المصدر: الباحث، صـــــــــــــــــــــــائفة 2004.

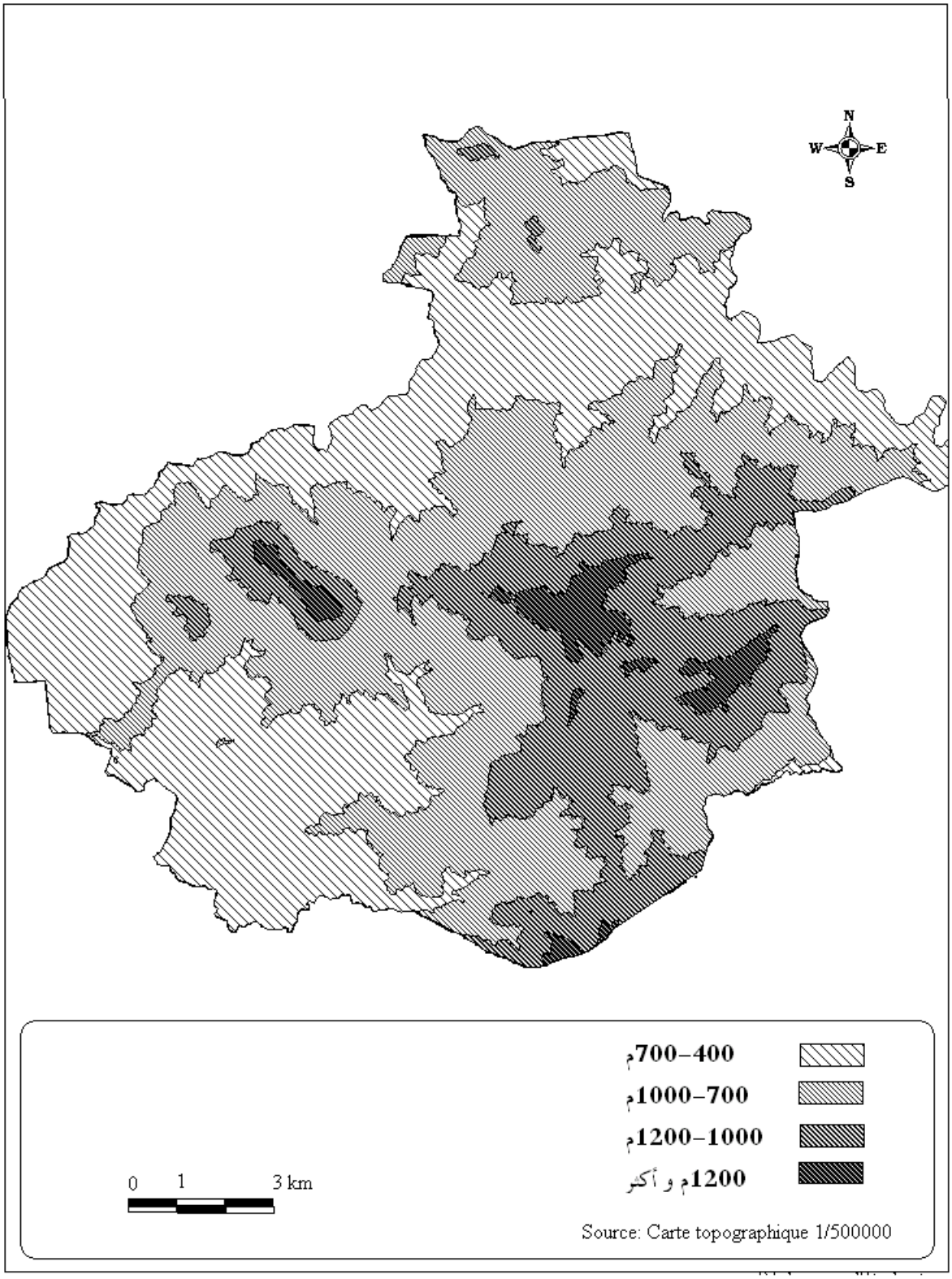

الخريطة رقم 05: دائرة بني ورثيلان مقسمة إلى نطاقات مجالية حسب الارتفاع عن سطح البحر.

Source: NAHAL, M. A. & BLOUL, op. cit.

أهمية مياه الأودية بدأت تتزايد بعد إنشاء عدة أبار ارتوازية (Forages) خصوصاً على جوانب الوديان الدائمة الجريان منها مثل واد بوسلام و واد حريرة. ما يجدر ذكره هنا التكلفة الباهظة لجلب الماء من الآبار الارتوازية الواقعة على ضفاف وادي بوسلام و حريرة إلى التجمعات السكانية و القرى بواسطة محاطات الضخ التي تشتغل بالطاقة الكهربائية حيث بلغت على سبيل المثال تكلفة الضخ خلال شهر واحد ببلدية بني شبانة قيمة 300.000,00 دج [1]. الأمر الذي يستدعي النظر في مدى نجاعة هذا النمط من الاستغلال و التفكير في بدائل أقل تكلفة و أكثر نجاعة.

هيدرولوجياً الفائض من تساقطات الأمطار بالمنطقة ككل يصب في الحـــوض المـــائي (Bassin versant) لوادي بوسلام الذي بدوره يصب في واد الصومام. الحوض المائي لواد بوسلام يتكون مـــن عدّة أحواض مائية ثانوية هي حوض واد حريرة ، حوض واد درادير، حوض واد ألمـــاين، حـــوض واد هورطة، حوض واد تاقمة و غيرهـــــــــا انظر الخريطة الهيدرولوجية رقم 06.

هذه الأودية تمثل الروافد (Affluents) الأساسية لواد بوسلام وهي بدورها تغذيها أودية ثانوية يطلـــق عليها الاسم المحلي " إغزر" أي واد صغير .

بالمنطقة حاليا تستغل المياه على ثلاث صور هي:

1 - مياه سطحية و تتمثل في الينابيع، الوديان الدائمة الجريان و الموسمية.

2- مياه الطبقة الفرياتية (La nappe phréatique) التي توجد على عمق غير كبير و تستغل بصورة فردية عموماً عن طريق الآبار الخاصة.

3- تتمثل في استغلال المياه المتواجدة على عمق 100 إلى 200 متر فأكثر وهو طرح أخذت أهميتـــه تزداد في السنوات الأخيرة بعد إنجاز العديد من الآبار العميقة الارتوازية (Forages) العمومية والخاصة انظر الخريطة الهيدرولوجية رقم 06.

2-4 **الغطاء النباتي و المشهد الزراعي** : كباقي قرى مناطق القبائل ببني ورثيلان تنتشر بساتين تمـــارس فيها الزراعة المعاشية (أشجار التين والزيتون ، بعض أشجار الفواكه و الخضر) وهى عادة ما تكـــون قريبة من القرى. كانت هذه المساحات تشكل في الماضي القريب المصدر الأساسي لتغذية نسبة كـــبيرة من الأسر لكن التحولات التي شهدها نمط الاستهلاك و الجفاف الذي ألم بالمنطقة في بعض الســـنوات الماضية جعل السكان القرويين يستغنون عن هذا النشاط بشكل تدريجي إلى أن أصـــبح يقتصـــر علـــى

[1]- حسب أحد المسئولين المحليين من نفس البلدية.

المساحات الزراعية القريبة من واد بوسلام ، واد حريرة وغيرهما فأضحت المنطقة تعتمد على ما يـــورد إليها من المنتجات الفلاحية من حوض الصومام و شلغوم العيد وغيرهما .

الجزء المتبقي من المشهد الطبيعي والزراعي يتكون من أحراش غير كثيفة و غابات متدهورة لمـــا شهدته من حرائق واستغلال غير عقلاني عبر السنين و تجدر الإشارة هنا إلى أن الحالة الحالية لهذه الغابات لا تسمح لها بالقيام بدورها بالشكل الأمثل و المتمثل في حماية الأتربة من الانجراف و التقليل من حـــدة جريان التساقطات. كما نجد حقول مشجرة منذ القدم بأشجار الزيتون بالدرجة الأولى -ثم يأتي الـــتين في المقام الثاني - وهي أهم ميراث فلاحي بالمنطقة حيث تشغل جوانـــب وســـفوح الجبـــال وبعـــض المساحات المسطحة.

الخـــلاصة: كباقي أجزاء المجال الجبلي التلي تتميز منطقة بني ورثيلان مناخ شبه رطب يسمح بنمو غطاء نباتي متوسط إلى قليل الكثافة وتشكُّل مجاري مائية ضعيفة التدفق نسبياً . كما تتميز بصعوبة التضاريس و شدَّة الانحدارات حيث تشغل نسبة معتبرة من المساحة الإجمالية للدائرة وهذا ما يجعلها تتطلب جهود تنموية كبيرة للتهيئة والتعمير والتنمية بصفة عامة.من الناحية المجالية المنطقة تحتل موقعاً لا يزال يحتاج إلى فكٍ للعزلة بسبب عامل التضاريس الوعرة و حالة محاور المواصلات الرئيسية المتدهورة (الطريق الـــوطني رقم 74 و الطريق الولائي رقم 04). من جهة أخرى المنطقة تزخر بعِدة ثروات و مؤهلات لا يُستهَان بِها تتطلب جهوداً أكبر و تسيراً أرشد في استغلالها و تنميتها و من بينها نذكر ما يلي:

- القطاع الفلاحي: بما يتوفر من موروث مُتجذِّر من أشجار الزيتون و الـــتين و غيرهمـــا و ثروات مستحدثة كتربية النحل و المواشي.
- القطاع الغابي: الذي يتطلب رعاية خاصة و إعادة اعتبار وتهيئته قبل كل استغلال ؛ رعايته تثمنه في مختلف جوانبه الجمالية و الايكولوجية[1] .
- القطاع المنجمي: المنطقة غنية بالمعادن إذ تعود بدايات استغلالها إلى العهد الاستعماري حيث أُنجز منجم بالقرب من منطقة شلحاب[2].
- الجانب السياحي: تحوي المنطقة كثير من المعالم التاريخية[3] تعود إلى حِقب مختلفـــة و تتمتـــع بأبعاد جمالية و ثقافية تستدعي التثمين و الاستغلال بالإضافة إلى المناظر الطبيعية الخلابة.

[1]- كثيرة هي الكوارث التي ألّمت و تُلم بهذا القطاع فالمشاهد الكثيرة للتلويث العفوي برمي النفايات الصلبة و السائلة و الاستغلال غير العقلاني بالاحتطاب والرعي ناهيك عن الحرائق المتكررة تستدعي نظرة متجددة ومتكاملة إلى القطاع تأخذ بعين الاعتبار البعد المادي والمعنوي للمشكل يساهم فيها كل شرائح المجتمع وهيئاته المعنية.

[2]- استغلال هذه الثروة سيعود لا محالة بالنفع على المنطقة و يحد من تبعيتها للمدينة خاصة في فرص العمل.

[3]- انظر المطلب الأول القسم الثاني الفصل الثاني (اللمحة التارخية) ص ص .108-114. من هذه المذكرة.

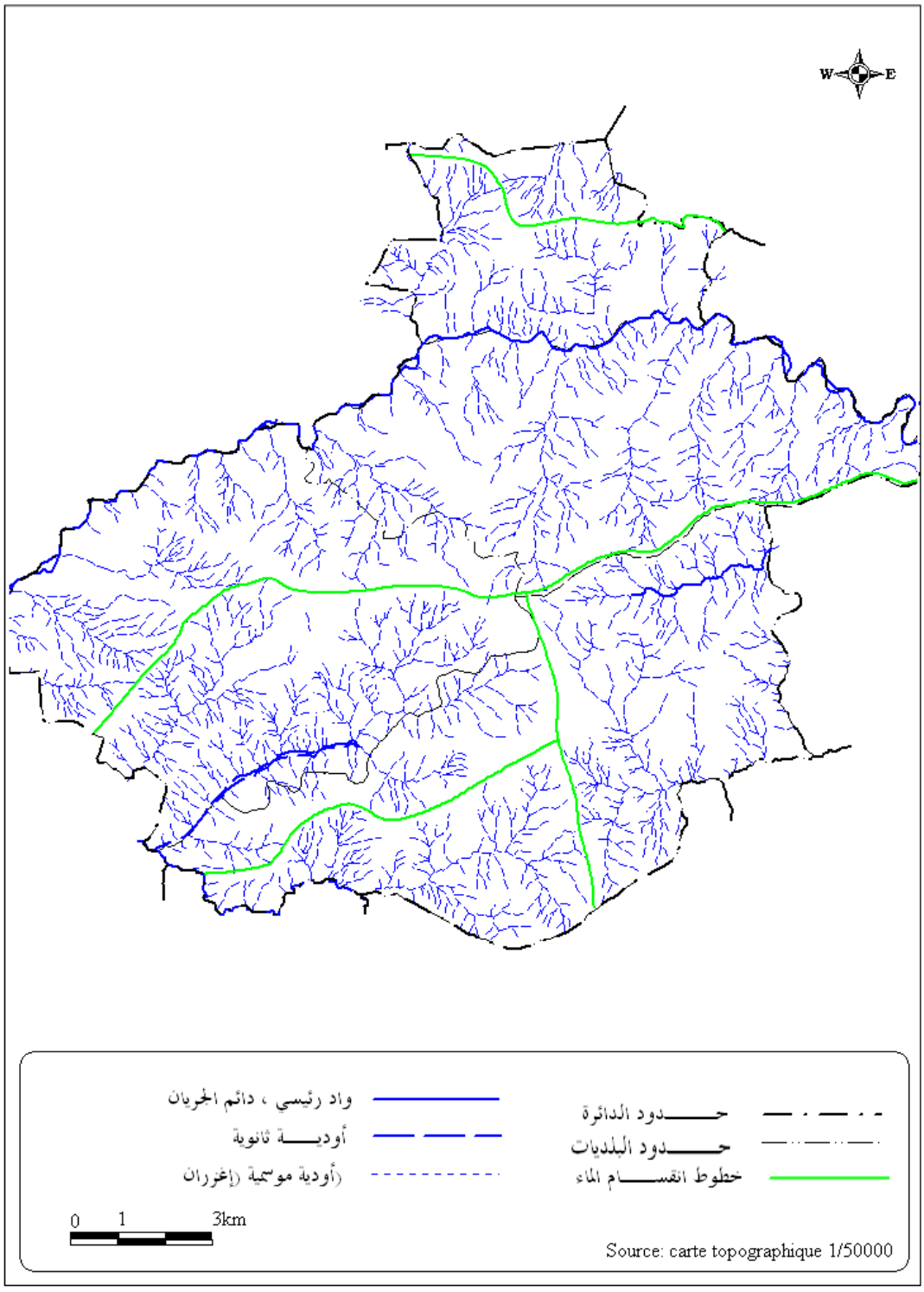

الخريـــــــــــطة رقم 06: دائرة بني ورثـــــــــيلان، المجاري و الأحـــــــــــواض المائية.

Source : NAHAL, M. A. & BLOUL, K. op. cit.

القسم الثاني : بني ورثيلان، الدراسة العمرانية و المعمارية

تمهيد القسم:

المطلب الأول : لمحة تاريخـــــــــــــية.

المطلب الثاني : المظهر العمراني العـــــام.

المطلب الثالث: التجمع الحضري بمركز بني ورثيلان دراسة عمرانية و معمارية.

المطلب الرابع: قرية منادس دراسة عمرانية و معمارية .

المطلب الخامس:قرية شلحاب دراسة عمرانية و معمارية .

خلاصة القســـــــــــم.

تمهـــــــــــــيد القسم :

بعد التعرف على الإطار الجغرافي و الطبيعي للمنطقة المدروسة، سنعرّج فيما يلي على الجانبين العمراني و المعماري. و لأجل توسيع دائرة الفهم سنتطرق إلى الموضوع بصورة عامة (تاريخية و مجالية) و ذلك بإعطاء لمحة تاريخية عابرة عن مظاهر التوطن البشري بالمنطقة و لمحة عن مختلف تجلياته بالمنطقة حاليا هذا من جهة .

ومن جهة أخرى لتقصي واستفاء الأبعاد المختلفة للإشكال توجب علينا إتباع معيار معين لاختيار القرى أو التجمعات السكنية التي سنسلط عليها الأضواء بالوسائل المنهجية المناسبة، فكما رأينا القرى لم تتطور عمرانياً بنفس الوتيرة ولا بنفس الحجم فمنها التي أصبحت أطلالاً بعد أن هجرها سكانها إلى حيث لا رجعة ومنها التي تطوّرت بشكل كبير إلى أن فقدت جُلُ الخصائص و المميزات التي تجمعها بمثيلاتها و أصبحت أقرب إلى التجمعات الحضرية شكلاً و مضموناً و بين هذه وتلك نجد العديد من القرى التي لا يزال فيها النسيج التقليدي حياً إلى جانب التوسعات الجديدة. وعليه من أجل إعطاء صورة إجمالية و مركزة في نفس الوقت سنوجه اهتمامنا إلى بعض القرى دون غيرها و قد وقع اختيارنا على :

- التجمع العمراني بمركز بني ورثيلان ؛
- قرية منـــــــادس ببلدية عين لقراج؛
- قرية شلحـــــاب ببلدية عين لقراج ،

حيث تمثل كل منها نمط من أنماط التحولات العمرانية و المعـــــــــــــمارية بالمنطقة.

القـــــــسم الثانـــي

بـني ورثـيلان، الدراسة العمرانــية و المـعمارية

مقـــــــــــــدمة القسم :

بعد التعرف على الإطار الجغرافي و الطبيعي للمنطقة المدروسة، سنعرّج فيما يلي على الجانبين العمراني و المعماري. و لأجل توسيع دائرة الفهم سنتطرق إلى الموضوع بصورة عامة (تاريخية و مجالية) و ذلك بإعطاء لمحة تاريخية عابرة عن مظاهر التوطن البشري بالمنطقة و لمحة عن مختلف تجلياته بالمنطقة حاليا هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لتقصي واستفاء الأبعاد المختلفة للإشكال توجب علينا إتباع معيار معين لاختيار القرى أو التجمعات السكنية التي سنسلط عليها الأضواء بالوسائل المنهجية المناسبة، فكما رأينا القرى لم تتطور عمرانياً بنفس الوتيرة ولا بنفس الحجم فمنها التي أصبحت أطلالاً بعد أن هجرها سكانها إلى حيث لا رجعة ومنها التي تطوّرت بشكل كبير إلى أن فَقَدَتْ جُلُ الخصائص و المميزات التي تجمعها بمثيلاتها و أصبحت أقرب إلى التجمعات الحضرية شكلاً و مضموناً و بين هذه وتلك نجد العديد من القرى التي لا يزال فيها النسيج التقليدي حياً إلى جانب التوسعات الجديدة. وعليه من أجل إعطاء صورة إجمالية و مركزة في نفس الوقت سنوجه اهتمامنا إلى بعض القرى دون غيرها و قد وقع اختيارنا على:

- التجمع العمراني بمركز بني ورثيلان
- قرية منـــــــادس ببلدية عين لقراج
- قرية شلحـــــاب ببلدية عين لقراج

حيث تمثل كل منها نمط من أنماط التحولات العمرانية و المعـــــــــــــمارية بالمنطقة.

المطلـــب الأول : لمـــحة تاريخية

تمهيد المطـــــلب

1-1 الفترة القديمة

1-1-1 مواقع أثرية تعود إلى الفترة القـــــــــديمة

أ. موقع إِغرمان الأثري ببلدية عين لقراج :

ب. موقع تغرمين أو لموثن بالقرب من حديد و اولاد شيبة ببلدية بني شبانة

ج. موقع ثغرمت نطرحة بقرية الشرفة أوفلا ببلدية عين لقراج

د. موقع أخريب نترواميث بقرية التيشي ببلدية بني موحلي

و. مواقع أخـــــــــــرى

2-1 فترة العصور الوسطى و العصر الحديث.

1-2-1 التجـــــــــارة

2-2-1 التربية و التعـــليم

3-2-1 الســـــــــياسة

خلاصة المطلب

المطلب الأول: لمـــحة تاريخـية

تمهيد: عرفت منطقة بني ورثيلان التوطن البشري منذ العهود القديمة حيث لا تزال معالم أثريـــة عديدة شاهدة على مدى التحضر الذي بلغته. فإلى جانب الإنسان المحلي (Autochtone) استقر فيها الرومان و البيزنطيون خلال الفترة القديمة (Période antique)؛ كما شهدت لا محالـــة الفتوحـــات الإسلامية و كذا نفوذ الحكم العثماني المتمركز بمدينة قسنطينة و على شاكلة معظم المنـــاطق القبائليـــة شهدت التوغل الاستعماري الفرنسي و ثورات شعبية عارمة ضده كثورة مولاي أحمد إغبـــولين ســـنة 1842، ثورتي المقراني و الحداد و الثورة التحريرية الكبرى. في هذا المطلب سنحاول إبراز البعض مـــن هذه المحطات التاريخية و الأثر الذي تركته في المجال الذي كان مسرحا لها.

1-1 الفترة القديمة (La période antique):

لا تزال منطقة بني و رثيلان تحتفظ بالعديد من الشواهد على استقرار الإنسان بها خلال الفترة القديمـــة انظر الخريطة رقم 07 و نذكر منها :

1-1-1 مواقع أثرية تعود إلى الفترة القديمة:

أ. موقع إِغرمان الأثري ببلدية عين لقراج :

أبرز معلم يضمه يتمثل في بقايا كنيسة تعود إلى الفترة البيزنطية حيث أشار إليها لويس لوشـــي (LOUIS LESCHI) [1]وذكر أن حفريات قد تم القيام بها في هذه الكنيسة تحت إشراف السيد بونـــال (Bonnell) و بقيادة السيد مونتلاهيك (M. MONTLAHUC) إبان العهد الاستعماري أفضـــت إلى العثور على ضريح به بقايا عظيمة[2]. أبعاد هذه الكنيسة تقـــدر بحـــوالي 72,26 م × 40 ،14م و يصل سمك جدرانها إلى 0,60 م انظر الصور رقم (18)، (19)، (20)، (21) و (22) لوحـــة رقـــم (25). الموقع يضم إلى جانب الكنيسة عدة أضرحة و مقابر، بقايا فخارية و أطلال لمباني سكنية تكـــاد تختفي معالمها. بالإضافة إلى بقايا طريق يُحتمل أنها تعود إلى الفترة القديمة.

[1] - LECHIS, Louis. Une excursion archéologique dans le Guergour (été 1938), in *Etude d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines*, Paris : Arts et métiers graphiques .P. 344.

[2] - يذكر لويس لوشي في نفس المرجع أن بعض التحاليل أجريت على الهيكل العضمي بينت أنه لإمرأة ذات سمات محلية توفيت في سن الخمسين .

ب. موقع ثِغرمين أُو لْـــمُوثَنْ بالقرب من حْدِيدْ و ولاد شيبة ببلدية بني شبانة:

يقع بالضفة اليسرى لواد بوسلام وهو تجمع عمراني قديم تبلغ أبعاده 500م مـــن الشـــمال إلى الجنوب و أكثر من 600م من الشرق إلى الغرب يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث بعد الميلاد حسب مـــا تُوصِّل إليه من قراءة الكتابات التي عثر عليها على ضريحين بالموقع[1].

ت. موقع ثِغْرَمْتْ نَطَّرْحَ بقرية الشرفة أُوفَلا ببلدية عين لقراج:

يضم أطلالاً لمبان قديمة (أحجار مقصوبة، بقايا فخارية) وبقايا مقابر وقطـــع نقديـــة[2] انظـــر الصورتين لوحة رقم (24).

ث. موقع أَخْريبْ نَتْرُومِيثْ بقرية تِيشِي ببلدية بني موحلي:

يضم أطلال لمباني قديمة (أحجار مقصوبة، بقايا فخارية) [3]

ح. مواقـــــــع أخـــــــــرى:

يذكر أ.كارات[4] في دراسته على قبيلة بني ورثيلان أن مجالها يضم ثلاث عيون تعود إلى العصـــر القديم (ANTIQUE) والتي لم نجد لها أي أثر. كما تذكر بعض الروايات أن منطقة ثانوربة ببني شـــبانة تضم موقعا أثريا قديم، لم نحصل على أي مرجع يشير إليه.

لعل هذه الشواهد التاريخية التي لاتزال في الطور الخام و لم تستكشف بعد دليل علـــى تـــوطن الإنسان بالمنطقة منذ الحقبة القديمة وهي تستدعي الإستكشاف والبحث والعناية لقيمتها التاريخية العلمية والسياحية.

[1] - LECHIS, Louis. Une excursion archéologique dans le Guergour (été 1938), in *Etude d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines*, Paris: Arts et métiers graphiques. P-P. 336 – 347

[2] - لم نعثر على أي مرجع تطرق إلى هذا الموقع الى حد الآن. إلا أن بعض الأهالي لايزالون يحتفضون بقطع نقدية وجدت بالموقع قد تساعد في تحديد تاريخ لهذا الموقع.

[3] - أحد هذه الأحجار المتمثل في الجزء العلوي لعمود (Chapiteau) يُحتفظ به حاليا في متحف بني ورثيلان.

[4] - CARETTE, E. *Exploration scientifique de l'Algérie, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années1840,1841,1842, étude de la Kabylie proprement dite*, Tome IV, Paris : imprimerie Royale, 1848, P-P. 380-402.

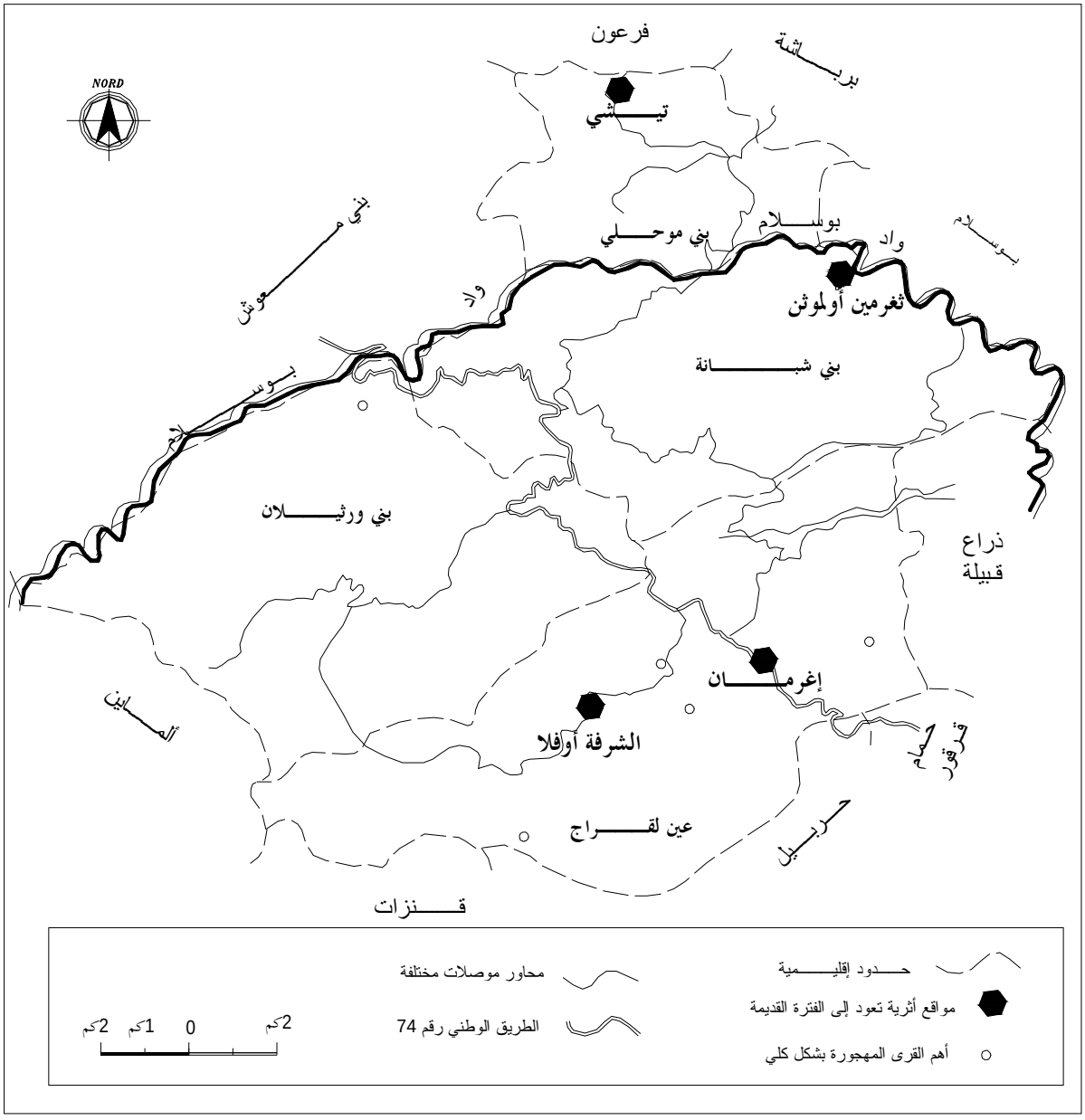

خريطة رقم 07: دائرة بني ورثيلان أهم المواقع الأثرية القديمة و القرى القديمة المهجورة.

Source : Cartes des limites administratives de la Wilaya de Sétif (1984), N 19.03 et N° 19.04, Ech ,1/100.000, Alger: I.N.C.

لوحة رقم: 24

صورة رقم 16: الشرفة، في ساحة المســـــــجد. هذا الحجر المقصوب ذو الأبعاد الكبيرة (Mégalithique) وجد في موقع **ثِغْرَمْتْ نَطَّرْحَ**.
المصدر: الباحث، صائفة 2006م.

صورة رقم 17: مسجد قرية الشـــــــــــــرفة
تُبين الصورة حجر مقصوب على شكل إناء كبير عثر عليه في موقع **ثِغْرَمْتْ نَطَّـــرْحَ**
المصدر: الـــــــــــــباحث، صائفـــــــــة 2006م.

لوحة رقم: 25

صورة رقم 18: موقع إغرمان الأثري، تبرز الصورة ضريحين متجاورين محفورين في صخرة، على مسافة حوالي 200م من موقع الكنيسة.

المصدر : نخال محـــــــــــمد أكلي، 2006/12/03م.

صورة رقم 19: موقع إغرمان الأثري، الوضع الحالي لموقع الكنيسة الفديمة يتلخص في الإهمال وعدم الاهتمام.

المصدر : الباحث، صـــــــــــــــــــائفة 2004

صورة رقم 20 : تمثل ضريح به بقايا عضمية عند مدخل الكنيسة **بموقع إغرمان الأثري** أخذت خلال الحفرايات التي أجريت في الفترة الاستعمارية.

Source: FIG 03 , 04 et 05 :
LECHIS, Louis. Une excursion archéologique dans le Guergour (été 1938), in *Etude d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines*, Paris: Arts et métiers graphiques. P-P. 340.

صورة رقم 21 و صورة رقم 22: تبينان جوانب من بقايا الكنيسة أخذتا خلال الحفريات الاستعمارية.

2-1 فترة العصور الوسطى إلى العصر الحديث[1]:

تعود أقدم المراجع والمصادر التاريخية التي تذكر المنطقة إلى القرن 18 و 19 أساسًا. فيما يلي سـنتناول بعض الجوانب على ضوء هذه المصادر والشهادات التي لايزال جزء منها مغموراً كمخطوطات لم تنشر و لم تحقق.[2]

1-2-1 التجارة: تذكر وثيقة تاريخية إستعمارية تعود إلى القرن التاسع عشر[3] أن المنتجـات الأكثـر رواجا بالمنطقة هي زيت الزيتون، التين، العسل والأغنام وهي كذلك حتى يومنا هذا. كما تشير المصادر إلى أن المنطقة كانت يصنع بها مسحوق البارود[4]، الفخار، القرميد، الحبال، الأواني لخشـبية، الـزرابي والحلي. المنطقة اشتهرت كذلك بزراعة شجرة الرمان حيث أُستغِّل خشبها لصناعة البنادق التي عرفت رواجا لما شهدته المنطقة من ثورات منذ وصول الأتراك في القرن السادس عشر. و يعد سوق الجَمعة من الأسواق الأكثر إستقطابا للنشاط التجاري في منطقة القبائل والشرق الجزائري ككل، حيـث يـذكر الرحالة الحسين الورثيلاني[5]ذلك في رحلته التي ألفها في القرن الثامن عشر للميلاد.كان هذا السوق مركز التبادل بين العديد من القبائل منها (بني وغليس، بني عيدل، بني خيار، بني موحلي، غبولة، بني براهيم، بني عفيف...). بالإضافة إلى تجار القبائل المحلية كانت السوق قبلة لتجار يأتون من مناطق أخرى مثـل بوسعادةومجانة يقايضون السلع المحلية (الزيتون، التين) بسلعهم المتمثلة أساساً في (الحبـوب، الصـوف، التمر، حبال الوبر و التبغ). تجدر الإشارة إلى أن العلامة الشيخ الموهوب أولحبيب أشار في أحد مؤلفاته إلى أن السوق كان يضم جانبا خاصا بالمخطوطات والمراجع العلمية يلتقي فيه المثقفون وطلبة العلـم للتبادل المعرفي.

2-2-1 التربية والتعليم: عرفت المنطقة قبل الفترة الإستعمارية بكونها قطبا ثقافيا لما ضمته من زوايا تتلمذ فيها العديد من الطلبة نبغ واشتهر الكثير منهم مثل الحسين الورثيلاني صاحب الرحلة الورثيلانية،

---

[1] - اعتمدت في هذا الجزء بشكل كبير على موضوع (aperçu historique sur la région de Beni Ourtilane) لمؤلفه مشهد جمال الدين ، متخصص في الفهرسة و المخطوطات و هو المشرف على مكتبة جده الشخ المهوب أولحبيب. و المتوفر على الرابط التالي:

MECHEHED, Djamel-eddine, *Aperçu historique sur la région de Beni Ourtilane*, [En ligne]. ‹http:// mechehed.free.tr/documents/apercu_historique.doc›(page consulté le 18/04/2007)

[2] - وأكبر مثال على ذلك مكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب أحد علماء المنطقة،عاش في القرن التاسع عشر.

[3]- CARETTE, E. *Exploration scientifique de l'Algérie, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années1840,1841,1842, étude de la Kabylie proprement dite*, Tome IV, Paris : imprimerie Royale, 1848, P-P380-382.

[4] - مكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب تضم قالب لصناعة الخراطيش.

الشيخ أحمد زروق بن حاج، عيسى أولحبيب وكذا الموهوب أولحبيب والمولود الحـــافضي وغيرهـــم شغلوا وظائف هامة مثل(القضاء، الإمامة، التدريس...). وقادوا الحركة الفكرية في عصرٍ أقل ما يعرف به الإنحطاط الحضاري.

1-2-3 السياسة: لاشك أنّ لوصول الفتح الإسلامي إلى المنطقة أثراً بالغاً في هيكلة وتنظيم المجتمع بالمنطقة، وقد لعبت الطرقية فيما بعد دوراً كبيراً في توغل الديانة الإسلامية بين الأهالي وكذلك لعبـــت دوراً في تهدئة النزاعات التي تنشأ بين القبائل من حين إلى آخر[1] لأسباب مختلفة وكما أشـــرنا المنطقـــة كانت مناهضة لكل أشكال السيطرة منذ وصول الأتراك، حيث عرفت ثورات متعددة نذكر منها:

- مشاركة العديد من الأهالي في الدفاع عن مدينة سطيف عند دخولها من طرف الفرنســـيين بتـــاريخ 15ديسمبر1838م.
- سنة 1842م المنطقة تقاوم المستعمر في ثورة عارمة بقيادة مولاي أحمد إغبولِّين أخمدت مـــن طـــرف الجيش الإستعماري بقيادة الجنرال بودو(Bedeau).
- سنة 1851م بوبغلة يقود ثورة شعبية ضد المستعمر الفرنسي شارك فيها أهالي المنطقة.
- سنة 1871م الشيخ الحداد ينظم المقاومة من جديد لتصطف معظم قبائل المنطقة تحت رايته[2].
- الثورة التحريرية الكبرى على شاكلة مختلف مناطق البلاد شارك الأهالي في ثورة التحرير الكبرى حيث لاتزال آثار بعض المحتشدات، المعسكرات ومراكز الاستنطاق وبقايا الآليات الحربية شاهدة علـــى هـــذه الفترة الحاسمة من التاريخ المعاصر.

خلاصة المطلب:

المشهد[3] الذي يتراء للعين حاليا بالمنطقة تشكل لا محالة بفعل ترسب بصمات الأجيال المتعاقبـــة عليه سواءً من خلال النشاط العمراني أو الزراعي و غيرهما وهو في تحول مستمر، ولعل وتيرة التحـــول تتباين من فترة لأخرى حسب طبيعة التأثير و التأثر الحضاريين.

[1] -عدة روايات شفوية تذكر الدور الذي لعبه الحسين الورثيلاني في الفصل في خلافات نشبت بين قرى وقبائل المنطقة منها ما يتعلق بالخلاف الذي نشب بين قبيلة بني ورثيلان وبني براهيم حول مكان السوق الأسبوعي.

[2] يذكر تقرير السيناتوس كونسيلت لقبيلة بني ورثيلان (Arrêté d'homologation du 31 Juillet 1899 page 30) كانت من القبائل التي شاركت في هذه الثورة و قد تعرض الأهالي من جراء ذلك للنفي و و السلب، وكانت الاراضي أغلى الثروات المسلوبة.

المطلب الثاني المظهر العمـــــــــراني العـــــام

تمهيـــــــــد المطلب

2-1 النسيج العمراني التقلـــــــــيدي

2-2 بقايا النسيج العمراني الاستعمـــاري

2-3 النسيج العمراني الانتـــــــــقالي

2-4 تجمعات السكنات التطـــــــورية

خلاصـــــــة المطلب

المطلب الثاني: المظهر العمـراني العـام

تمهـــــــــــيد: بحكم موقعها الجغرافي و طبيعة تضاريسها الجبلية بني ورثيلان تُميزها عزلة نســـبية، فحالة محوري المواصلات الرئيسيين: الطريق الوطني رقم 74 و الطريقين الولائيين رقم 04 و رقـــم 45 المتدهورة و الانعدام الشبه كلي لطرق معبدة تربطها بما حولها من بلديات يؤكد ذلك .

المستكشف للوهلة الأولى للمنطقة يلاحظ توضع البنايات الحديثة على جوانب الطرقات بشكل متقطع و غير رتيب مع تجاهل شبه كلي لطبوغرافيا مواضع البناء و القواعد العامة للعمـــران، الطوابـــق الأرضية للبنايات غالباً ما تُستغل كورشات أو محلات تجارية على شاكلة المناطق الحضرية. هذه الظاهرة توحي بسلوك انجذابي من القرية الأم للتوطن على جوانب الطرقات المؤدية إلى المراكـــز و إلى المراكـــز ذاتها (مراكز البلديات، مركز الدائرة، و بعض المراكز العمرانية الثانوية) أين تتمركز الظروف المســـاعدة من بُنَى تحتية، مرافق عمومية، تهيئة عمرانية و سهولة مواصلات.

من خلال الملاحظة المقارنة بين مختلف عناصر البنية العمرانية تبين أن هذه الأخيرة تتمايز إلى عدة أنسجة متجاورة، متمازجة أو مُتحوِّرة[1] وهي كالأتي:

2-1 النسيج العمراني التقليدي: الذي يعطي سمات محلية للمظهر العمراني العام ويتشكل من منازل (**إخامن** جمع **أخام** بالغة المحلية) مبنية بالطين والحجر و مغطاة بالقرميد الأحمر المحلي و هي غالبـــاً مـــا تتموضع على ربوات و أحياناً بالسفوح مثل قرية فريحة، عباد الشريف، بني حافظ وغيرها.

البنية المرفولوجية العامة لهذا النسيج لا تزال قائمة في العديد من القرى رغم عوامل التغير التي مسته[2] (بفعل الإنسان و العوامل الطبيعية). تنتظم المسالك في هذه البنية عادة على شكل تفرعات شجرة و حسب الدراسات السابقة العديدة هذا التوَضُّع يُترجم إسقاط على المجال لانقسام المجتمع القروي إلى مجموعات فرعية متداخلة (عائلات، فرق، قبائل...الخ.)[3] انظر صورة رقم (23) لوحة رقم (26).

2-2 بقايا النسيج العمراني الاستعماري: الذي ظهر في فترة متأخرة من الاحتلال الفرنسي و يشغل نسبة بسيطة من المساحة المبنية الكلية ؛ يتمثل أساساً في مقرات المعسكرات و بعض المرافق العمومية كالمدارس، المصحات و بعض السكنات. حاليا نجدها على إحدى الحالتين: مهملة أو مرممة ومستعملة لوظائف أخرى. يتوزع هذا النسيج في القرى التي استقرت فيها وحدات الجيش الفرنسي لمدة طويلة مثل

[1]- و قد يكون التحوير بإجراء تعديلات جزئية على الأنسجة كالترميم، التوسيع أو إعادة البناء الجزئي أو الكلي مع إجراء تعديلات على بعض المميزات الأساسية.

[2]- نذكر منها قذائف حرب التحرير و زلزال بني ورثيلان في 10 نوفمبر 2001 م.

[3]- انظر الفصل الأول القسم الثاني المطلب الأول.

بني حافظ، ثالمات، بورذيم، بني براهيم، مركز بني ورثيلان، فريحة...الخ. انظر الصورة رقم (24) لوحة رقم (26).

2-3 النسيج العمراني الانتقالي: هو الإطار المبني الذي بدأت بوادر ظهوره بالمنطقة في أواخر السبعينات؛ يتضمن سكنات فردية وجماعية و مرافق عمومية تنتظم بشكل انشطاري تارة و خطي تارة أخرى وعادة ما يكون امتداد للنسيجين السابقين.[1] العمارة المميزة لهذا النسيج تكاد تكون نسخة متكررة لنفس النمط و خصوصاً بالنسبة للسكنات الفردية؛ يتمثل في مباني ذات طابقين على الأقل منفتح على الخارج بنوافذ و شرفات ينتهي غالبها بسطح مستوي، الطابق الأرضي عادة ما يخصص لمآرب، ورشات أو متاجر. المواد المستعملة في هذا النسيج جُلها حديثة.

فيما يخص السكنات الجماعية نجدها على شكل عمارات حديثة من عدَّة أنماط تتكرر- دون أي تنسيق جمالي في الغالب- هنا وهناك في التجمع نفسه و في تجمعات أخرى و يقتصر انتشارها في الحد الراهن على التجمعات العمرانية بمراكز البلديات. انظر الشكل رقم (40) لوحة رقم (27).

2-4 تجمعات السكنات التطورية: كتجمع منطقة كونديان ببني ورثيلان، التجمع القريب من قرية الشوف بعين لقراج و الحي "La cité" بالاثنين التجمع المركزي لبلدية بني موحلي، ينتظم نسيجها العمراني على شكل شطرنجي وهي لا تزال غير مكتملة الإنجاز و تفتقر إلى الشبكات الضرورية كالصرف الصحي و الكهرباء، هذا بغض النظر عن الإجراءات الإدارية العالقة هي الأخرى. انظر الصور رقم (25) لوحة رقم (27).

الخلاصـــــة: تقسيم المظهر العمراني إلى أربعة أنماط متمايزة وربطها بعامل الزمن لا تعطي صورة متكاملة عن النسق العمراني ككل كون هذه الأنسجة عادة ما تكون متجاورة و متمازجة و متحورة مما يجعل من مهمة الباحث فيها أكثر أهمية وتعقيداً. كيف تطورت هذه الأشكال و ما هي أوجه التمايز و أوجه التشابه فيما بينها؟ أسائلة سنحاول الخوض في بعض جوانب الإجابة عنها في ما تبقى من هذا البحث.

[1]- بعض أجزاء هذا النسيج العمراني نجدها منفصلة تماماً و تشكل وحدات مجالية مستقلة. مثل التجمعين السكنيين أقرادو ببني شبانة و ألقراج بعين لقراج.

لوحة رقـــم : 26

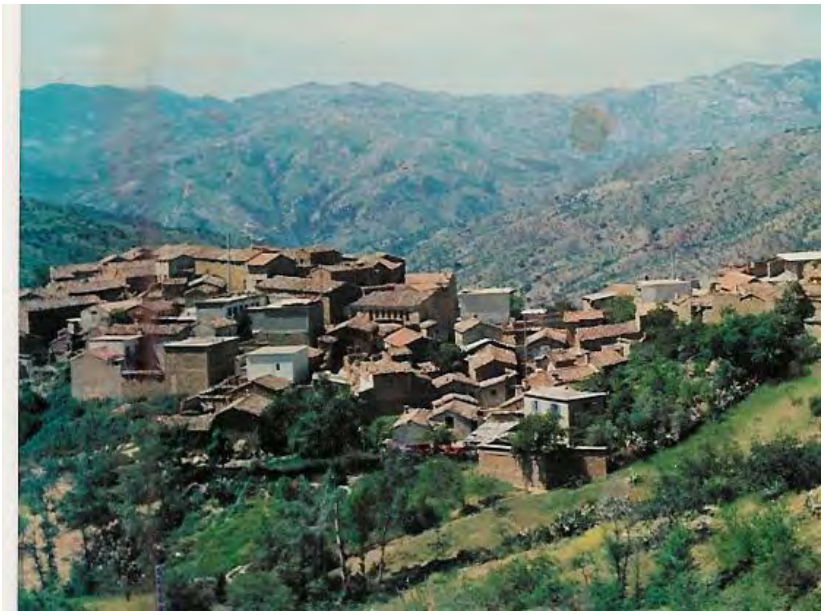

صورة رقم 23: قرية ثاقرانوت مارس 1992، يظهر النسيج القديم المتراص متموضعا على ربوة بانسجام مع طبوغرافيا الموضع ، إلى هذه السنة غزو الإسمنت لا يزال جد محتشماً .

المصدر: المصور عمريو. ب، مـــــــــــــــــــــــــــــارس 1992.

صورة رقم 24: بقايا بناية لمعسكر فرنسي بني بقرية إغيل نايث مالك الواقعة شمال غرب التجمع المركزي لبني ورثيلان الصبغة الأمنية تتضح في موقعها حيث تشغل ربوة تشرف على القرية و ما حولها. لعل البناية تستدعي عناية خاصة كونها تمثل صفحة متميزة من تاريخ التوطن الاستعماري و الذاكرة الجماعية بالمنطقة.

المصدر: الباحث، صائـــــــــــــــــــــفة 2004.

لوحـــــــة رقم :27

صورة رقم 25: بعيدا عن النمط العمراني القديم، يعد تجمع كنديان للسكنات التطورية مع مثيلاتها بالبلديات الأخرى أحد التجارب الحديث التي لا تزال في طور الإنجاز والتي جاءت كاستجابة لتلبية الطلبات المتزايد على السكنات بالمنطقة. المشروع لم يأخذ شكله النهائي بعد لكن الأكيد هو التغيب المطلق لخصائص العمارة المحلية؛ هل المخطط الشطرنجي الذي أضحى القاعدة في مثل هذه العمليات العمرانية هو أمثل الحلول؟

المصدر : الباحث، صائـــــــــــــــفة 2005.

صورة رقم 40: جانب من التجمع المركزي ببني ورثيلان ســــــــنة 2003، يبز هذا الرسم عدم التجانس المورفولوجي بين الأنماط العمرانية للبنايات؛ نلاحظ العمارات الجماعية التي شرع في انجازها منذ بداية الثمانينات تفتقر إلي أي رغبة في تصميمها للتأقلم الجمالي مع العمارة المحلية.

المصدر : رسم المهندس عمراني نور الدين انطلاقا من صورة للباحث، بجاية 2005.

المطلب الثالث : الدراسة العمرانية والمعمارية للتجمع العمراني " مركز بني ورثيلان"

تمهيـــــــــــد المطلب

1-3 تحليل البنية المجالية للتجمع العمراني مركز بني ورثيلان

3-1-1 أنماط المباني من حيث الوظيفة و الاستغـــــلال

3-1-2 تقسيم التجمع إلى وحدات مجالـــــــــــية

3-1-2-1 القـــــــــرى العتيـــــــــقة

أ . قرية فانتيكـــــلت

ب. قرية إغيل أوفـــلا

ج. قريـــة آنـــــــو

3-1-2-2 النسيـــج العمراني الحـــــــــــديث

أ. الجمـــــــعة

ب. التوسعات و الخطية النقطية على طول ط .و رقم 74 و الطريق الولائي رقم 04

خلاصـــــــــة المطلب

المطلب الثالث: الدراسة العمرانية والمعمارية للتجمع العمراني: مركز بني ورثيلان

تمهـــــــــيد: كما سبق وأن رأينا الإطار المبني بمنطقة بني ورثيلان يتشكل من الترسب والتجاور للناتج والتوسع المجاليين لثلاث فترات زمنية متعاقبة وهي: مرحلة ما قبل الاستعمار، مرحلة الاستيطان الفرنسي ومرحلة ما بعد الاستقلال ونظرا لما يكتسيه المركز من أهمية اقتصادية واجتماعية والدور المحوري الذي يلعبه في الهيكلة المجالية العامة للمنطقة[1] فإنه أضحى مسرحا لعدة توسعات وتحوُّلات عمرانية هامة مقارنة بما جاوره من المراكز و القرى الريفية وقد نتج عن ذلك كله حالة معقدة من عدم التجانس المورفولوجي بحيث لا يصلح إطلاق اسم **"قرية"** و لا **" تجمع حضري"** عليه كونه يتضمن ميزات كل منهما بشكل غير متجانس بين مختلف الوحدات المجالية المشكلِّة له. في هذا المطلب سنحاول الإلمام بالهيكلة العمرانية و المعمارية العامة للمركز وظيفيًا مورفولوجيًا.

3-1 تحليل البنية المجالية للتجمع العمراني مركز بني ورثيلان.

3-1-1 أنماط المباني من حيث الوظيفة و الاستغلال:

المرافق العمومية:

تشغل مساحة هامة من المساحة الكلية للمركز بمجالات للتغطية (Rayonnement) متباينة؛ تلبي العديد من أنواع الخدمات (إدارية، صحية، اقتصادية، مواصلات، ترفيهية و تربوية) و هي ذات طابع معماري حديث في الغالب.

السكنات:

السكنات الجماعية: بدأت في الظهور في أواخر السبعينات و استُمِر في إنشائها إلى يومنا هذا، تعطي ملامح حضرية للمركز و هي متباينة الحجم و الطراز.

السكنات الفردية: تشكل أهم نسبة من المساحة المبنية. من الناحية المعمارية كل مسكن له ميزاته الخاصة مضاف إليها السمات المشتركة و التي سنتعرض إليها في المراحل المقبلة من البحث.

[1]– وذلك لعدة عوامل أهمها: السوق الأسبوعي الذي يعود إلى عهد ما قبل الاستعمار، الطريق الوطني رقم 74 الذي يشكل العمود الفقري للتجمع العمراني بالإضافة إلى الدرجة التي يشغلها في السلم الإداري (مركز دائرة مند 1984 ومركز بلدية مند سنة 1959).

صورة رقم 26: وهي صورة جوية للتجمع العمراني المركزي لدائرة بني ورثيلان.

Source: Photo aérienne du centre de la commune de Beni-Ourtilane, Akbou, N° 133, Ech: 1/20.000, Alger: I.N.C. 1998.

3-1-2 تقسيم التجمع العمراني إلى وحدات مجالية:

لتسهيل الدراسة و التحليل قسمنا التجمع المركزي لبني ورثيلان إلى عدة وحدات مجالية و ذلك حسب المؤشرات و العوامل التالية انظر الخريطة رقم (08):

1- التتابع الزمني لتوسع التجمع السكني ككل؛

2- المورفولوجية العامة للوحدة المجالية (الغالبة)؛

3- الوظيفة الغالبة التي تؤديها الوحدة ضمن النسق العمراني الكلي؛

4- التقسيم المعتمد في المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية الحالي.

و تتمثل نتائج التحليل فيما يلي:

3-1-2-1 القرى العتيقة:

وهي ثلاث إغيل أوفلا، آنو، و فانتيكلت ترجع نشأتها إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي حيث نجدها ضمن العشر قرى[1] التي ذكرها أ.كارت (E.CARETTE) في باب قبيلة بني ورثيلان.

الحالة المعمارية الحالية لهذه القرى متدهورة على العموم من جراء عوامل المناخ ، الزمن و الإنسان حيث نجدها مفصولة أو بعيدة جزئيا عن الديناميكية الحالية الاقتصادية و الاجتماعية للمركز ذلك كون الظروف الحالية مخالفة تماما لظروف نشأتها الابتدائية (المجتمع التقليدي)، و هذا ما يجعلنا نتساءل عن جدوى بقائها و دورها المستقبلي ضمن البنية المجالية الكلية للمركز.

فيما يلي سنتناول القرى الثلاث بتحليل عمراني و معماري عام و ذلك بغرض تكوين فكرة إجمالية عن الحالة الحالية تمهيدا للجوانب المتبقية من البحث (التحولات بوجه التحديد).

أ. قرية فانتيكلت: من أقدم القرى المجاورة لموقع السوق الأسبوعي انظر الخريطة التوضيحية رقم(09)، رغم تمايزها و عزلتها النسبية فإن بعض المرافق العمومية الحديثة الإنشاء المبنية بمحاذاتها تشكل إلى جانب شبكة الطرقات جسور وظيفية و مورفولوجية تربطها مع باقي الوحدات المجالية المشكلة لمركز بني ورثيلان. تتشكل فانتيكلت من النسيج العمراني التقليدي المتراص مضاف إليه التوسعات الجديدة و ذلك ما نتج عنه عدم تجانس كبير أفضى مع وضاعة (La précarité) معظم السكنات الجديدة إلى تلوث بصري حاد انظر الصورة (27) لوحة رقم (29).

[1]- وهي الجمعة (Eldjemâa) و نجد فيها "فانتيكلت" (Fentikelt)، و إغيل أوفلا و بينهما السوق الأسبوعية. القرى الأخرى التي ذكرها هي: آنو (Anou)، تيزي واطو (Tizi Ouatou)، أقني قطران(Agniketran)، الملاحة (El Mallaha)، القاع وزرو (K'a ouzrou)، دشرة سيدي الحوسين (Dechret Sidi Elhosine)، و بني أحفير (Beni-Ahfir).

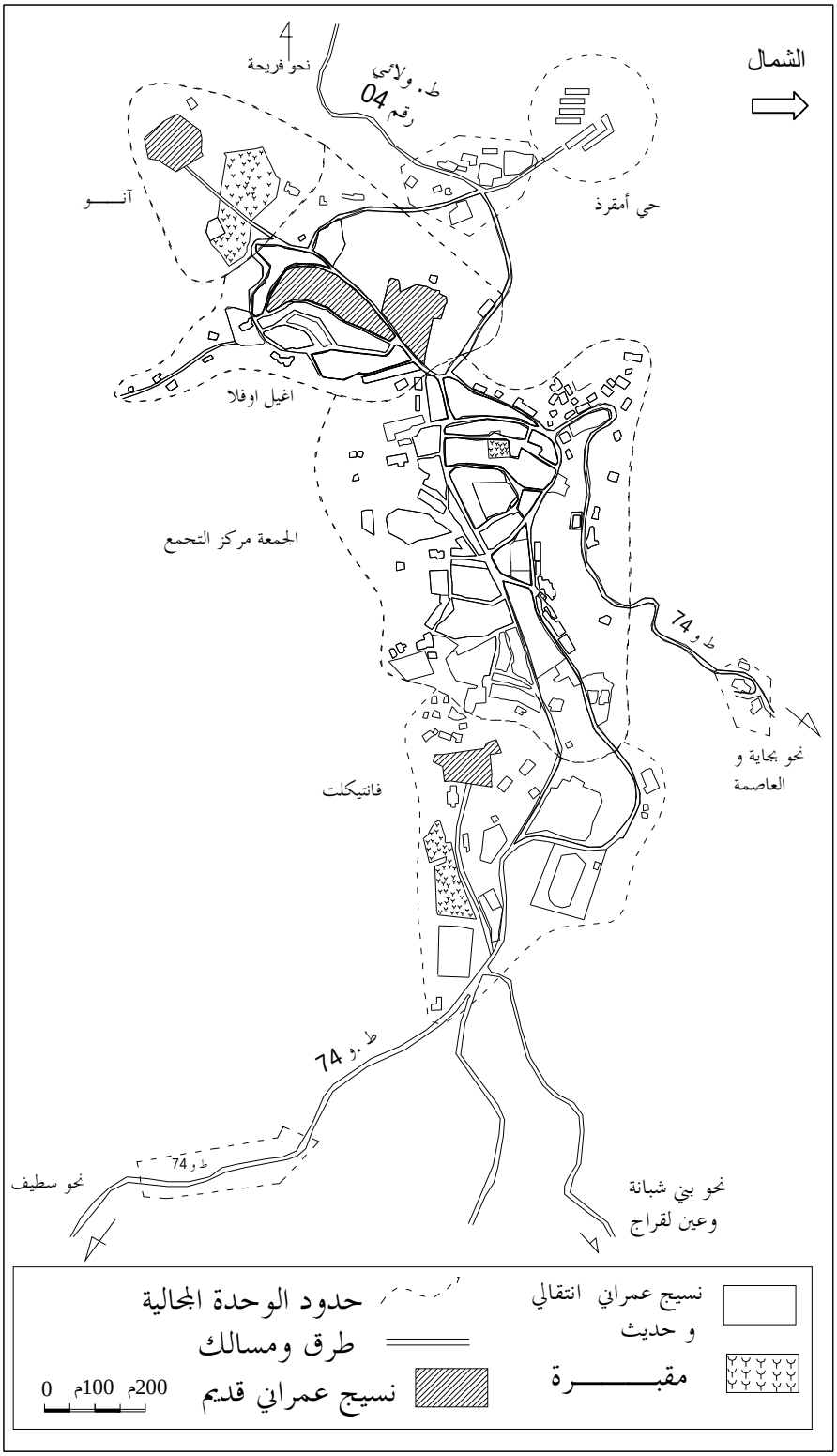

خريطة رقم 08: التجمع العمـــــــــراني مركز بني ورثيـــــــــلان.

Source: Photo aérienne du centre de la commune de Beni-Ourtilane, Akbou, N° 133, Ech : 1/20.000, Alger: I.N.C. 1998 + P.O.S et P.D.A.U de Beni-Ourtilane + Enquête de terrain+ traitement de l'étudiant.

فيما يلي سنقدم صورة على الحالة الحالية لمجمل العناصر المكونة لها.

أ-1 المرافق العمومية:

أ-1.1 المدرسة الأساسية: يدرس فيها تلاميذ المركز العمراني الذين بلغوا الطور الثاني من التعليم الأساسي، من الناحية الإنشائية تتكون من عدة بنايات منفصلة و هي ذات طراز حديث، بالإضافة إلى ساحة ملعب صغير، تشغل نطاق من الأرض يتميز بالانحدار النسبي و ذلك إلى الأسفل من القرية (فانتيكلت) و تبعد عنها بحوالي 100م.

أ-1 .2 الثانوية: ليست بعيدة عن المرفق الأول، تتكون بدورها من عدة وحدات جزئية ذات طراز عمراني حديث؛ بالإضافة إلى مساحات الرياضة و المساحات الخضراء، تحتل موقع يشرف من الأعلى على النسيج القديم للقرية و يبعد عنه بحوالي 300م.

أ- 1. 3 المركز الصحي: يلعب دورا كبيرا من خلال الخدمات التي يوفرها لعموم سكان الدائرة كونه الوحيد[1] على مستوى منطقة أقصى الشمال الغربي لولاية سطيف؛ و له ميزات مماثلة للمرافق السابقة.

أ-1.4 المركز الثقافي: كالمركز الصحي يعتبر الوحيد بالمنطقة و يظم قاعة محاضرات و عرض بطاقة استيعاب قدرها 600 فرد، يتكون من بناية واحدة ذات طابقين بالإضافة إلى مساحات خضراء و مساحات للرياضة.

أ-1.5 الملعب: تقام فيه المنافسات الرياضية (خصوصا منافسات كرة القدم) ذات الطابع المحلي و الولائي كما يستخدم لصالح الإكمالية و الثانوية و المدرسة الابتدائية؛ يفتقد لمكون أساسي هو المدرجات و يشغل موضع يتميز بتربة هشة و غير مستقرة تتعرض للانزلاق على مدى فصل الشتاء.

أ -1.6 المدرسة الابتدائية: تم إنشاؤها في السنوات الأخيرة حيث لا تزال الأشغال التكميلية جارية بها و هي مخصصة لقرية فانتيكلت فقط، فتحت أبوابها في الموسم (2005/2004)؛ تشغل نطاق تم تهيئته على أحد جوانب الطريق الوطني رقم 74 و هي ذات طابع عمراني جديد بالمقارنة مع المدارس الابتدائية الأخرى.

[1]- حاليا (2007) ينجز مستشفى طاقة استعاب (60) سرير بالتجمع السكني الثانوي عراسة الأمر الذي سيخفف وبشكل كبير من معانات السكان من جراء التنقل إلى المستشفيات البعيدة.

لوحة رقم: 29

خريطة رقـــــــم 09:

فانتيكلت البنية المجالية العـــــــامة

Source: Photo aérienne du centre de la commune de Beni-Ourtilane, Akbou, N° 133, Ech: 1/20.000, Alger: I.N.C. 1998 + P.O.S et P.D.A.U de Beni-Ourtilane + Enquête de terrain+ traitement de l'étudiant.

صورة رقم27: قرية فانتيكلـــت أحد القرى القديمة المجاورة لمركز الدائرة يظهر النسيج التقليـــدي على أعلى قمـــة الربـــوة و إلى الأسفل بقليل نلاحظ نسيج اقل تماسكا و يليه نســـيج بســـمات حديثة خالصـــة يـــربط القريـــة بالمركز.

المصدر: الباحث، صائفة 2004

أ-7.1**مقر الحماية المدنية:** مثل المنشآت السابقة حديثة النشأة و التدشين و هو الوحيد على مستوى الدائرة، يشغل موضع على أحد جوانب الثانوية، و يساهم في تشكيل جزء من الواجهة الجانبية للطريق الوطني 74، و يتكون من وحدات مبنية منفصلة عن بعضها و محاطة بسور خارجي.

أ-**8.1 المسجد:** خاص بسكان القرية تقام فيه الصلوات الخمس فقط وهو أقرب المرافق إلى النسيج القديم بُني خلال سنوات الثمانينات بمساهمات السكان و مساعدات السلطات المحلية، يتميز بطابع معماري حديث.

أ-**9.1 المقبرة:** قديمة النشأة تتربع على حيز هام من المساحة الكلية، تشغل ربوة صغيرة محاطة بسياج معدني، ولا يقتصر استعمالها على سكان القرية فقط.

من الملاحظة المقارنة للجانب المورفولوجي لهذه المنشآت العمومية يبدو أنها تشترك في ميزة واحدة و هي السور الخارجي (La clôture) أو السياج الذي يحدد موضع بنائها و هي من مميزات الطراز المعماري الحديث الذي يعطي أهمية بالغة للوظيفة دون غيرها من الجوانب مما أعطى للمظهر الكلي طابع انشطاري تحتل فيه المساحات الحرة والخضراء مكانة كبيرة، وذلك خلافا للنسيج العمراني التقليدي المتراص.

أ-2 النسيج السكني:

هذا الأخير يتشكل أساسا من السكنات الخاصة بحيث تتمايز من حيث هيأتها إلى عدة أصناف.

1- المنازل ذات الطابع التقليدي البحت و تشغل القسط الأكبر من مركز القرية.

2- المنازل التقليدية المرممة نجدها كذلك في مختلف جوانب النسيج القديم للقرية.

3- المنازل التقليدية الموسعة تتموقع خصوصا في الجوانب الخارجية للنسيج العمراني القديم.

4 - المنازل الحديثة و هي كل المنازل التي تم بنائها من بداية السبعينات إلى الآن حيث استخدمت فيها مواد حضرية، و هي تنتظم في نسيج قليل التماسك يضم بعض الخدمات كتجارة المواد الغذائية، المقهى، و قاعة الألعاب للأطفال.

أ-**3 شبكة الطرقات:** تتشكل بالإضافة إلى قطعة من الطريق الوطني رقم 74[1] من طريق ثانوي [2]يربط هذا الأخيرة بالنسيج التقليدي و مجموعة من المسالك غير المعبدة داخل و خارج القرية العتيقة.

[1]- هذا الطريق يشكل مجالا اجتماعيا هاما لما يسهله من قضاء للحاجيات.

[2]- تم تعبيده و تهيئته بصفة كلية مؤخرا (2005).

ب . قرية إغيل أوفلا:

إلى وقت ما كانت تشغل ربوة معزولة بالقرب من موضع السوق الأسبوعية لكن التحولات و التوسعات العمرانية جعلتها تفقد هذه الميزة - وهي ميزة معظم القرى الجبلية القبائلية- لتُضم إلى المركز بواسطة نسيج عمراني هجين الصفات (حديثة و تقليدية) و شبكة من الطرقات، ثلاثة منها تربط مركز القرية بكل من قرية آنو و بإغيل لكريم و حي أمقروذ الخريطة رقم (08)، الإطار المبني لهذه القرية يتشكل من نفس الأصناف التي وجدها بقرية فانتيكلت باستثناء المرافق العمومية و تتميز بحالة يغلب عليها التردي، انظر الجدول رقم (03).

الحالة	عدد المساكن	القيمة النسبية
حسنة	10	%7,69
متوسطة	40	%30,77
متردية	80	%61,54
المجموع	130	%100

جدول رقم 03: حالة السكنات بقرية إغيل أوفلا.

المصدر: بحث ميداني + مخطط التوجيه و التهيئة و العمران لبلدية بني ورثيلان، 1996م، ص .28.

ج. **قرية آنو** [1] :

معزولة كما في السابق عن الوحدات المجالية الأخرى، حيث تشكل المقبرة التي تفصلها عن إغيل أوفلا حاجزا لتوسعهما باتجاه بعضهما البعض انظر الخريطة رقم (08) عرفت تحولات أقل أهمية من القريتين السابقتين كون سكناتها تقريبا كلها تقليدية و هي في طور جد متقدم من التدهور و التردي انظر الجدول رقم (04). قرية آنو تربطها طريق غير معبدة بالأجزاء الأخرى للمركز بينما تشكل شبكة الطرق داخل النسيج التقليدي المكون لها شكل شجرة تنتهي معظم فروعها بمسالك بدون منفذ (Impasse).

1- هذه القرية هي مسقط رأس كل من الشيخ الفضيل الورثيلاني و جده العلامة الحسين الورثيلاني صاحب الرحلة الورثيلانية.

لوحـــــة رقم : 30

صورة رقم 28: مدخل قرية آنو، يظهر هنا النسيج الحديث فقط حيث تتموضع البنايات بمحاذاة الطريق إلى الأمام يوجد النسيج العمراني القديم الذي لم يعد مأهولا في معظمه و هو في حالة جد متردية.

المصدر: الباحث، ربيـــــع 2003.

صورة رقم 29: قرية آنو النسيج التقليدي، تظهر بعض المباني المنجزة بالحجر والطوب قد انهارت بفعل عوامل الطبيعة بعد أن هجرها سكانها بينما تنازلت المنازل المرممة بمواد حديثة عن الخصائص والمظهر المحلي التقليدي.

المصدر: الباحث، ربيـــــع 2003.

صورة رقم 30: قرية إغيل أفلا، تبرز هذه الصورة الملتقطة من قرية آنو المظهر العام لها الذي يغلب علية الطابع الهجين الانتقالي.

المصدر : الباحث، ربيـــــع 2003.

الحالة	عدد المساكن	القيمة النسبية
حسنة	/	%0
متوسطة	04	%8,89
متردية	41	%91,11
المجموع	45	%100

جدول رقم 04: حالة السكنات بقرية آنو

المصدر: بحث ميداني + مخطط التوجيه و التهيئة و العمران لبلدية بني ورثيلان، 1996م، ص 30.

3-1-2-2 النسيج العمراني الحديث

أ. الجمعة:

تشكل هذه الوحدة المجالية حاليا عقر مركز دائرة بني ورثيلان بينما كانت في وقت ماضي مكان تلاقي أسبوعي من أجل التسوق، يقصده الكثير من الفلاحين، الحرفيين و السكان لتبادل و شراء مختلف مستلزماتهم. يتموقع السوق القديم بين قرية فانتكلت و إغيل أوفلا. عرفت هذه الوحدة المجالية تحولات و توسعات عمرانية هامة و سريعة جعلها تكتسي طابع مركزي في المركز ذاته .

الهيكلة الحالية لها مشكلة من محورين أساسيين للمواصلات (شرق، غرب) هما:

1- جزء من الطريق الوطني رقم 74.

2- طريق داخلية تتفرع عن الطريق الوطني رقم 74.

من هذين المحورين تتفرع عدة طرق ثانوية تشكل مجتمعة شبكة تُهيكل القسم الجنوبي للوحدة المجالية انظر الخريطة رقم (10).

من جهة أخرى نجد منشآت المرافق العمومية التي تشغل حيز هام من المساحة الإجمالية للوحدة، و تتميز في معظمها بمجالات إشعاع (تأثير) قد تصل إلى مجمل مناطق الدائرة و تتعداها في بعض الأحيان كما هو الحال بالنسبة للسوق الأسبوعية، انظر جدول رقم (05).

المرفق العمومي	حالة المنشاة	شعاع التأثير	المرفق العمومي	حالة المنشاة	شعاع التأثير
مقر الدائرة	حسنة	الدائرة	مقر قباضة الضرائب	جيدة	الدائرة
مقر البلدية	حسنة	البلدية	مقر مديرية العمران	حسنة	الدائرة
مقر الدرك الوطني	حسنة	البلدية	مقر مديرية الري	جيدة	الدائرة
الابتدائية	متوسطة	مركز الدائرة	البنك(B.A.D.R)	متوسطة	الدائرة
المسجد(الجامع)	حسنة	مركز الدائرة والقرى المجاورة	محطة الحافلات	جد متردية	الدائرة مركز الدائرة
المحكمة	جيدة	الدائرة	مستودع قارورات الغاز	حسنة	الدائرة
مركز البريد و المواصلات	حسنة	البلدية	الفندق	حسنة	الدائرة
مقر الحرس البلدي	متوسطة	البلدية	متحف	متردية	الدائرة
مفتشية الضرائب	حسنة	الدائرة	السوق الأسبوعية	متوسطة	يتعدى المجال الجغرافي للدائرة إلى عدة مناطق من ولاية بجاية و أجزاء أخرى من ولاية سطيف
المركز الهاتفي	حسنة	الدائرة			
مركز الوقاية ماين البلديات	حسنة	الدائرة	مقر الضمان الاجتماعي	حسنة	الدائرة
المذبح البلدي	متوسطة	الدائرة			

الجدول رقم 05: يوضح حالة منشآت المرافق العمومية "الجمعة" و شعاع تأثيرها.

المصدر: بحث ميداني يوم 2003/04/25 + مخطط التوجيه و التهيئة و العمران لبلدية بني ورثيلان، 1996م، ص 30.

ينتج عن نشاط هذه المرافق حيوية اقتصادية و اجتماعية لا نجدها مثيل في أي تجمع سكاني ضمن منطقة أقصى شمال غرب ولاية سطيف انظر الخريطة رقم (10) و اللوحة رقم (31).

فيما يخص السكنات التي تنتمي إلى هذه الوحدة المجالية فإنها تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: جماعية و حضرية تتميز بحجمها الكبير نسبيا بحيث يصل إلى أربع طوابق مضاف إليها الطابق الأرضي و يقدر عدد العمارات من هذا النوع بـــ 15 عمارة تظم 127 مسكنا (شقة) "Appartements"[1].

[1]-URBA. SE. *Rapport du Plan directeur d'occupation au sol de la Zone N°01 du centre Beni-Ourtilane*, phase finale : 2001.P.31.

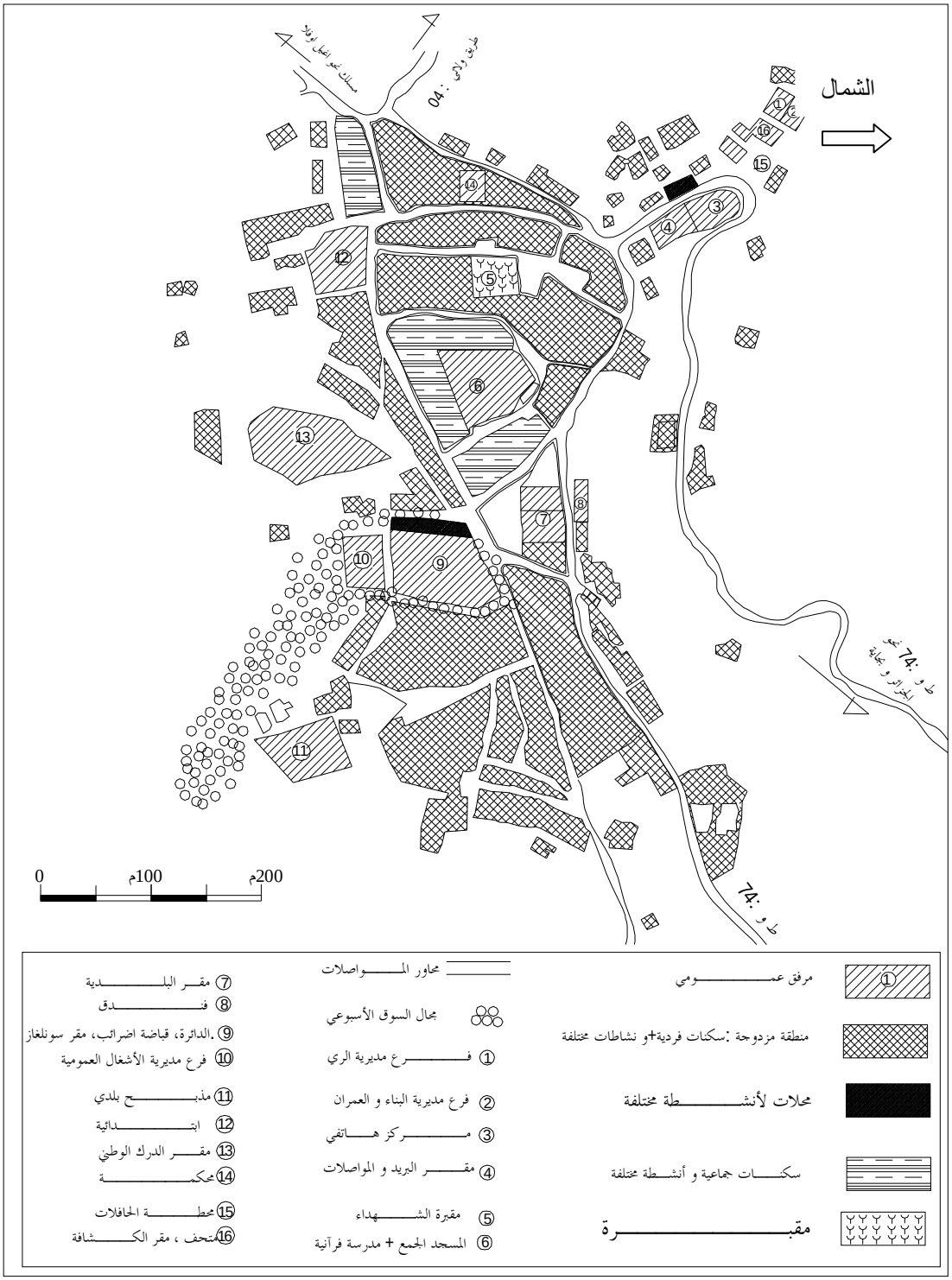

خريطة رقم 10: البنية المجالية للجمعة، عقر مركز التجمع الحضري لدائرة بني ورثيلان.

Source: Photo aérienne du centre de la commune de Beni-Ourtilane, Akbou, N° 133, Ech : 1/20.000, Alger : I.N.C. 1998 + P.O.S et P.D.A.U de Beni-Ourtilane + Enquête de terrain+ traitement de l'étudiant.

لوحة رقم: 31

صورة رقم 31: الجمعة عقر التجمع العمراني مركز بني ورثيلان، تظهر العمارات الجماعية و كأنها مفصولة عن باقي البنايات مما ينم على الاعتناء بالجانب الكمي و تناسي الجانب الجمالي العمراني.

المصدر: الباحث، صـــــــــــــــــائفة 2004

صورة رقم 32: الجمعة الطريق الوطني رقم 74، كان ولا يزال العمود الفقري للتجمع، على جوانبه تتموضع أهم المرافق العمومية و تظهر هده الصورة مركز البريد والمواصلات، المركز الهاتفي عل اليمين و على اليسار نجد مديرية الفلاحة، مقر الحرس البلدي و مبنى سوق الفلاح سابقاً.

المصدر: الباحث، صـــــــــــــــــائفة 2004

لوحة رقم: 32

صورة رقم 33: الجمعة أحد الشوارع يوم الجمعة السوق تعج بمن يقصدها و الحيوية تدب في كل مكان. تبادل السلع الحلية و المستوردة يضل أحد الأنشطة الأكثر رواجا و أهم عوامل النمو و الديناميكية بالمنطقة.

المصدر: الباحث، صـــــــــــــــــائفة 2004.

صورة رقم 34: الجمعة جانب من السوق الأسبوعية الذي خضع بدوره لعدّة تحويلات مجالية حيث أصبح الآن يشغل أحد المسالك الثانوية على الجانب الجنوبي للتجمع العمراني.

المصدر: الباحث، صـــــــــــــــــائفة 2004.

- **النوع الثاني:** فردية تم إنشاؤها من طرف الخواص يتراوح عدد طوابقها من 1 إلى 03 و يقدر عددها بحوالي 184 مسكن، انظر صورة رقم (31) لوحة رقم (31).

هذه الوحدة الجالية تعاني من ازدحام الطرقات بالمارة و السيارات في أيام الجمعة (يوم التسُّوق) وهنا تبرز الحاجة الملحة للبحث في الحلول المستقبلية لهذا المشكل.

ب . التوسعات الخطية و النقطية على طول ط.و رقم 74 و الطريق الولائي رقم 04:[1]

تُشكل جوانب هذين المحورين قِبلة لكل من يرغب في بناء مسكن جديد، إقامة محل تجاري أو ممارسة أي نشاط اقتصادي آخر عدى الفلاحة و ذلك لما يتميزان به من ديناميكية و حيوية.

هذه الظاهرة تنتشر و بصورة متسارعة و غير منتظمة و غير مهيكلة و تخضع بالدرجة الأولى لعامل أساسي هو المردودية الاقتصادية و الربح. انظر الخريطة رقم (08) و الصورة الجوية لوحة رقم (26).

تتشكل هذه التوسعات من سكنات فردية ذات عدة طوابق يخصص الطابق الأرضي عادة للتجارة أو ورشات مختلفة التخصصات، كما نجد بعض المرافق العمومية مثل مركز التكوين المهني و محطة البنزين الجديدة و إضافة إلى ذلك نجد تجمع أمقروذ للسكنات الاجتماعية انظر لوحة رقم (33).

هذه التوسعات تُعطي شكل طولي لمركز الدائرة مما يتطلب في المستقبل جهودا و موارد مالية أكبر لتهيئة المجالات الخارجية و البنية التحتية و عليه يُطرح هنا تساؤل آخر: *إلى أي حد يمكن أن يسمح بهذه التوسعات؟ و ماذا يمكن أن تقوم به المصالح المختصة من خلال وسائل التعمير و التحكم فيه؟ هذا مع العلم أن ندرة العقار و غلاؤه داخل الوحدات المجالية المركزية من العوامل المساهمة في تنشيط هذه التوسعات.*

[1]- نذكر منها حي أمقروذ، الحي المجاور له، مجموعة السكنات التساهمية بكونديان و غيرها.

لوحة رقم: 33

صورة رقم 35: حي أمقروذ وجانب مـــن الحي المجاور له وهما حديثا النشأة، ندرة العقار في المركز أفرز العديد مـــن التوســـعات إلى جانب هذين الحيين .

المصدر: الباحث، صـــــائفة. 2004م.

صورة رقم 36: حي أمقروذ يفتقـــر إلى الحيوية التي يتمتع بها التجمـــع العمـــراني المركزي ببني ورثيلان. سكانه يقضـــون معظم أوقاتهم في المركز و كـــذا الأمـــر بالنسبة لاقتناء الحاجيات. تظهر الصـــورة بعض الطوابق الأرضية الـــتي خصصـــت لتستغل كمحلات وهي لا تزال تنتظر من يستثمرها.

المصدر: الباحث، صـــــائفة. 2004م.

صورة رقم 37: حي أمقروذ، الزلزال مر من هنا وهذا الأثر . كان ذلك يـــوم 2000/11/10م.

المصدر: الباحث، صـــائفة. 2004 م

خلاصة المطلب :

إن التجمع الحضري لمركز بني ورثيلان لم يعد يمت بصلة وثيقة إلى ما كان عليه من قبل (مجموعة من القرى الجبلية المتجاورة و المنفصلة). هيئته الحالية نتاج لطرفين فاعلين أساسيين هما الخواص و السلطات المحلية. إسهامات الدولة تتمثل على الخصوص في مختلف جوانب التهيئة (المجالات الخارجية العمومية و البُنى التحتية) و بناء المرافق العمومية والسكنات الاجتماعية بينما تركزت المساهمات الخاصة في السكنات الفردية و بعض الاستثمارات الاقتصادية (مرافق ذات طابع خدماتي و تجاري) « ***هذه الأخيرة في معظمها ملك للمغتربين الذين يحضرون للعودة إلى مواطنهم بعد أن يدخلوا في مرحلة التقاعد، فهم بهذا السلوك يقومون بإعادة إنتاج انتقائية لبعض مظاهر الحياة الحضرية في مجال كان في الأصل قروي و ريفي***»[1].

و في الأخير يمكن القول أن حالة التوسع غير المتحكم فيه كما و كيفا، شكلا و مضمونا تستوجب إعادة النظر في دور العناصر الفاعلة و الوسائل المتخذة لتأطير نشاطها في المجال، و كذلك الأمر بالنسبة إلى ترجمة أهداف هذه الوسائل على أرض الواقع و علاقة المواطن البسيط بها، الأمر الذي سنوضحه أكثر في الفصول المقبلة من هذا البحث.

[1]–LOECKX, A & NOERT, N. *Construire un autre village, étude comparative de trois environnements représentatifs en Kabylie*. Belgique: Ed P.G.H.S/ KULEUVEN 1986, p 13.

المطلب الرابع : قرية منادس دراسة معمارية و عمرانية.

تمهيـــــــــد المطلب

4-1 البنية المجالية لقرية منادس وما جاورها

4-1-1 الإطار المبـــــــــني

4-1-1-1 النسيج العمراني القـــديم

4-1-1-2 النسيج العمراني الانتقالي

4-1-1-3 النسيج العمراني الحديث

4-1-2 الأراضي الزراعـــية

4-1-3 شبكة الطـــــــرق

4-1-4 الأدغال و الأحراش

4-1-5 مصادر الميـــــــاه

خلاصـــــــــة المطلب

المطلب الرابع: قرية منادس دراسة معمارية و عمرانية.

تمهيـــــــــد: تقع هذه القرية ضمن سلسلة من القرى (لعزيب (ثاماقازث)، بونتر، منادس، تيزي العسكر، إشنبوذغ) يربطها طريق بلدي معبد طوله 3كم يتفرع عن الطريق الوطني رقم 74 وهي تابعة لبلدية عين لقراج إحدى البلديات الأربع لدائرة بني ورثيلان. تبعد عن مركز الدائرة بـــ 8كم بينما تبعد عن مركز البلدية بـــ 7 كم. تتوضع على الجانب الشرقي لجبل بوموسي (1200 م) حيث تحتل موضع مستوي نسبيا يتميز بوفرة الماء و خصوبة التربة .النواة الأولى لهذه القرية كانت مجموعة أكواخ استُعمِلت كمأوى و مخازن في مواسم الحصاد وجني الزيتون وغيرها من المحاصيل من طرف الفلاحين الذين يقطنون بقرى تقع على الجانب المقابل من جبل بوموسي (أخريب، زاكو، ثيغيلت و غيرها)[1] و عن تسميتها فالرواية السائدة مثابها أنها من العبارة المحلية (أمان رقس) أي لماء فيها.

4-1 البنية المجالية العامة لقرية منادس و ما جاورها:

بصورة إجمالية نميز المكونات التالية في البنية المجالية لقرية منادس: الإطار المبني، شبكة الطرقـــات، المساحات الزراعية، الأراضي غير المزروعة (البور، الأحراش و الأدغال) و مصادر الماء. فيما يلي يـــأتي وصف، تكوين و ظيفة كل هذه العناصـــــــــر. انظر لوحتين رقم (34) و رقم (35)، الصورة رقم (44)، والخريطة رقم (11).

4-1-1 الإطار المبـــــــــــني:

يتشكل من مجموع 75 بناية 67 منها ذات استغلال سكني أو مزدوج (سكني وخدماتي)، و 9 منها ذات استغلال خدماتي بحت. ويتمايز إلى نسيج عمراني قديم متراص و نسيج حديث انشـــطاري أو خطي بالإضافة إلى النسيج الانتقالي ذو الصفات المشتركة من الأول و الثاني.

4-1-1-1 النسيج العمراني القديم:

يضم 16 حارة متجاورة و مسجد بالإضافة إلى 07 مساكن منعزلة. المواد المستعملة في إنشـــائه محلية تتمثل في الحجر، التراب، الخشب، القرميد المصنوع محليا، التبن ...الخ. يتخلل هذا النسيج زقـــاق رئيسي واحد يتراوح عرضه من 2,5 م إلى 3,5 م و يتفرع عنه دربين فرعيين. هذه الطرق الثلاث تربط النواة الأولى بما حولها من أراضي زراعية و توسعات حديثة.تتميز بعدم إمكانية مرور العربات الميكانيكية عليها.

[1]-معظم سكان قرية منادس لهم أصول في القرى المذكورة.

لوحة رقم : 34

صورة رقم 38: قرية منادس منظـــــــــــــــــر عام

المصدر : الباحث، صائفـــــــــــــــــة 2005.

صورة رقم 39: صورة جوية للتجمع المركزي لقرية منـــــادس

Source: Photo aérienne du Village Ménades, Akbou N°272, Ech: 1/10.000, Alger: I.N.C. 1995.

لوحـــــة رقم: 35

صورة رقم 40: قرية منـــادس أفـــراق (ساحة) حارة عائلة (خ- ر)، مصير هذه الحارة (تدهور كبير) يشبه مصير نسبة كبيرة النسيج العمراني القديم للقرية.

المصدر: الباحث، صـــــــائفة 2004

صورة رقم 41: قرية منادس حارة عائلة (ك-ب)، تُبرز الصورة تثاغرفت احد أشكال التوسيع العمودي للحارة.كما تُظهر بداية استعمال الاسمنت في تبليط الجدران و تظهر كذلك بداية استعمال المدرج الذي يعتبر عنصرا معماريا مستحدثا بالنسبة لنمط البناء القبائلي. **المصدر:** الباحث، صـــــــائفة 2004

صورة رقم 42: (لكذر) أحـــد مكونـــات (أحام) الاساسية عادة مـــا توضـــع فوقـــه (إكوفان) وهي جرار كبيرة مصنوعة مـــن الطين تستعمل لحفظ الأغذية. التقطت هذه الصورة في حارة (خ-ر) بمنـــادس القديمة.

المصدر: الباحث، صـــــــائفة 2004م.

صورة رقم 43: تـــبين هـــذه الصـــورة مـــدخل (ثاعريشت) في أحام عائلة (ك-أ) أســـفلها نجـــد (أدينين) وهو فضاء لإواء الحيوانات الاليفة (الثيران، المعـــــز، الغـــــــنم...)

المصدر: الباحث، صـــــــــــائفة 2004م.

4-1-1-2 النسيج العمراني الانتقالي: يجاور النسيج الأول من جهة الطريق البلدي و يتميز بتداخل الصفات القديمة و الحديثة من حيث الشكل و مواد البناء المستعملة. فمن الجانب المورفولوجي نجد نموذج الحارة[1]هو الغالب مع بعض التغييرات في أبعادها المختلفة؛ بينما من الناحية الإنشائية لاحظنا إدراجا جزئيا لبعض المواد الحديثة كالخرسانة، الخرسانة المسلحة و، القرميد الحديث و الآجر. يضم هذا النسيج العمراني 05 مساكن و يمكن الوصول إليه بواسطة العربات الميكانيكية المتوسطة و الصغيرة الحجم. انظر الفصل الثالث القسم الأول من الصفحة 177 إلى الصفحة 210.

4-1-1-3 النسيج العمراني الحديث: يضم 47 مسكن جلها ذات طابقين و خاصة المساكن المتموضعة على الطريق البلدي. المواد الإنشائية المستعملة فيه جلها حضرية. المباني تتموضع أساسا على شكل خطي على طول الطريق البلدي الذي تتفرع عنه 7 مسالك ثانوية تربطه بمجموعات متفاوتة العدد من المنازل؛ إلى جانب المباني السكنية نجد المرافق العمومية التالية:

- **المدرسة الابتدائية:** تتكون من خمسة أقسام، مسكن وظيفي، مطعم مدرسي بالإضافة إلى التوابع (دورة المياه و الساحة) و هي خاصة بخمس قرى: بونتر، منادس، تيزي العسكر، إشنبوذغ وجبلة.
- **المسجد:** ذو طراز حديث نسبيا تقام فيه بالإضافة إلى الصلوات الخمس صلاة الجمعة، يدرس فيه القرآن الكريم لتلاميذ الطور الابتدائي و يتسع لحوالي 120 مصلي. يحاذيه مسكن الإمام الوظيفي.
- **المستوصف:** يضم مسكن وضيفي و قاعة للعلاج و هو أحادي الطابق.
- **الفرع البلدي:** يجاور المستوصف يضم إلى جانب الإدارة مسكن وظيفي وهو أحادي الطابق.
- **المتاجر:** وهي ثلاثة واحد للمواد الكهرومترلية و اثنان للتموين العام تتموضع مع المرافق الأخرى بمحاذاة الطريق البلدي وهي مباني بسيطة و محدودة الأبعاد. تهيكل جزء من الطريق البلدي و تعطي له سمات الشارع حيث يتميز بالحيوية و الحركية المستمرتين.
- **المقبرة:** تحتل موقعا منعزلا نسبيا عن القرية؛ يتميز بالانحدار. الطريق المؤدية إليها غير معبدة. كما في باقي القرى المقبرة تُعد أحد رموز الاستقرار و الانتماء إلى التجمع السكاني.

[1]- عند السكان المحلين يقصد بها مجموعة من المساكن (إخامن) تشترك في فناء واحد و لها مدخل رئيسي وتقطنها عائلة موسعة.

صورة رقم 44: صورة للقرية مأخوذة بالصاتل سنة 2002 على أقل تقدير.

المصدر: موقع Google Earth.

4-1-2 شبكة الطرقات: تتشكل أساسا من الطريق البلدي و المسالك و الدروب الفرعية و هي:

الطريق البلدي: معبد بشكل غير مكتمل يتراوح عرضه ما بين 04 إلى 08 أمتار يربط قرية منادس وعدد من القرى بالطريق الوطني رقم 74، انظر الخريطة رقم (18).

المسالك: وهي طرق ثانوية تستخدم من طرف الراجلين و السيارات على حد السواء، غير معبدة و تتفرع إلى دروب.

الدروب: تصلح فقط للراجلين و الحيوانات تربط القرية بالأراضي الزراعية المجاورة، منها ما هو طريق تقليدي قديم و منها الحديثة النشأة.

4-1-3 الأراضي الزراعية: يمكن تصنيفها حسب الاستغلال إلى ستة أصناف و هي البساتين و منها بساتين الخضر و بساتين الأشجار المثمرة (التين و الزيتون)، حقول القمح و الشعير الأراضي ذات الاستغلال الثنائي (أشجار مثمرة مع زراعة الحبوب أو أشجار مثمرة مع زراعة الخضر) بالإضافة إلى الأراضي البور .

4-1-4 الأحراش و الأدغال: يطلق عليها اسم الغابة عند السكان المحلين يمارس فيها نشاط كان إلى وقت قريب ذو أهمية محورية في الحياة الاقتصادية للقرويين يتمثل في الرعي. كما تشكل إلى حد الآن مصدرا للحطب المستعمل للتدفئة المنزلية و المستعمل في مختلف النشاطات كالفلاحة و البناء. مساحات هامة اُستُصلِحت من هذه الأراضي لكنها أُهمِلت كونها ضئيلة المردودة.

4-1-5 مصادر المياه: تعد من المقومات الأساسية لاستقرار سكان القرية إذ أنها تضم أكثر من 60 بئر بالإضافة إلى عينين متوسط تدفقهما السنوي لا يقل عن 1,5 ل/الثانية زد إلى ذلك البئر الارتوازية التي أنجزت مؤخرا (جوان2003م) و لا تزال غير مستعملة إلى حد الآن نضراً لعدم استكمال تجهيز الخزان المخصص لتزويد القرية بالماء .

خلاصة المطلب:

قرية منادس بتركيبتها المجالية الحالية البسيطة تجسد حالة القسم الأكبر من قرى منطقة بني ورثيلان حيث بدأ نمط البناء الشبه حضري (الخطي أو الانشطاري) يحل محل النسيج القديم الذي يخضع الآن إلى عدّة تحولات و تغييرات من طرف السكان (توسيع، ترميم، هدم كلي و إعادة بناء) تهدف إلى تكيفه مع متطلبات الحاضر.

خريطة رقم 11: البنية المجالية لقرية منادس سنة 2007م.

Source: Photo aérienne du Village Ménades, Akbou N°272, Ech: 1/10.000, Alger: I.N.C. 1995.

المطلب الخامس : قرية شلحاب دراسة معمارية و عمرانية

تمهيـــــــد المطلب.

5-1 البنية المجالية لقرية شلحـــــاب

5-1-1 الإطار المبـــــــــني

5-1-2 الأراضي الزراعـــــية

5-1-3 شبكة الطـــــــرق

5-1-4 الأدغال و الأحراش

5-1-5 مصادر الميـــــــاه

خلاصة المطلب.

المطلب: قرية شلحاب دراسة معمارية و عمرانية.

تمهيـــــــد: قرية شلحاب تقع قرب الحدود الإقليمية الفاصلة بين ولايـــة ســـطيف و ولايـــة بـــرج بوعريريج؛ إدارياً تنتمي إلى بلدية عين لقراج حيث تبعد عن مركزها بـــحوالي 7,3كم و عن مركـــز الدائرة بـــحوالي 15كم. تفصلها عن قرية أيث عشاش أقرب القرى إليها بحوالي 4,5 كم[1]. تحتل موقعا منحدرا نسبيا على أحد جوانب جبل إرزي أقسوري 1374 متر. الطريق المؤدي اليها تتمثل في مسلك وعر و غير معبد يتفرع عن الطريق البلدي -الذي يربط مركز البلدية (بني براهيم) بقرية بني حـــافظ- على مستوى قرية أيث عشاش.

قبل حوالي 30 سنة كانت شلحاب من أهم القرى التي تزود السوق المحلية بالمنتجات الزراعيـــة المختلفة و ذلك لخصوبة الأراضي المحيطة بها ووفرة المياه. إبان الثورة التحريرية اشتهرت بكونها حصنا و معقلا للمجاهدين حيث شهدت عدت معارك ضد المستعمرين حسب روايات من عايش تلك الفتـــرة. حاليا لم يبقى من شلحاب سوى الأطلال، انظر الصور لوحة رقم (36) المهجورة تصـــارع لوحـــدها عوامل الزمن. لقد اخترنا هذه القرية كعينة لتمثل مجمل القرى التي طالها الأُفُول أو الانحطاط الذي يُعـــد أحد أشكال التحول الذي آلت إليه بعض القرى في المنطقة.

5-1 البنية المجالية لقرية شلحاب و ما حولها :

إجمالا تضم الإطار المبنى، المساحات المزروعة، الأحراش و الأدغال و شبكة المسالك والدروب.

5-1-1 الإطار المبني: يتشكل من 25 حارة منتظمة في 05 أحياء يفصل بينها شبكة مـــن المســـالك المتعرجة و الضيقة. الصفة الغالبة في هذه المباني هي القدم والتدهور الكبيرين إذ أنها مبـــان ذات طـــراز تقليدي 100%. أشكال الترميم أو التوسيع تكاد تكون معدومة، وهي بسيطة و متقاربة الأبعاد. المواد المستخدمة في إنشائها كلها محلية (الحجر، التراب، القرميد المحلي، الخشب، القصب...الخ.)

المسجد هو المبنى الوحيد الذي يتميز عن غيره حيث يشغل موضعا خاصا عند مدخل القريـــة و يشرف على ساحة عمومية متعددة الوظائف تفصله عن المقبرة؛ أبعاده أكبر بقليل من متوسط أبعاد المباني السكنية الأخرى حيث طوله يساوي عرضه ويبلغ 7,5م أما علوه فيقدر بـــ 5,5 م. علـــى الواجهـــة المقابلة للساحة العمومية تظهر الأقواس كسمة من سيمات العمارة الإسلامية، انظر الصورة رقم (46) لوحة رقم (36).0

[1]- المسافات المذكورة تقريبية.

خريطة رقم 12: قرية شلحاب البنية المجالية الحالية

المصدر: من إعداد الباحث بمساعدة طالبين ثانويين[1]، صـــــــــــــائفة 2003 م.

[1]- و هما ناسلي الياسين و توهامي إبراهـــــــــــيم .

المسجد يتكون من طابقين يربط بينهما درج (سلم) لولبي. الطابق الأرضي يستعمل للتدريس بينما تقام الصلوات في الطابق الأول[1]؛ الفضاء الخارجي الذي يحيط بالمسجد مباشرة مهيأ و مخصص لاجتماعات مجلس القرية (ثاجماعث) كما هو الحال في العديد من القرى بالمنطقة وغيرها أين تناقش ويُفصل في الأمور المشتركة بين سكان القرية.

5-1-2 شبكة المسالك و الدروب: تتفرع عن المسلك الرئيسي الذي يربط القرية بالطريق البلدي عدّة دروب لتربط المجال المبني بالمحيط المباشر للقرية فهي السبيل إلى البساتين و الحقول و مصادر المياه.

5-1-3 الأراضي الزراعية: في معظمها ذات استغلال ثنائي فبالإضافة إلى الأشجار المثمرة كالتين، الزيتون، الرمان، الكروم تزرع الحبوب بشكل دوري عام من كل عامين. بالنسبة لزراعة الخضر نجدها في بساتين تشغل مساحات ضيقة على مستوى الجرف المحاذي للقرية حيث تستعمل مياه عين قريبة لريها هذا بالإضافة إلى مجموعة أهم من البساتين تبعد عن القرية بمسافة 300م شرقا هي بدورها مسقية بمياه عين أخرى أكثر تدفقا.

بالنسبة لملكية الأراضي المحيطة بالقرية نجد ما هي ملك لسكان القرية ذاتها و ما هي ملك لسكان قرى أخرى مثل أيث عشاش و الشرفة و ذلك يرجع إلى تغيُّر مواطن استقرار القرويين مع الزمن. و تجدر الإشارة هنا إلى كون القرية تشرف على أكبر مزرعة بالمنطقة كانت ملك لمجموعة من المعمرين إبان الاحتلال تم تأميمها من طرف الدولة بعد الاستقلال لتعود إلى مُلاَّكها الأصلين في السنين الأخيرة.

5-1-4 الأحراش و الأدغال: وهي مجمل الأراضي غير المستصلحة و المهملة لشدة انحدارها أو لرداءة نوعية تربتها حيث كانت تُشكل عنصرا هاما ضمن المجال القروي بما توفره من كلأ للمواشي و حطب للتدفئة.

خلاصة :

رغم وفرة المياه بها وخصوبة التربة و سعة أراضيها إلا أن شلحاب لم تصمد أمام العزلة التي عان منها سكانها، فصعوبة و رداءة و طول المسلك المؤدي إليها و افتقارها لشبكة الكهرباء و البنى التحتية الأخرى جعلهم يتنازلون عنها ويتركون مساكنهم و حياتهم البسيطة ويهجرون إلى القرى المجاورة أو المدن.

[1]- حسب افتراضنا.

لوحة رقم : 36

صورة رقم 45: قرية شلحاب أطلال القرية تشهد على تجذّر التوطن بها. إلا أن العزلة وجاذبية الحياة الحضرية أفرغاها من محتواها البشري الاجتماعي.

المصدر: الباحث صـــــــــــــــــــــــــــــائفة 2003

صورة رقم 46: قـــــــــرية شلحـــــــــــــــاب

المسجد يحتل مكانة محورية في حياة القرويين فبالإضافة إلى إحياء الشعائر الدينية وتدريس القرآن. كان فضاء لاجتماعات عقلاء القرية، ثاجمعث

المصدر: الباحث، صـــــــــــــــــــــــــائفة 2003

صورة رقم 47: المسلك الرئيسي للقرية (أو أزنيق) باللغة المحلية فضاء عام يتخلل نسيج القرية. الأبواب الخارجية للمنازل (ثيبورا أوفراق) عادة ما تكون غير متقابلة بهدف تجنب وقوع نظر صاحب المنزل في (أفراق) الجار المقابل. يفصل كل حارتين متجاورتين رواق عرضه 0,4م تسمح صرف ماء المطر بعيدا عن سقف الجار المجاور.

المصدر: الباحث، صـــــــــــــــــــــــــائفة 2003

صورة رقم 48: لقرية مأخوذة بالصاتل سنة 2002 على أقل تقدير.

Source : site Internet, Google earth.

القـــــسم الـــــثالث

بني ورثيلان، الدراسة الاجـتماعية الاقتصادية

القسم الثالث: بني ورثيلان الدراسة الاجتماعية الاقتصادية[1]

المطلب الأول: الدراسة الديموغرافية لدائرة بني ورثيلان

1-1 الكثافة السكانيـــــــــــــــة

1-2 النمو الســـــــــــــــكاني

1-3 توزيع السكان حسب طبيعة التجمعات العمرانية

1-4 الحركية الســـــــــــــــكانية

1-5 البنية السكانية حسب الجنس و العمر:

المطلب الثاني: الشغل و النشاط الاقتصادي بدائرة بني ورثيلان

2-1مصطلحات و أرقـــــــــــــام

2-2 توزيع السكان المشتغلون حسب النشاط الاقتصادي

المطلب الثالث: بعض خصوصيات القطاع الفلاحي بدائرة بني ورثيلان

3-1 توزيع المستثمرات الفلاحية على مستوى دائرة بني ورثيلان

3-2 زراعة أشجار التين و الزيتون بدائرة بني ورثيلان

[1]- هذا القسم تم إعداده بفضل مساعدة الطالب نحال محمد أكلي الذي كان بصدد إعداد مذكرة (مهندس) في تخصص التهيئة الريفية حول تنمية منطقة بني ورثيلان و ذلك بالتوازي مع دراستنا .جداول الإحصائيات (معضمها) ،الرسوم البيانية (كلها) و بعض جوانب من تحليل المعطيات تم إعدادها بفضل مساهماته .

مقـــــدمة القـــــــــسم: [1]

إن البحث في البعد الاجتماعي الاقتصادي يقربنا أكثر من واقع المنطقة و يسمح بفهـــم أعمـــق للنسق المجالي (المكان)[2] حيث أن التحولات المجالية مهما كانت صفتها فهي نتاج مباشر أو غير مباشـــر لنشاط الإنسان و طرقيته في الحياة و كذا العوامل الطبيعية و عليه فإننا في هذا الفصل سنتعرض لأهـــم الخصائص الاجتماعية و الاقتصادية بمنطقة الدراسة بغرض تحديد التوجه الحـــالي فيهـــا ديموغرافيـــا، و اقتصاديا و لو بشكل عام. معرفة التوجه الحالي العام (اقتصاديا واجتماعيا) قد يساعد في فهـــم بعـــض الخصائص المجالية الحالية كما يساعد على استشراف المستقبل.

المطلب الأول: بني ورثيلان دراسة سكانية و ديموغرافية:

المعطيات السكانية و الديموغرافية لها أهمية بالغة لتحديد الأولويات في مخططات التهيئة و التعمير حيث تُمكن من إبراز خصائص و ميزات متغيرات عدة مثل معدلات نمو السكان، الكثافة السكانية...إلخ هذه الأخيرة مؤشرات يمكن توظيفها لوضع مخططات على أُسُـــس أكثـــر موضـــوعية و أقـــرب إلى الاحتياجات الواقعية خصوصا من ناحية الكم.

1-1 الكثافة السكانية :

وهي مؤشر يعطي صورة عن التوزيع السكاني بالمنطقة وكذا تطورها مع الـــزمن. منطقـــة بـــني ورثيلان شهدت التوطن البشري منذ العهود القديمة حيث استقر الإنسان المحلي على المرتفعات كونهـــا حصنا منيعا من الغزاة الذين تعاقب نفوذهم على المنطقة. بعض المصادر تشير إلى أن المنطقة كانت تضم أكثر 70000[3] نسمة في القرن السابع عشر إلا أن المصادر الإستعمارية تشير إلى أقل من ذلك بكثير[4].

---

[1]- **هذا القسم تم إعداده بفضل مساعدة الطالب نحال محمد أكلي الذي كان بصدد إعداد مذكرة (مهندس) في تخصص التهيئة الريفية حول تنمية منطقة بني ورثيلان و ذلك بالتوازي مع دراستنا؛ جداول الإحصائيات (معظمها)، الرسوم البيانية (كلها) و بعض جوانب من تحليل المعطيات تم إعدادها بفضل مساهماته.**

2- المكان (Place) حسب اصطلاح ستوات انظر الفصل الأول ص 21 من هذه المذكرة.

[3]- فلم وثائقي (حصة ثامورثنغ في عدد خاص بمنطقة بني ورثيلان)، التلفزيون الجزائري، سنة 2006.

4- قدر عدد سكان منطقة بني ورثيلان سنة 1841م (افتراضا) 8100 نسمة حسب أ. كارات وهو ما يعطي كثافة سكانية قدرها 35,4ن/كم2 و قد جاء تفصيل هذا الحجم السكاني كما يلي : 600 نسة ببني براهيم، 1800 ببني غبولة ، 1200 ببني شبانة ، 600 ببني عفيف، 1800 ببني موحلي و 2100 ببني ورثيلان~1

1~ CARETTE, E. *Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, étude sur la Kabylie proprement dite*, Tome IV, Paris: Imprimerie Royale, 1948. PP. 380-382.

حسب الجدول رقم (06) قبل عشريتين من الآن[1](سنة 1987)كانت الكثافة السكانية علـــى مســـتوى دائرة بني وثيلان تقدر بـــ 188,97ن/كم² و في ســـنة 1998 أصبحت 232,94ن/كم² وتطـــورت لتبـــــلغ 249,77ن/كم² سنة 2004 و هي تفوق الكثافة السكانية الولائية (228,17ن/كم²) لنفس العام رغم ظروف العزلة و الطابع الجبلي للمنطقة.

بالإضافة إلى هذه الملاحظات يتبن من خلال الجدول رقم 06 أن الزيادة في الكثـــــافة السكانية لم تكن بشكل متساوي في البلديات الأربع لدائرة بني ورثيلان في الفترة الممتدة بين سنة 1987 وســـنة 1998حيث سجلت بلدية بني موحلي أكبر زيادة بـــ 68,26ن/ كم² و أدنى نسبة سُـــجلت كانـــت ببلدية بني ورثيلان قيمتها 22,19ن/كم² أي ما يعادل نصف متوسط الزيادة بالدائرة ككل.

	عدد السكان 1987م	عـــدد الســـكان 1998م	عـــدد الســـكان 2004م²	المساحة كم²	الكثافة 1987 ن/ كم²	الكثافة 1998 ن/ كم²	الكثافة 2004 ن/ كم²
بلدية بني شبانة	12514	15534	16843	73,50	170,26	211,34	229,15
بلدية عين لقراج	13487	17100	18421	56,23	239,85	304,11	174,69
بلدية بني ورثيلان	10363	11969	12644	72,38	143,17	165,36	174.69
بلدية بني موحلي	6860	8678	9222	26,62	257,70	325,99	346,43
دائرة بني ورثلان	43224	53281	57130	228,73	188,77	232,94	249,77
ولاية سطيف	1000694	1315940	1494449	6549,64	152,79	200,92	228,17

جدول رقم 06: تطور الكثافة السكانية بمنطقة بني ورثيلان

المصدر: التعداد السكاني العام لسنوات 1987 و 1998 مع معالجة الباحث بمساعدة الطالب نحال محمد أكلي.

1-2 النمو السكاني :

قبل أي تحليل لوتيرة النمو السكاني بمنطقة بني ورثيلان لابد مـــن الإشـــارة إلى أن التعـــدادين السكانيين 1977 و 1966م يختلفان في الحيز الجغرافي مع الإحصائين 1987 و 1998م وذلك يعود إلى القانون 09-48 الصادر في 1984/04/04م الذي نتج عنة التقسيم الإداري الحالي، الجدول رقم 07 و الشكل رقم 41 يبينان تطور نمو السكان بدائرة بني ورثيلان خـــلال العشـــريتين 1977-1987م، 1987-1998م. بشكل عام من خلال نفس الجدول نلاحظ انخفاض معدل النمو في الفتـــرة 1987-1998م مقارنة بالفترة 1977-1987م على المستوى الوطني، الولائي و خصوصا على المستوى المحلي و

[1] - مارس 2007.

[2]- إحصائيات D.P.A.T مديرية التخطيط و تهيئة الإقليم ولاية سطيف، ديسمبر 2004 م و الفرع الولائي لمسح الأراضي.

يمكن تفسير ذلك بالأزمة المتعددة الأوجه التي شهدتها الجزائر خلال هذه الفترة بالإظافة إلى الظـــروف الخاصة التي مرت بها منطقة القبائل الجبلية: العزلة، النزوح الريفي و أزمة القبائل.

الفترة / السنة	عدد السكان			النمو السكاني الطبيعي	
	1977	1987	1998	1977-1987	1987-1998
التجمع المركزي بـــني ورثيلان	**1295**	**2083**	**3722**	**4,87**	**5,42**
قرية منادس	**255**	**610**	**969**	9,11	4,29
قرية شلحاب[1]	**155**	**0**	**0**	100 -	/
دائرة بني وثيلان	12491	43224	53281	13,21	1,9
ولاية سطيف	686540	1000694	1315940	3,83	3,05
عدد سكان الوطن	16948000	23038942	29276767	3,12-3,11	2,15-2,67

جدول رقم 07: تطور النمو الطبيعي للسكان بدائرة بني ورثيلان مابين 1977 و 1998م.

المصدر : التعداد السكاني العام لسنوات 1977، 1987، 1998مع معالجة الباحث بمساعدة الطالب نحال محمد أكلي.

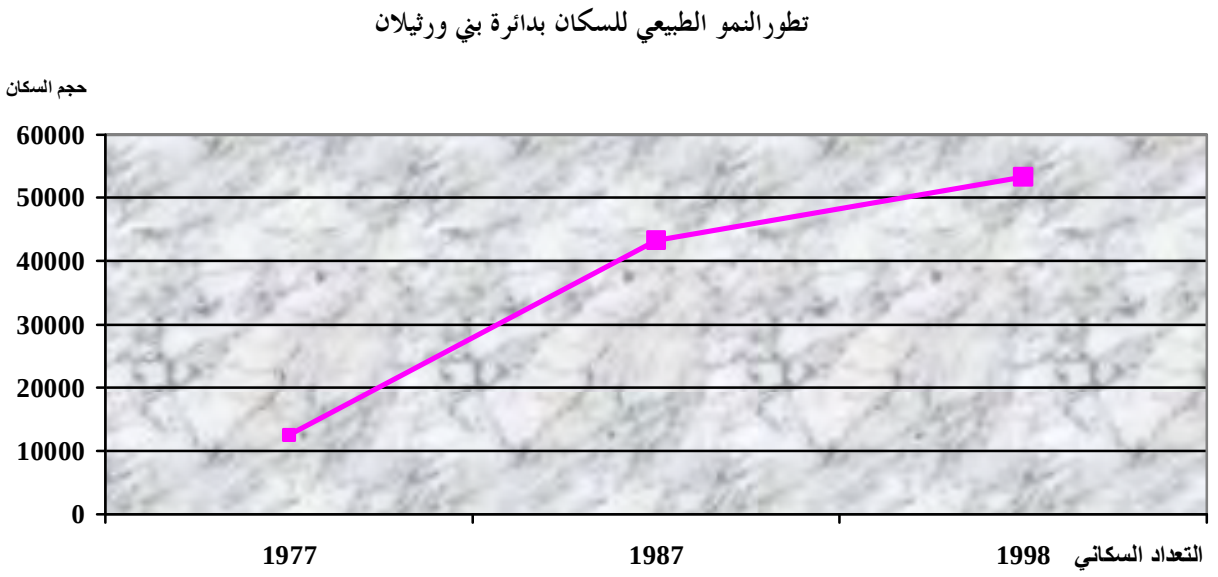

شكـــــــل رقم: 41

[1] - آخر القاطنين بقرية شلحاب شدّ رحاله نحو مدينة الجزائر العاصمة سنة 1984م.

1-3 توزع السكان حسب طبيعة التجمعات العمرانية:

السنة	1987				1998			
نوع التجمع	التجمعات المركزية	التجمات الثانوية	السكنات المبعثرة	المجموع	التجمعات المركزية	التجمعات الثانوية	السكنات المبعثرة	المجموع
عـــــــدد السكان	6940	21051	15233	43224	19240	27695	6346	15328

جدول رقم 08 : توزيع السكان حسب طبيعة التجمعات السكانية بدائرة بني ورثيلان، حسب و تعداد 1987 و 1998.

المصدر: التعداد السكاني العام لسنوات 1987، 1998م

توزيع السكان حسب طبيعة التجمعات السكانية بدائرة بني وورثيلان ، مقارنة بين التعداد السكاني العام 1987 و تعداد 1998،

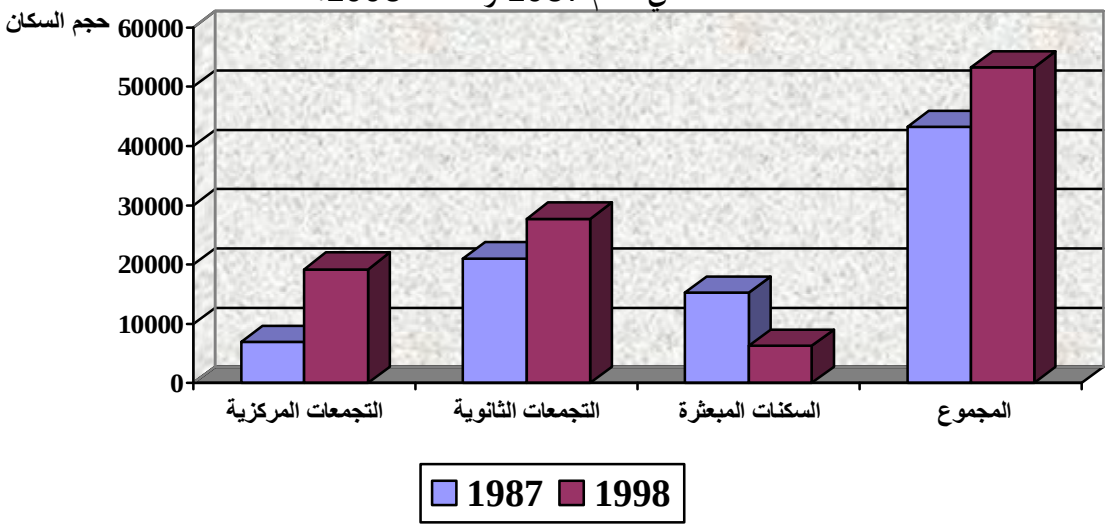

الشكـــــــــــــــــــــل رقم :42

من الجدول رقم 08 و الشكل 42 يتبين أن التجمعات السكانية المركزية إزداد حجم الســـكان بها من 6940 نسمة سنة 1987م إلى 19240 نسمة سنة 1998م أي بزيادة قدرها 12300 نســـمة ويأتي في المقام الثاني من حيث الزيادة التجمعات السكانية الثانوية التي تطور عدد الســـكان بهـــا مـــن 21051 عام 1987م إلى 27695 عام 1998م أي بزيادة قدرها 6644 نسمة بينما توضح معطيات نفس الجدول و الشكل كيف أن المناطق المبعثرة شهدت تراجعاً في عدد سكانها الأمر الذي يمكن تفسيره بالتوجه نحو الاستقرار في التجمعات المركزية و الثانوية لما تتوفر عليه من مرافق و بنى تحتيـــة تســـهل الحياة. و هذا يفسر جيدا ضمور بعض القرى و هجرانها الكامل من طـــــــــــرف ســـكانها مثـــل (ثغرمين-شلحاب– مزين– ثالة وزرار–إشنبوذغ ...الخ.)

1-4 الحركية الســـــــكانية (Mobilité démographique):

الحركية السكانية تأخذ بعين الاعتبار عدة مؤشرات ديموغرافية : الوفيات- الولادات – الهجـــرة الداخلية (Immigration interne) و لها تاثير مباشر على النمو السكاني الجـــدول رقـــم 09 يضـــم المعطيات المتعلقة بالمؤشرات المذكورة و التي حصلنا عليها من سجلات الحالة المدينة للبلديات الأربعـــة لدائرة بني ورثيلان.

السنة	عدد السكان	الولادات	الوفايات	معدل الـــولادات الخام[1] ‰	معـــدل الوفيـــات الخام[2] ‰	معدل النمـــو الطبيعي[3] ‰
1995	50040	1202	266	24,02	5,31	18,70
1996	51097	1079	226	21,11	4,42	16,69
1997	52178	1017	217	19,49	4,15	15,33
1998	53281	876	215	16,44	4,03	12,40
1999	54407	779	200	14,31	3,67	10,64
2000	55557	698	212	12,56	3,81	8,74
2001	56732	642	175	11,31	3,08	8,23
2002	57931	647	181	11,16	3,12	8,04
2003	59155	666	175	11,25	2,95	8,30
2004	60406	618	163	10,23	2,69	7,53

الجدول رقم (09): معطيات متغيرات الحركية السكانية خلال 9 سنوات مابين 1995 و 2004م.

المصدر: مصالح بلديات بني ورثيلان الأربع: عين لقراج، بني شبانة، بني ورثيلان، بني موحلي.

الولادات: معطيات الجدول رقم (09) توضح انخفاض معدل الولادات الخام بـــ 50 % خلال 5 سنـــوات (2000/1995م) حـــيث بلغت ســـنة 1995 م 24,02 ‰ و أصبـــــحت عام 2000م 12,56 ‰ في سنة 2004 م ازداد انخفاضها إلى 10,23‰. هذه الوضعية يمكن تفسيرها بعدة عوامل منها الهجرة و انخفاض نسبة الزواج و العزوف الإرادي عن الإنجاب.

الوفيات: نلاحظ من خلال الجدول رقم (09) أن أكبر نسبة وفيات هي 5,31‰ سنة 1995 و يتبين كذلك من خلال الجدول أن هذه النسبة ظلت في تراجع إلى غاية 2004 أين بلغت أدنى مستوى لهـــا:

[1]- يساوي (عدد الولادات في عام معين/ عدد السكان في نفس العام) × 1000

[2]- يساوي (عدد الوفيات في عام معين/ عدد السكان في نفس العام)× 1000

[3]- معدل الولادات الخام- معدل الوفيات الخام .

2,69‰ الأمر الذي يمكن إرجاعه إلى تراجع نسبة الولادات إذ أنها الشريحة الأكثر تعرضـــا لخـــــطر الوفاة.

النمو الطبيعي: بصورة عامة النمو الطبيعي للسكان يزداد بزيادة الولادات. وينقص بزيـــادة الوفيـــات الجدول رقم (09) يوضح حالة النمو الطبيعي لسكان خلال العشرية (2004/1995م) حيث نلاحظ أن الزيادة الطبيعية ضلت في تناقص مستمر مسايرة تناقص نسبة الولادات رغم التنـــاقص المعتـــبر لنســـبة الوفيات.

الهجرة: كبقية المناطق الجبلية القبائلية دائرة بني ورثيلان عرفت الهجرة بشـــكل يـــدعو إلى الـــتمعن و البحث في الأسباب و الأهداف و كذا النتائج المترتبة عنها خاصة على مستوى المجال المعيشي و المـــبني بشكل خاص. إذ في غالب الأحيان قرار الهجرة ليس اختيارياً بل وليد ظروف الحياة الريفية الجبلية. التي تتلخص في: العزلة، قلة المرافق و البنى التحتية وقلة فرص العمل. الجدول رقم 10 و التمثيل البيـــاني في الشكل رقم 43 يوضحان أن حصيلة الهجرة سلبية ابتداءا من سنة 1995م إلى 2004م أين بلغت أدنى مستوى لها (-246) بينما كانت إيجابية سنة 1995 و 1996م الأمر الذي يمكن إرجاعه إلى ظـــروف اللا أمن التي شهدتها المناطق المحاذية للدائرة بني و رثيلان : حربيل و حمام قرقور.

السنوات	حجـــم الســـكان الداخلون	حجم السكان الخارجون	حصـــــيلة الهجرة
1995	174	145	29
1996	140	98	42
1997	97	124	-27
1998	99	194	-95
1999	86	201	-115
2000	91	201	-110
2001	55	159	-104
2002	68	169	-101
2003	73	170	-97
2004	73	319	-246

جدول رقم 10: معطيات حول خروج و دخول السكان من و إلى منطقة الدراســـة مابين سنة 1995و 2004 م.

المصدر: مصالح بلديات بني ورثيلان الأربع: عين لقراج، بني شبانة، بني ورثيلان، بـــني موحلي.

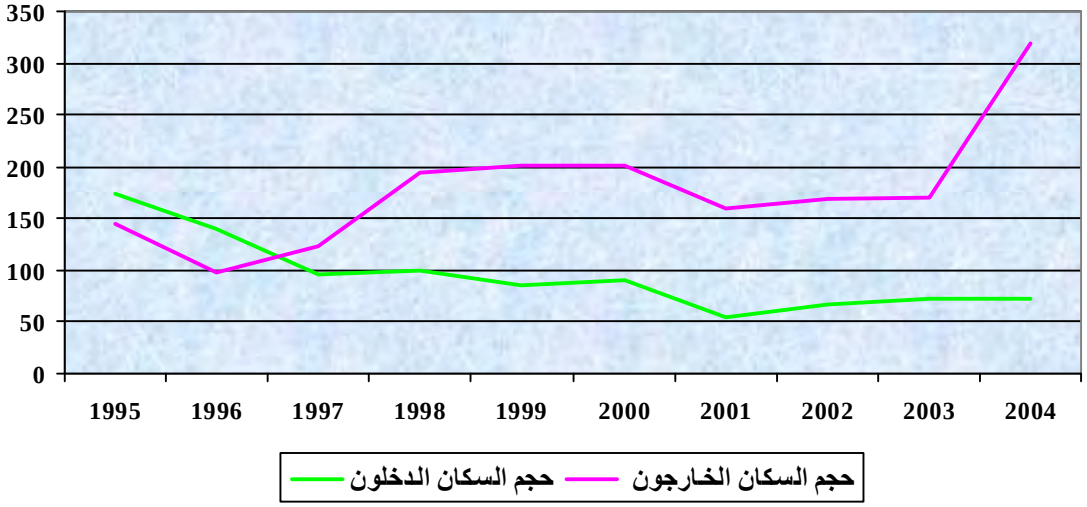

شكل رقم43: تمثيل بياني لدخول وخروج السكان إلى ومن منطقة الدراسة.

1-5 البنية السكانية حسب الجنس و العمر:

دراسة البنية السكانية الهدفها منها استخلاص و إبراز الخصائص الديموغرافية الأساسية بغـــرض الفهم من أجل التخطيط المستقبلي. الجدول رقم 11 يحوي مختلف المعطيات الديموغرافية لمنطقة الدراسة مستقاة من التعداد السكاني العام لسنة 1998م.

الشرائح العمرية	الذكور		الإناث		المجموع	
	الحجم	النسبة	الحجم	النسبة	حجم : الذكور+ الإناث	النسبة
0 - 4	2963	5,56	2823	5,29	5786	10,85
5 - 9	3933	7,38	3738	7,01	7671	14,39
10 - 14	4270	8,01	3875	7,27	8145	15,28
15 - 19	3396	6,37	3191	5,98	6587	12,36
20 - 24	2609	4,89	2402	4,50	5011	9,40
25 - 29	2115	3,96	1803	3,38	3918	7,35
30 - 34	1536	2,88	1534	2,87	3070	5,76
35 - 39	1356	2,54	1266	2,37	2622	4,92
40 - 44	1117	2,09	1056	1,98	2173	4,07
45 - 49	950	1,78	942	1,76	1892	3,55
50 - 54	474	0,88	664	1,24	1138	2,13
55 - 59	432	0,81	600	1,12	1032	1,93
60 - 64	554	1,03	674	1,26	1228	2,30
65 - 69	483	0,90	597	1,12	1080	2,02
70 - 74	382	0,71	372	0,69	754	1,41
75 و أكثر	580	1,08	589	1,10	1169	2,19
مجموع الدائرة	27152	50,96	26128	49,03	53280	100

الجدول رقم 11: المعطيات السكانية حسب الجنس و العمر لمنطقة بني ورثيلان لعام 1998.

المصدر :التعداد السكاني العام لسنة 1998م.

من خلال الجدول رقم11: نلاحظ التباين في التركيبة السكانية من شريحة عمرية إلى أخرى حيث يمكن تقسيمها إلى ثلاث شرائح كبرى كمايلي: **جدول رقم 12.**

الشريحة العمرية	الذكور	النسبة	الإناث	النسبة	المجموع	النسبة
19-0	13627	25,57	14562	27,33	28189	52,91
64-19	10941	20,53	11143	20,91	22084	41,45
64 فأكثر	1558	2,92	1445	2,71	3003	5,63

جدول رقم 12: تقسيم السكان إلى ثلاث شرائح عمرية أساسية.

المصدر: التعداد السكاني العام لسنة 1998.

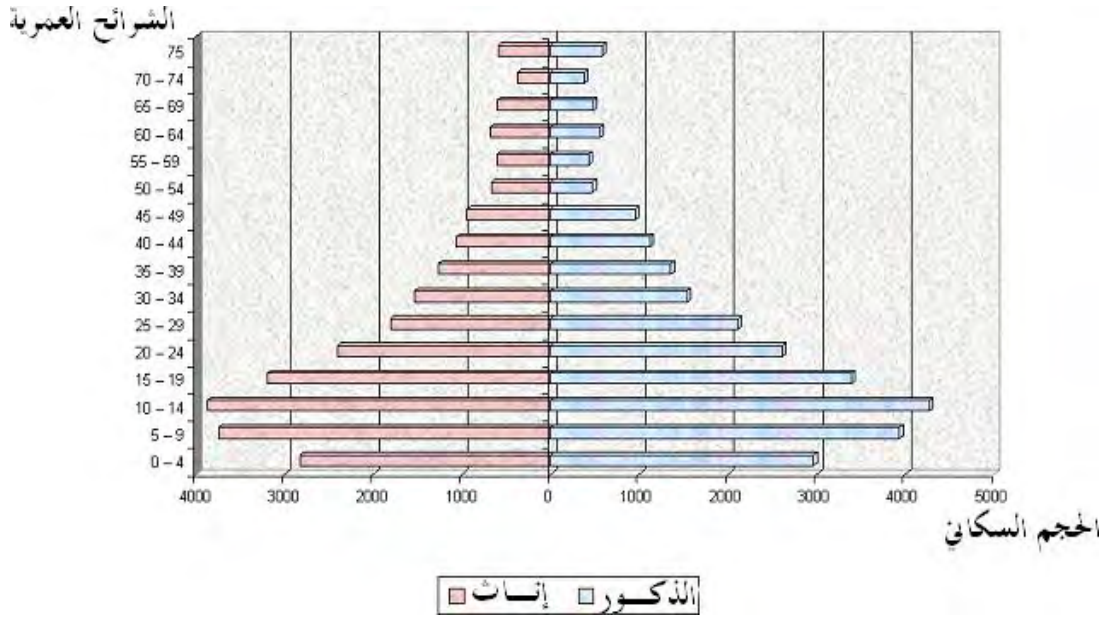

شكل رقم 44: الهرم السكاني لدائرة بني ورثيلان.

الهرم السكاني الممثل في الشكل رقم **44** يتميز بقاعدة عريضة لكنها في طريق الإنحصار بداية من الشريحة العمرية (5-9 سنوات). القاعدة السكانية (0-19)سنة تمثل 52,9% و هي بمثابة خزان حيوي لليد العاملة في المستقبل القريب و ستتطلب لا محالة توفير مناصب للشغل، مرافـــق عموميـــة، ســـكن، ...إلخ. الشريحة العمرية 19-64 سنة تمثل 41,45% بحجم سكاني قـــدره 22084 نســـمة و هـــي الشريحة النشطة حاليا. و أخيرا تأتي الشريحة المتقاعدين من 64 سنة فأكثر بنســـبة 5,63% و بحجـــم 3003 نسمة.

المطلب الثاني: الشغل و النشاط الإقتصادي في دائرة بني ورثيلان.

2-1 مصطلحات و أرقـــــــام:

الهدف من التعرض لهذا الجانب هو معرفة طبيعة النشاطات الاقتصادية السائدة بالمنطقة لما لها من أثر على المجال المعيشي بصفة عامة و على المجال المبني بشكل أخص و من أجل فهم أدق هـــذه بعـــض التعاريف لمصطلحات وظفت في هذا الباب:

- السكان النشطون (Population active): هم سكان في سن العمل (19-64 سنة)، يشـــغلون، بطالون أو يبحثون عن منصب شغل.

-المشتغلون (Les occupées): كل الأشخاص الذين يشغلون مناصب عمل، فصـــلية أو دائمـــة و يتقاضون الأجر.

- السكان غير المشتغلون (Les sans travail S .T.R): هم كل الأشخاص الذين شغلوا مناصـــب شغل أو هم في سن العمل و بصدد البحث عن عمل.

- نسبة المشتغلون (Le taux d'occupation): هي نسبة بين السكان الشتغلون و مجموع الســـكان الكلي و تحسب كما يلي ((السكان المشتغلون / مجموع السكان)×100).

- نسبة البطالة (Le taux de chômage): النسبة بين عدد البطالين و السكان في سن العمل و هي الفرق بين نسبة القادرين على العمل و نسبة المشتغلين.

- نسبة التكفل (Le taux de charge): هي النسبة بين السكان المتكفل بهم و مجمـــوع الســـكان المشتغلون و تسحب كما يلي: (عدد السكان المتكفل بهم/ عدد السكان المشتغلون)× 100.

- نسبة القادرين على العمل (Le taux d'activité): هي النسبة بين السكان القادرين على العمـــل و المجموع السكان و تحسب كما يلي: (مجموع السكان القادرين على العمل/ مجموع السكان الكلي) ×100.

الجدول رقم (13) و الشكل رقم (45) يبينان أن حجم السكان القادرين على العمل يفوق نصف حجم السكان الكلي إذ يتراوح مابين 51,96% ببلدية بني شبانة و 57,20% ببلدية بني ورثيلان و يبلغ متوسط الدائرة 53,81% الأمر الذي يعني أن منطقة الدراسة تزخر بموارد بشرية جد معتبرة نسبياً لكن؟!

لكن عندما نأتي إلى نسبة السكان المشتغلون نجدها تتراوح ما بين 17,87% ببلدية بني شبانة و 25,90% ببلدية بني ورثيلان و 23,14% كمعدل للدائرة ككل؛ بالمقابل نجد نسبة البطالة تتراوح

ما بين 77 % و 82% وهي مؤشر يدل على أن أكثر من ثلاث أرباع السكان القادرين على العمـــل بطالين مما جعل نسبة التكفل تصل إلى 370% على مستوى الدائرة ككل هذه المؤشرات تفسر إلى حد ما تشهده القرى من نزوح ريفي و بالتالي ما يشهده المجال المعيشي القروي من اختلال وتدهور يستدعي إعادة النظر في النهج التنموي بهذه الناطق بهدف إستعادة التوازن المفقود.

البلديات	حجم السكان	السكان الناشطون	نسبة السكان الناشطون	السكان المشتغلون	نسبة السكان المشتغلون	السكان البطالون	نسبة البطالة	نسبة التكفل
بني شبانة	15534	8072	51,96	1443	17,87	6629	82,12	517
عين لقراج	17100	9228	53,96	2386	25,85	6842	74,14	329
بني ورثيلان	11969	6847	57,20	1774	25,90	5073	74,09	288
بني موحلي	8678	4528	52,17	1033	22,81	3495	77,18	401
الدائرة	53281	28675	53,81	6636	23,14	22039	76,85	370

جدول رقم 13: معطيات توزيع السكان حسب و وضعيتهم في سوق العمل على مستو بلديات بني ورثيلان لعام 1998م.
المصدر: التعداد السكاني العام لسنة 1998م.

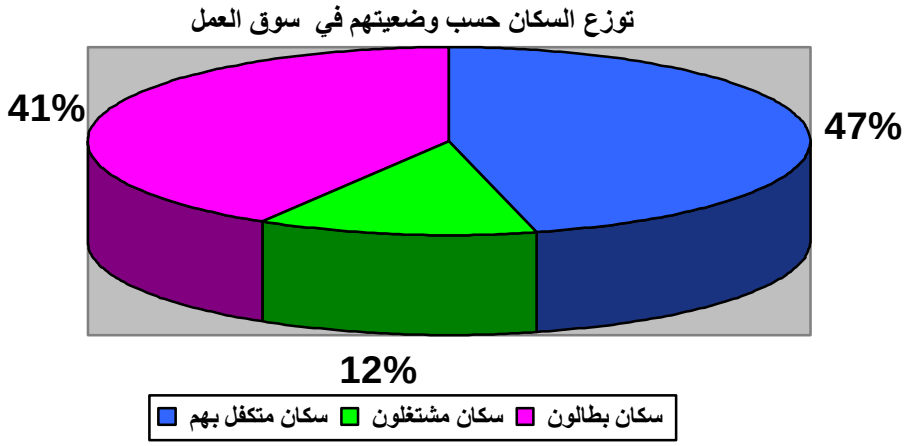

شكـــــــــل رقم :45

2-2 توزيع السكان المشتغلون حسب نوع النشاطات الاقتصادية:

من خلال الجدول رقم 14 و التمثيل البياني في الشكل رقم 46 يتبن أن القطاع الأكثر استقطابا لليد العاملة هو قطاع الخدمات بمعدل 65,45 % على مستوى الدائرة ككل. في المقام الثـــاني يـــأتي قطاعي البناء و الأشغال العمومية(BTP) معاً بنسبة 23,07% و الصناعة بنســـبة 8,81% بحجـــم سكاني قدره 2116 أي نسبة 31,88% من مجموعة السكان المشتغلين .بالنسبة للقطاع الأول المتمثـــل على الخصوص في الفلاحة يضم 442 شخص أو ما يمثل 6,66 من مجموع السكان المشتغلون و هـــي نسبة جد ضئيلة باعتبار المنطقة ذات طابع ريفي و تتميز بنشاط فلاحي متجذر لا يزال ميراثه مستغلا.و كذا بالنظر إلى المؤهلات الفلاحية التي تزحزح بها و تستدعي التثمين و الدعم .

	القطاع الفلاحي		الصناعة		البناء و الأشغال العمومية		الخدمات المختلفة		المجموع
البلدية	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد
بني شبانة	92	6,37	135	9,35	249	17,25	967	967	1443
عين لقراج	113	4,73	251	10,51	704	29,50	1318	1318	2386
بني موحلي	69	3,88	161	9,07	354	19,95	1190	1190	1774
بني ورثيلان	168	16,26	38	3,67	224	21,68	603	603	1033
دائرة بني ورثيلان	442	6,66	585	8,81	1531	23,07	4078	4078	6636

جدول رقم 14: معطيات توزيع السكان المشتغلون ببلديات دائرة بني ورثيلان على القطاعات الاقتصادية لعام 1989.

المصدر: التعداد السكاني العام 1998م.

توزيع السكان المشتغلون بلديات دائرة بني ورثيلان على القطاعات الإقتصادية

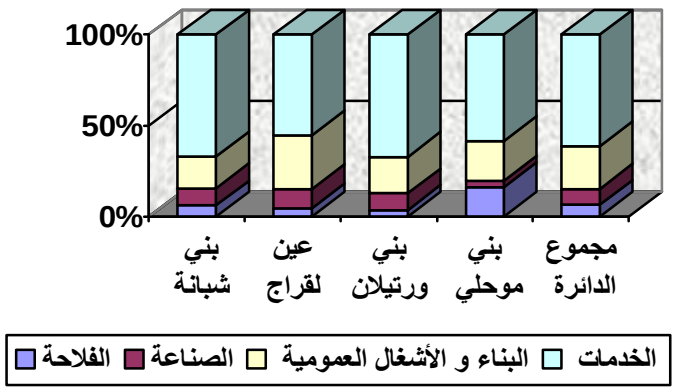

المطلب الثالث: بعض خصوصيـ شكـــــــــل رقم: **46** **بني ورثيلان**

« ***الفلاحة لها دور أساسي في المجال الجبلي ، ليس لكونها أول النشاطات الاقتصـــادية الممارســة فحسب بل لكونها تساهم بشكل فعَّال في الحفاظ على التوازنات الإيكولوجيــة و تســاعد علــى استقرار التوطن البشري و كذا تحافظ على المشاهد و المـــناظر الطبيعيــة (paysages) الــتي تشكل مع الغابات أكبر جزء منها***» [1]

البلدية	بني ورثيلان	عين لقراج	بني شبانة	بني موحلي	الدائرة
المساحة الزراعية المستغلة الجافة **SAU en sec**	3458,5	3120,5	2760,65	1590,85	10930,5
المساحة الزراعية المستغلة الجافة **SAU en irrigué**	29,75	34,5	23,5	23,75	111,5
مجموع المساحة الزراعية المستغلة **SAU**	3488,25	3155	2794,15	1614,6	11052
الغابات الطبيعية	344	290	310	212	1156
غابات أدغال	406	130	2190	238	2964
مجموع مساحة الغابات **SAT**	750	420	2500	450	4120
أحراش **parcours**	1753,75	1047	622,85	247,4	3671
أخرى	500	192	483	120	1295
المجموع الكلي **SAT**	6492	4814	6400	2432	20138

جدول رقم 15: معطيات حول مساحات الأراضي المختلفة بمنطقة بني ورثيلان لعام 2000 **م.**

المصدر: فرع مديرية الفلاحة لدائرة بني ورثيلان، RGA 2000.

من خلال الجدول رقم 15 يتبين أن المساحة الزراعية الإجمالية تقدر ب 20138 هكتار أي مـــا يعادل 04,88% من المساحة الإجمالية للدائرة؛ المساحة الزراعية المستغلة بنوعيها المسقية و الجافة تقـــدر ب 11052 و هو ما يعادل 54,88% من المساحة الزراعية ككل.

هذه الأخيرة تتوزع على 3300 مستثمرة فلاحية بمعدل 3,34 هكتار للمستثمرة الواحدة و هو معـــدل ضعيف نسبيا.

إضافة إلى ضيق مساحات المستثمرات، القطاع الفلاحي بالمنطقة يعـــاني مـــن عـــدّة عوائـــق و صعوبات يمكن تقسيمها إلى:

[1] - CADANT, J. *Aménagement rural, technique et documentation*, Paris : ED Lavoisier, page 104.

- عوائق تقنية تتمثل في:

- الاعتماد على التطبيقات الفلاحية التقليدية.
- إستخدام آليات فلاحية لا تتناسب مع الإقليم الجبلي.
- قدم الموروث الفلاحي من الأشجار المثمرة.
- إنحدار المساحات الزراعية مما يجعل من المكننة أمراً ليس باليسير.
- تقسيم الأرض إلى ملكيات ضيقة ممايجعل من استثمارها قليل المردودية.

- عوائق اجتماعية اقتصادية:

- تفضيل العمل في القطاعات الإقتصادية الأخرى على العمل في القطاع الفلاحي.
- تحول النمط المعيشى من نمط الإكتفاء إلى نمط المجتمع الاستهلاكي.
- العزلة النسبية التي تتميز بها المنطقة.

3-1 توزيع المستثمرات الفلاحية على مستوى دائرة بني ورثيلان:

من خلال الجدول رقم 16 و التمثيل البياني رقم 47 يتبن أن بلدية بني ورثيلان هي التي تضـــم أقل عدد من المستثمرات الفلاحية عكس بلدية بني شبانة التي تأتي في المرتبة الأولى ثم يـــاتي علـــى التوالي كل من بلدية عين لقراج و بني موحلي ب 864 مستثمرة و 535 مستثمرة و قد يعود هذا إلى كون بلدية بني ورثيلان الأقل توفرًا على المساحات الصالحة للزراعة من غيرها و كـــذا لكونهـــا البلدية الأكثر إستقطابا للنشاطات الأخرى (الخدمات على وجه الخصوص).

البلديات	بني شبانة	عين لقراج	بني ورثيلان	بني موحلي	الدائرة
عدد المستثمرات الخاصة	1232	864	535	767	3398

جدول رقم 16: معطيات توزيع المستثمرات الفلاحية على بلديات دائرة بني ورثيلان لعام 2000م.

المصدر: فرع مديرية الفلاحة لدائرة بني ورثيلان، RGA 2000.

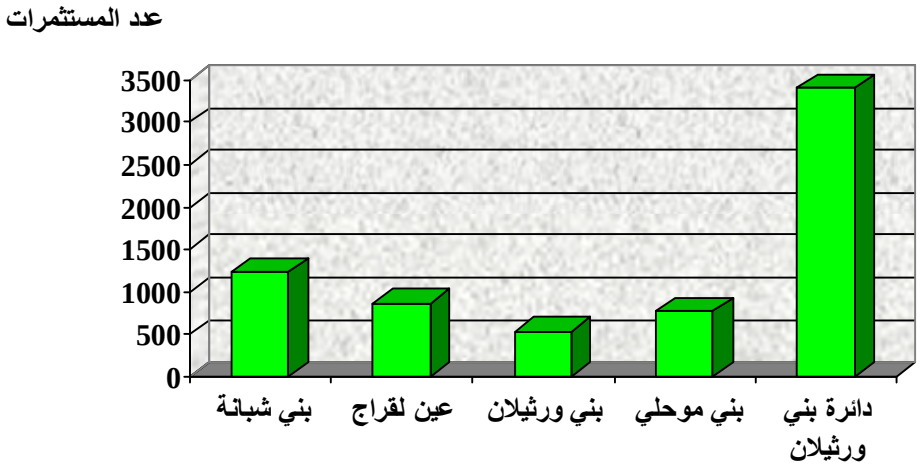

شكل رقم 47: تمثيل بياني لتوزيع المستثمرات الفلاحية على بلديات دائرة بني ورثيلان.

3-2 زراعة أشجار التين و الزيتون بدائرة بني ورثيلان:

من خلال الجدول رقم (17) و التمثيل البياني شكل رقم (48) يتبين أن زراعة أشـــجار الـــتين و الزيتون تحتل مكانة معتبرة من المساحة الزراعية المستغلة حيث تقدر نسبتها ب 68,36% و تـــبين المعطيات أن بلدية بني ورثيلان تضم حصة الأسد من هذه الزراعة و يتضح جلياً أن زراعة الزيتـــون هي الأكثر أهمية من زراعة الأشجار الأخرى.

البلديات / نوع الاشجار	بـــــــني ورثيلان	بني موحلي	عين لقراج	بني شبانة	الدائرة	%
التين (هكتار)	176	107,81	70	92	445,81	5,90
الزيتون (هكتار)	3049	903,5	2097,72	1060	7110,22	94,09

جدول رقم 17: معطيات توزيع إنتاج التين و الزيتون على بلديات دائرة بني ورثيلان لعام 2000م.

المصدر: فرع مديرية الفلاحة لدائرة بني ورثيلان، RGA 2000.

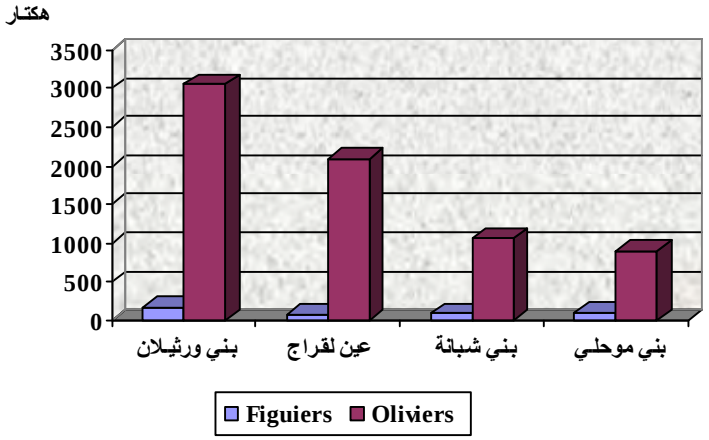

شكل رقم 48: تمثيل بياني لتوزع زراعة أشجار التين و الزيتون في بلديات دائرة بني ورثيلان.

من التعرض الانتقائي لبعض خصائص القطاع الفلاحي بمنطقة بني ورثيلان يتبين أنه رغم المؤهلات التي تزخر بها إلا أن هذا القطاع يضل على هامش التنمية الإقتصادية الأمر الذي يُفسر بعوائق تقنية، و اجتماعية تتطلب المعالجة بالحلول الناجعة. من جهة أخر نجد أن المجال المبني الذي ساير النظام الاقتصادي التقليدي الفلاحي أساساً لم يعد يلبي الإحتيجات المتجددة للسكان و تطلعاتم من الناحية الحاجة إلى الفراغات و الرفاهية المتجددة الأمر الذي يعلل الإهمال الذي آلت إليه العديد من الأنسجة العمرانية القديمة.

خلاصة القسم:

منطقة بني ورثيلان تتميز بثروة بشرية معتبرة حيث تبلغ نسبة السكان الناشطون 53,81% من الحجم السكاني الكلي، لكن الواقع الإقتصادي لم يستوعب سوى 23,14% من هذه الطاقة الكامنة الأمر الذي يدفع بالسكان إلى الهجرة بحثا عن العمل تاركين قراهم و أراضيهم التي لم تعد تلبي حاجياتهم. فالمؤشرات تدل على أن النشاط الفلاحي لم يعد يستقطبهم حيث انخفظت نسبة المشتغلين في هذا القطاع إلى 6,66% من مجموع السكان المشتغلين على مستوى الدائرة ككل سنة 1998م.

خلاصة الفصل الثـــــــــاني

من خلال الأقسام الثلاث لهذا الفصل تعرفنا على أهم أشكال التوطن البشري بمنطقة بني ورثيلان و جوانب من الظروف المحيطة به (الاقتصادية، الاجتماعية و الطبيعية)، فالدراسة الطبيعية والمجالية للمنطقة سمحت لنا بالوقوف عند جملة من الخصائص نذكر منها ما يلي:

- الطابع الحدودي للمنطقة فهي نقطة تماس ثلاث ولايات (سطيف، بجاية و برج بوعريريج) كما أنها أحد نقاط تماس منطقة القبائل بالمناطق المجاورة.
- الطابع الجبلي للمنطقة حيث تشكل الأراضي شديدة الانحدار أكبر نسبة منها.
- الانعزال النسبي للمنطقة بحكم موقعها، تضاريسها و تدهور ومحدودية شبكة الطرقات بها و صغرها.
- محدودية مصادر المياه نسبياً و ارتفاع كلفة استغلالها حيث يتطلب ضخ الماء إلى المناطق المرتفعة اعتماد طريقة الضخ على مراحل بواسطة محطات الضخ الكهربائية.
- تدهور جانب هام من الغطاء النباتي بفعل الحرائق و الاحتطاب و الاستصلاح (Défrichement).
- تدهور جوانب من المشهد الطبيعي بفعل الانجراف و استغلال الأراضي المنحدرة.
- توفر المنطقة على مؤهلات هامة تستدعي الاهتمام و التثمين نذكر منها ما يلي: الثروة النباتية المتنوعة، المناظر الطبيعية الخلابة، الثروة المعدنية الباطنية.

أما الدراسة العمرانية و المعمارية فإنها سمحت لنا بتكوين نظرة عامة عن أشكال التوطن البشري بالمنطقة وتطوره. التمايز الكبير بين العينات الثلاث المدروسة (التجمع العمراني بمركز بني ورثيلان، قرية منادس و قرية شلحاب) مع انتمائها إلى نفس المنطقة دليل على أن ظروفاً خاصة جعلت كل منها يتطور إلى شكلها الحالي، و هذا يؤكد من جديد صحة الفرضية الثانية للبحث.

وأخيراً من خلال دراسة بعض الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية للمنطقة تقربنا أكثر من واقع المنطقة و تضح إلينا مدى عمق التحولات التي شهدتها المنطقة، نذكر فيما يلي البعض منها:

- منطقة بني ورثيلان رغم طابعها الريفي في الظاهر إلا أن متوسط نسبة المشتغلون في القطاع الفلاحي لا يتعدى 6,66 % من مجموع السكان المشتغلون حسب الإحصاء العام للسكان سنة 1998م.

-إحصائيات توزيع السكان حسب طبيعة التجمعات العمرانية لسنة 1987م و سنة 1998م تبين تراجع الحجم السكاني للتجمعات المبعثرة مقابل زيادته في التجمعات الثانوية و المركزية و هذا يفسر الضمور الذي عرفته عدة قرى معزولة بمنطقة بني ورثيلان.

- استمرار ظاهرة النزوح الريفي ولعل أهم عامل يفسر ذلك هو ضعف طاقة استيعاب القطاعات الاقتصادية بالمنطقة للأيدي العاملة المحلية حيث يقدر متوسط نسبة السكان المشتغلون ب 23,14 % حسب الإحصاء العام للسكان سنة 1998م.

منطقة بني ورثيلان على مر السنوات القليلة الماضية عرفت وتيرة غير عادية و متسارعة من التحول على شاكلة معظم مناطق الوطن حيث وفي إطار برنامج الإنعاش الاقتصادي حظيت بعدت مشاريع تنموية نذكر منها: إنجاز ثانويتين- إنجاز ثلاثة مكتبات نصف حضرية ومكتبة ريفية- إنجاز العديد من المطاعم المدرسية- إنجاز عدة إكماليات وابتدائيات- إنجاز مستشفى بطاقة استيعاب 60 سرير- إعادة الاعتبار لجزء كبير من شبكة الطرقات، توسيع بعض شبكات صرف المياه المستعملة و كذا بعض شبكات جلب المياه الصالحة للشرب....إلخ. بالإضافة إلى هذه المشاريع و غيرها التي لا يزال معظمها في طور الإنجاز تم إعداد 14 مشروعا جوارياً للتنمية الريفية و اقتراحها على السلطات الولائية للموافقة والتصـــــديق عليـــها كمرحلة أولـــــية لتطـــبيق برنامج التجـــــديد الريـــفي بالمـــنطقة (Le renouveau rural). التحولات المجالية إذن على أوجها في المنطقة و تستدعي تضافر جهود كل الأطراف الفاعلة فيها لصياغة تصور مستقبلي أفضل للمجال المعيشي والهيئة العمرانية.

الفـــــــــصل الثالث

التحـولات المجالية القروية بين الواقع و المأمـــــــول

مقدمة الفصل الثالث:

بما أن المجال القروي هو احد عناصر المجال الريفي فان العوامل المؤثرة على المجال الريفي ككل تؤثر على المجال القروي بشكل مباشر أو غير مباشر ،الشكل العمراني للقرية والتنظيم الوظيفي لها (organisation fonctionnel) يتكونان ويتحولان حسب طبيعة الظروف وعوامل مختلفة سبق وان تعرضنا إليها على مستوى المجال القروي الجزائري عموماً وعلى مستوى منطقة القبائل خصوصاً.

كنا قد ميزنا في منطقة بني ورثيلان بين ثلاث أنماط للتحولات المجالية هي [1] :- الضمور والتدهور مع الهجرة الكلية للقرية - توسع القرية بوتيرة وحجم متوسط نسبيا مع نشوء نسيج عمراني جديد انشطاري أو خطي من السكنات الفردية والمرافق العمومية ،وهي حالة معظم القرى - توسع سريع نسبيا مع اندماج لعدة قرى متجاورة ونشوء أنسجة عمرانية (عمارات جماعية) وهي حالة مراكز البلديات ومركز الدائرة .

نماذج التطور هذه استنتجنها فقط من خلال ملاحظة وتفحص الأشكال العمرانية الحالية بقرى المنطقة وقد تطرقنا إليها دون الخوض في حيثيات تشكلها وتحولها، وعليه فإننا في القسم الأول من هذا الفصل سنحاول البحث في هذه الحيثيات وذلك من خلال تتبع مراحل عملية التشكل والتحول المجالي العمراني لكل من قرية منادس والتجمع العمراني لمركز دائرة بني ورثيلان، ومن أجل تعميق الفهم أكثر سنبحث في التحولات على مستوى المسكن الذي يشكل اللبنة الكبرى من الإطار المبني، ويمكن به تفسير جانب كبير من التحولات المجالية القروية، لكن قبل الخوض في فيما سبق ذكره سنتطرق إلى بنية القرية القبائلية التقليدية بشيء من التفصيل بهدف إحداث المقارنة مع نماذج التطور المجالي الحالي.

البحث في ظاهرة التحولات المجالية القروية سمح لنا باستخلاص العديد من النتائج وطرح تساؤلات جديدة وكذا التفكير في بدائل واقتراحات قد تساهم في تحويل مسار التحول المجالي نحو الأفضل؛ مجمل هذه التساؤلات والنتائج والاقتراحات سندرجها ضمن القسم الثاني من هذا الفصل.

[1] -هذه النماذج الثلاث للتحولات المجالية القروية بمنطقة الدراسة تتعلق فقط بتطور القرى القديمة وليس بكل أشكال التوطن البشري بها، حيث لاحضنا نشؤ تجمعات عمرانية جديدة ومستقلة عن القرى القديمة .

القـــسم الأول

حيـــثيات عملـــية تشـــكل

وتـحـــول الـــمجال القـــــروي

بـمنـطقة بـــني ورثـــيلان

القسم الأول :حيثيات عملية تشكل وتحول المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان.

مقدمة القسم : سنهتم في هذا القسم بحيثيات عملية تشكل وتحول المجال القروي في الجانب العمراني والمعماري بمنطقة بني ورثيلان وما يتعلق بهما (الجانبين الشكلي والوظيفي)كما سنعرج على تطور التقنيات والمواد المستعملة في البناء، و بما أن تحول المجال القروي على ارتباط وثيق بتطور التهيئة العمرانية على مستوى المنطقة ككل فإننا سنحاول إبراز هذه العلاقة وتبيانها كذلك. الفرضية الأولى لهذا البحث مفادها انه من اجل فهم ظاهرة تحول المجال القروي يتعين علينا فهم ما كانت عليه القرى قبل موجة التحولات المتتالية و المتسارعة التي مرت بها من بداية الاحتلال الفرنسي إلى يومنا هذا وعليه فإننا سنستهل هذه القسم بإبراز الخصائص الأساسية للقرية التقليدية (الشكلية والوظيفية).

المطلب الأول: البنية المجالية للقرية القبائلية التقليدية بمنطقة بني ورثيلان وغيرها من المناطق القبائلية :

القرى التقليدية القبائلية في معظمها تتميز ببنية عمرانية خاصة انظر مخطط الكتلة لقرية شلحاب اللوحة رقم (37) شكل (49) بحيث تربط بين العناصر المشكلة لها علاقات شكلية و وظيفية تكاملية [1] فالقرية الواحدة لا تساوي فقط مجموع الأجزاء المشكلة لها بل هي وحدة مستقلة تخضع كل أجزائها لمبدأين أساسيين هما[2]:

- أولوية العلاقات بين الأجزاء قبل الأجزاء ذاتها.
- شبكة العلاقات تتميز بهراكية معينة ويمكن تجزئتها إلى عناصر مترابطة فيما بينها ومترابطة مع الكل الذي تشكله.

القرية هي الوحدة السياسية والإدارية الأساسية في المجتمع القبائلي، تتميز بحيز مجالي معين (territoire)، تتموضع في الغالب على قمة جبل أو هضبة وقد تتموضع على سفح الجبل أو احد جوانبه، ونادرا ما تتموضع في حوض (vallée).

تأثير الموقع الجغرافي على البنية العمرانية للقرية سهل الملاحظة، فالتوطن على قمم أو جوانب الجبل يحد من إمكانية توسع القرية مما يحتم على السكان بناء مساكنهم مع مراعاة اقتصاد العقار من جهة والاستجابة للاحتياجات الوظيفية من جهة أخرى. شكل القرية المتموضعة على جبل عادة ما يكون دائري (حول القمة) و المساكن المنغلقة عن الخارج تشكل مجتمعة حصن منيع يتم من خلاله مراقبة

[1] - ويصطلح على هذا النوع من العلاقة بالعلاقة العضوية (organique) من طرف المدرسة المرفولوجية الايطالية انظر ص-ص 196- 199 من هذا الفصل .

[2] - KACI Mebarek, *Contribution à protection de l'architecture rurale traditionnelle , cas d'un village antique de Taksebt en Kabylie maritime*, mémoire de magistère en urbanisme école polytechnique d'architecture et d'urbanisme EPAU d' Alger 2001 ,P37.

الأراضي المزروعة وحراستها وكذا مراقبة أي خطر خارجي في حالات الطوارئ والصراع مع القبائل الأخرى. توسع منازل القرية عادة ما يكون أفقي بتضاعف المساكن داخل الملكية العائلية (قطعة ارض) وهو ما يؤدي مع مرور الوقت إلى نشوء مسالك غير نافذة داخل القرية (impasses)، تتوسع القرية عموديا كذلك لكن وبحكم محدودية التقنيات والإمكانيات يطغى عليها التوسع الأفقي، وتيرة التوسع في القرية التقليدية بطيئة جدا وذلك راجع إلى النسبة الكبيرة للوفيات في سن الطفولة. بعد تحسن الظروف المعيشية والصحية للسكان؛ المنزل التقليدي لم يعد يستوعب ازدياد عدد أفراد العائلة ومع مرور الوقت وإدخال تقنيات البناء الجديدة انتشر التوسع العمودي للقرى عبر مناطق عديدة وتعقدت حالتها بالاكتظاظ والازدحام[1]، انظر توسع المنزل التقليدي للعائلة بقرية منادس (ك.ب) اللوحة رقم (43) شكل رقم (58).

1-1 مكونات القرية القبائلية التقليدية :

مورفولوجيا (شكليا) وحسب التسلسل التدريجي من الخارج إلى الداخل يمكن تمييز المكونات التالية في القرية القبائلية :- ثاجماعث-أزنيق- المسلك بدون منفذ (impasses) -أسقيف-الحارة – أحام، بالإضافة إلى هذه المكونات نجد المصلى أو المسجد، المقبرة، العين (ثالة) ، ساحة الدرس (أنار) ، وأخيرا نجد حقول الخضر (حدائق)، وهي كلها توابع أساسية خاصة بكل قرية[2].

1-1-1 ثاجماعث (Thadjmath): اجتماعيا هي مؤسسة قروية تسهر على تطبيق القوانين العرفية والفصل في النزاعات التي قد تنشأ بين أفراد القرية كما تشرف على تسيير الموارد والمرافق المشتركة بين السكان، كل فرد منها له ادوار معينة ويترأسها **الأمين** الذي يُختار بالاتفاق دون اللجوء إلى التصويت. عمرانيا ثاجماعث هي الهيكل أو المبنى الذي تُعقد فيه هذه الهيئة اجتماعاتها، تتموقع عند مدخل القرية أو خارجها، من هذا المكان يمكن لسكان القرية مراقبة الغرباء واستقبالهم وتحديد إمكانية دخولهم إلى القرية من عدمها انظر الأشكال لوحة رقم (10)، معماريا ثاجماعث يمكن أن تأخذ عدة أشكال منها :
المبنى المغطى والمنفصل، الممر المغطى، مكان مهيأ بجانب المسجد.

1-1-2 الزقاق (أزنيق la ruelle): يحتل الزقاق دور محوري بين العناصر المكونة للقرية، فهو الفضاء القروي الداخلي الأول بالنسبة إلى الخارج يربط بين داخل القرية وخارجها كما انه يربط بين الأجزاء الداخلية، فقط سكان القرية هم الذين يستخدمونه. هذا الفضاء المغلق والضيق يتكون من سطح

[1] - وذلك يشكل مرحلة من مراحل التحول المجالي في القرى القبائلية التقليدية.
[2] - في بعض القرى نجد إضافة إلى هذه المرافق الطاحونة و/ أو معصرة الزيتون .

أفقي (القارعة) وسطحين جانبيين (واجهات المنازل) أو جدرانها الجانبية، ويختلف شكله من مقطع إلى أخر حيث يتشكل من تتابع غير منتظم لالتواءات، مفترقات، انحدارات، ومدرجات ...الخ.

1-1-3 المسالك بدون منفذ (l'Impasse): في بعض المناطق يعرف ب (أزبوق). من الناحية المورفولوجية هو امتداد للزقاق فهو فضاء ضيق ومغلق، الدور الذي يلعبه ضمن البنية المجالية للقرية هو ربط تجمعات المساكن التي ليس لها اتصال مباشر مع الزقاق بالزقاق.

1-1-4 أسقيف (Asquif): هو المكان الفاصل بين خارج المنزل وداخله حيث يتوجب على زائر الحارة التوقف عنده قبل أن يُسمح له بالدخول إلى الحارة، معماريا يتخذ أسقيف عدة أشكال، ويلعب دور المدخل الرئيسي للحارة (ثابورث أوفراق) على جانبيه نجد مقاعد مبنية خصيصا للانتظار أو للاستراحة.

1-1-5 الحارة(l'Hara) : تمثل نهاية المسار الذي بدأنه انطلاقا من ثاجماعث، فبتجاوز أسقيف نكون قد دخلنا إلى الحارة الدائرة الخاصة بالعائلة، تتميز الحارة عادة ببنية ثنائية، حيث تضم فظاءين احدهما مغطى والأخر مبنى ومحدد لكن غير مغطى (ساحة أو أفراق). من الناحية الاجتماعية الحارة تعني العائلة أو مجموعة من العائلات التي تقطن هذا المسكن.

1-1-6 أخام(Axxam) : أو الوحدة السكنية. عبر مختلف أجزاء منطقة القبائل، المنزل التقليدي يتميز ببساطة كبيرة حيث يتشكل من غرفة واحدة مستطيلة الشكل [1] يأوي الإنسان والحيوان معا لكن كلا في فضاء خاص به وهو عادة ما ينجز بالحجر الجاف (pierre sèche) أو بالحجر و الملاط المصنوع بالتراب والتبن[2] يغطى المسكن بسقف عادة ما يتكون من هيكل خشبي ومجموعة من الطبقات العازلة هي طبقة القصب أو الديس ، طبقة من التراب و أخيرا طبقة من القرميد المصنوع محليا. الهيكل الخشبي يرتكز على الجدران الجانبية للمبنى، الأبعاد المتوسطة للمنزل القبائلي هي 06 أمتار في الطول و03 أمتار في كل الارتفاع و العرض، معماريا أخام يتميز ببنية ثنائية أفقيا وعموديا، أي انه في المجموع ينقسم إلى ثلاث فظاءات هي (انظر الشكل رقم (50) لوحة رقم (38) و اللوحة رقم (14)) :

- ثاقعت: تسمى في بعض المناطق أقونس (agunse) أو ثغرغرث وتشغل ثلثي مساحة أخام وهي مخصصة للإنسان وتشكل المسرح الذي تمارس فيه الكثير من النشاطات اليومية.

[1] نادرا ما تكون مربعة الشكل

[2] بعض الجدران الداخلية يتم انجازها باستعمال آجر من التراب والتبن (le pisé)

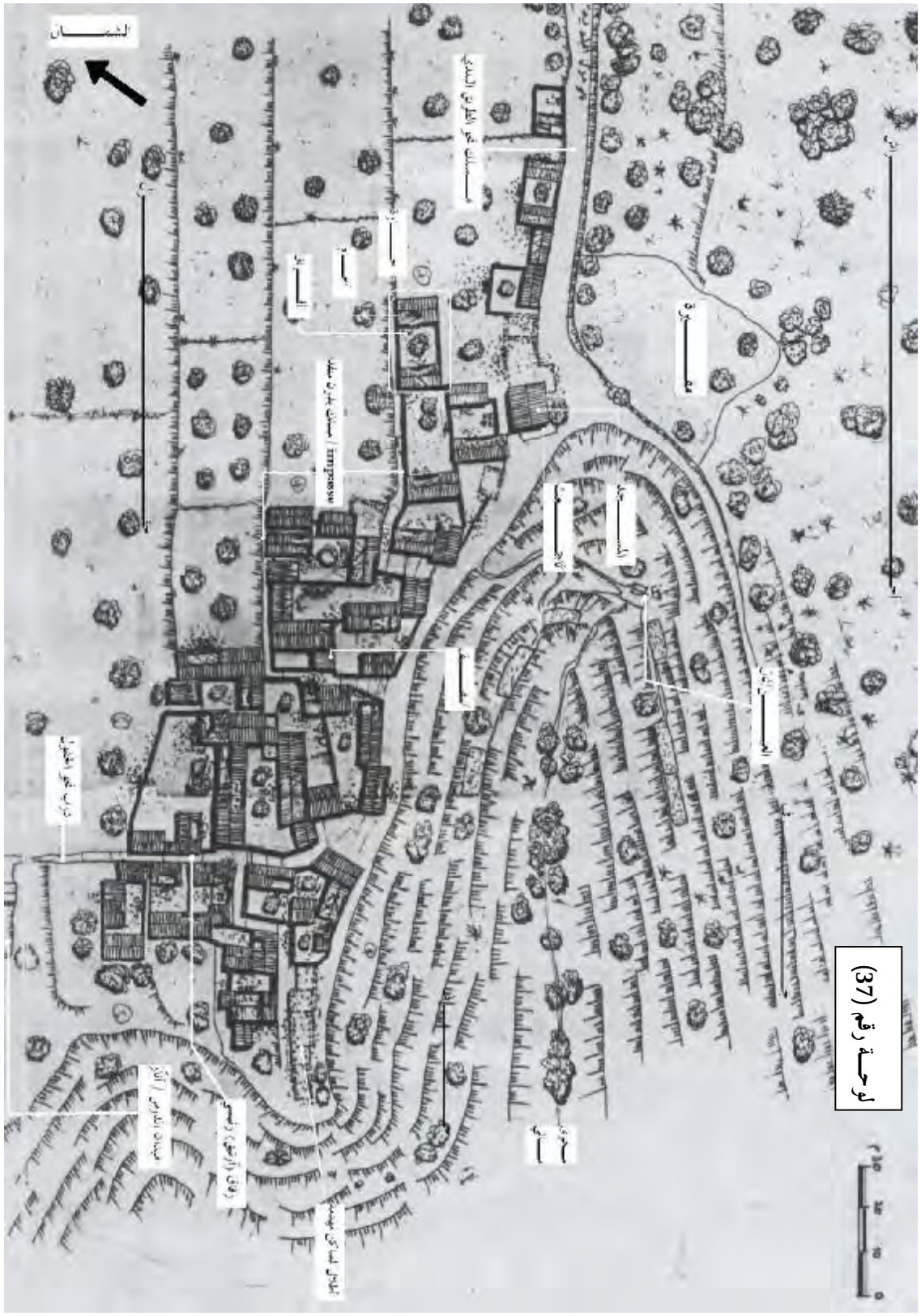

شكل رقم (49): مخطـــط الكتلة لقرية شلـــحاب، **المصدر:** الباحث بمساعدة الطالبين: ناسلي .ي و توهامي .إ

- أدينين: أو الإسطبل المخصص للحيوانات، يحتل الثلث المتبقي من مساحة أخام ويقع في الجانب المقابل لثاقعت وعادة ما يكون منخفض قليلا بالنسبة إلى مستوى هذه الأخيرة .

- ثاعريشث: فضاء يقع فوق ما يسمى أدينين أبعاده الأفقية مساوية لأبعاد هذا الأخير، بينما يكون ارتفاعه اقل، تستعمل ثاعريشث لتخزين المئونة، الأغطية الزائدة عن الحاجة وكذا الأشياء الثمينة، في احد جدرانها الجانبية نجد فتحة صغيرة (lucarne) للتهوية والإضاءة.

المنزل القبائلي التقليدي يضم الكثير من التجهيزات التي يستخدمها الإنسان في حياته اليومية ،نذكر منها ما يلي :

- الكانون: وهي حفرة مخصصة لإشعال النار لغرض التدفئة أو الطبخ.
- السرير: ينجز من مواد محلية (الحجر والطين).
- لكذر:كذلك ينجز من مواد محلية ويستخدم كمخزن أو قاعدة توضع عليها إكوفان.
- إكوفان: وهي جرة كبيرة لتخزين الحبوب الجافة (القمح،الشعير ، التين المجفف)
- ثادكنت: تفصل بين أدينين و ثاقعت وهي تتشكل من السور الذي ترتكز عليه العوارض التي تغطي أدينين من جهة ثغرغرث يخرج منها نتوء على شكل درجة تستعمل للصعود إلى ثاعريشث.
- ثاسيرث: وهي أداة طحن الحبوب الجافة المختلفة .
- أزطى: وهو مجموعة الأدوات المستعملة لصناعة الزرابي و البرانيس و الأفرشة. اللوحة رقم (38).

كل هذه التجهيزات والأدوات لها مكانها الخاص في البيت القبائلي منها التي تُنجز من طرف المرأة ومنها التي يتخصص الرجل في انجازها وهي عادة ما تكون بالمواد محلية.

من الكانون إلى ثاجماعث كل جزء من القرية التقليدية القبائلية له وظيفته ودوره الذي يؤديه ضمن نسق وظيفي محكم التسلسل و الترابط والهراركية. القرية بدورها كما رأينا تنتمي إلى نسق اجتماعي ومجالي أكبر هو القبيلة (العرش).

هذه البنية التقليدية تعرضت كما سبق و أن أشرنا إلى تأثير عدة عوامل جعلتها تتحول من حال إلى حال مع مرور الوقت و ذلك ما سنحاول تبيانه من خلال دراسة بعض الأمثلة من قرى منطقة بني ورثيلان.

لوحة رقـــم (38)

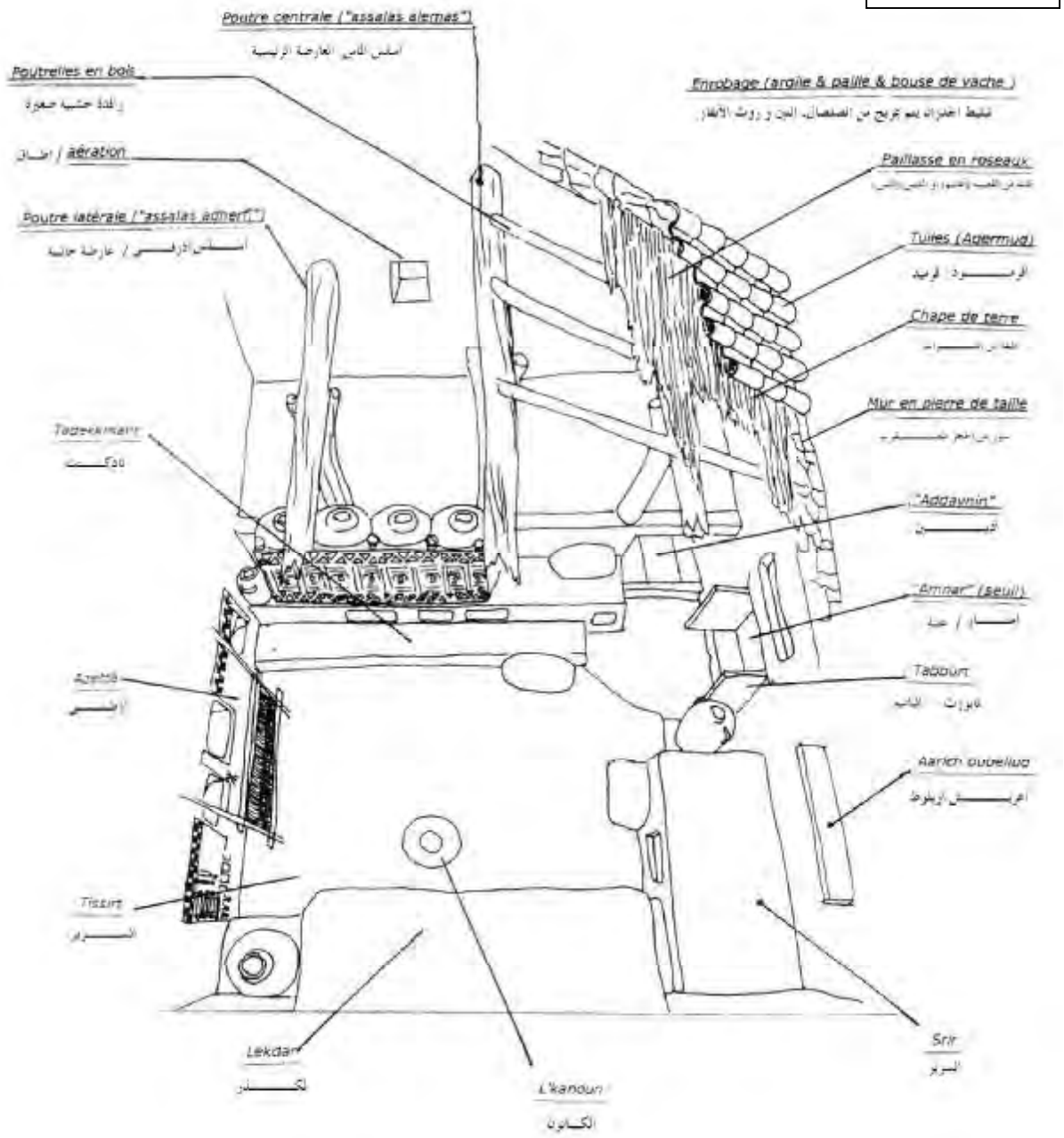

الشكل رقم (50) : رسم توضيحي لمكونات المسكن التقليدي القبائلي أخام.

Source : ABOUDA . M, *Axxam , maison kabyle et fréquences Murales*, ISBN, Paris, 1985,P.06
In : KACI Mebarek, *Contribution à protection de l'architecture rurale traditionnelle , cas d'un village antique de Taksebt en Kabylie maritime*, mémoire de magistère en urbanisme école polytechnique d'architecture et d'urbanisme EPAU d' Alger 2001 ,P50.

المطالب الثاني: المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان بين عوامل الثبات والتحول

2-1 التوطن البشري بمنطقة بني ورثيلان بين الماضي والحاضر:

منطقة بني ورثيلان موضوع دراستنا تضم إلى جانب بلدية بني ورثيلان ثلاث بلديات أخـــرى هي: بني موحلي، عين لقراج، بني شبانة، هذه البلديات الأربع تشكل حاليا دائرة بني ورثيلان. أقدم المصادر التي تحصلنا عليها [1] تشير إلى أن الإقليم الحالي لهذه الدائرة كان يظم ستة قبائل هـــي: بـــني ورثيلان، بني شبانة، بني براهيم، بني موحلي، بني غبولة، وبني عفيف[2]، تظم هذه القبائل أعـــداد مختلفة من القرى أدرجنا أسماؤها في الجدول التالي:

القـــبيلـــة	عدد القرى	أسمـــــاء الـــــقـــــــرى	مـــــلاحظات
بني ورثيلان	10	آنو، الجمعة، تيزي واطو، اقني قطران، المطران، قاع وزرو، دشرة سيدي الحسين ،بني عفيز .	الجمعة تضم قريتين (فانتيكلت +إغيل أوفلا) وتقـــع بجوار آنو.
بني براهيم	03	لم تذكر أسماؤها، وهي على الأرجح، قرية الشوف، القبـــة، تيلاتوين.	ويشير المرجع إلى قرية قريبة لم يذكر اسمها كـــذلك لعدم التأكد من انتمائها إلى هذه القبيلة.
غبولة	09	شمبوطة، فونان، أخريب، ثيغيلت إمراعن، ثيقرث نتزقرث، مسعاد، زاكو، رصفة، بورضيم.	يشير البحث إلى أن كل من أخريب، ثيقرث، فونان ومساعد تم إحراقها من طرف الاحتلال الفرنسي
بني شبانة	06	إغيل علي، ثاوريرث إعراسيين، ثادرث امعلاق، اورير ناث شبانة، ثاوريرث الجرف.	هذه القبيلة في صراع دائم مع قبيلة بني عفيف
بني عفيف	02	تتضمن قريتين لم يـــــــــــذكر اسميهما	في صراع دائم مع بني شبانة
بني موحلي	13	ايلولن، احلوفن، أقمون، أحفيز، قنطيعة، تيقراثين، الزوايـــة ،.....	ستة من هذه القرى لم تذكر أسمائها
المجموع	43	/	/

جدول رقم (18): قبائل وقرى منطقة بني ورثيلان عند بداية الاحتلال الفرنسي.

Source : E.CARETTE, Exploration scientifique de l'Algérie, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années1840,1841,1842, étude de la Kabylie proprement dite, Tome IV, imprimerie Royale , 1848 , P-P. 380-402.

[1] - وهي :

- E.CARETTE, Exploration scientifique de l'Algérie, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années1840,1841,1842, étude de la Kabylie proprement dite, Tome IV, imprimerie Royale , 1848 , P-P. 380-402.
- تقرير السيناتوس كونسيلت لقبيلة بني ورثيلان (Arrêté d'homologation du 31 Juillet 1899)
- موضوع: (Aperçu historique sur la région de Beni Ourtilane) لمؤلفه مشهد جمال الدين ، متخصص في الفهرسة و المخطوطات و المشرف على مكتبة جده الشخ المهوب أولحبيب.

[2] - المصدر لم يذكر قبيلة بني حماتي بشتى قراها وهي من بين القرى التي تنتمي حالياً إلى إقليم دائرة بني ورثيلان .

الملاحظ أن هذا المصادر لم تذكر العديد من القرى التي تنتمي إلى هذه المنطقة ولعل ذلك يرجع إلى أحد الأسباب التالية :

- عدم وصول المستكشفون إليها بحكم بُعدها عن القرى الرئيسية للقبائل ويفترض أن يكون هذا أهـــم سبب لعدم ذكر قرى قديمة نذكر منها: فريحة، أقمون ناث عيسى، عباد الشريف، بني حافظ، الشـــرفة، شلحاب، امزين، قرى قبيلة بني جماتي ،.....

- عدم اهتمام المستكشفون ببعض القرى كونها في المراحل الأولى من نشأتها.

- العامل الأمني حيث تعرض التوغل الاستعماري للمقاومة من طرف العديد من القبائل.

حسب أ.كارات (E.CARETTE)[1] المنطقة كانت تظم أكثر من ثلاثة و أربعـــون قريـــة ســـنة 1843 وهي الآن تظم حوالي ثمانين قرية ودشرة وتجمع عمراني، وهذا يعني تضاعف عدد التوطنـــات البشرية بها. من الناحية السكانية نفس المرجع يشير إلى أن مجموع أعدد سكان القبائل المـــذكورة بلـــغ 8100 نسمة، بينما نفس الإقليم أصبح يضم سنة 2004 ما يقارب 57130[2] نسمة، وهذا يعـــني أن حجم سكان المنطقة تضاعف بسبع مرات خلال ستة عشر عشرية. المنطقة إذًا لم تفقد ســـكانها علـــى شاكلة الكثير من المناطق الجبلية المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط التي تتميز بـــنفس الظـــروف الصـــعبة (الطبيعية، الاقتصادية و السياسية) وهذا مع أنها شهدت هجرة أعداد كبيرة من سكانها إلى فرنسا والمدن الكبرى الجزائرية لغرض العمل، بل وبالعكس فان هذه الهجرة تمثل أحد أسرار استمرار التوطن بالمنطقة والمناطق المجاورة لها حيث عادة ما تستثمر العائلات العائد المالي لأبنائها المهاجرين في تحســـين ظروفهـــا الاقتصادية والمعيشية (كاستثمار تجاري أو فلاحي، بناء مسكن، شراء وسائل النقل)[3]

المنوغرافيا المحلية للبلدية المختلطة حمام قرقور[4] تشير إلى أن منطقة بني ورثيلان لم يتم إخضـــاعها بشكل تام ونهائي إلا بعد ثورة الحداد و المقراني سنة 1871م و بعد تسعة ســـنوات مـــن إحكـــامهم السيطرة على المنطقة قام الفرنسيين بإنشاء البلدية المختلطة (Commune mixte) حمام قرقور، ضمت

[1]- E.CARETTE, Exploration scientifique de l'Algérie, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années1840,1841,1842, étude de la Kabylie proprement dite, Tome IV, imprimerie Royale , 1848 , P-P. 380-402.

[2]- حسب تقديرات DPAT سنة 2004 .

[3] -Cote. Marc, L'Algérie ou l'espace retourné ,Média plus, Algérie 1993, P.297 et P. 300
- Sunatus consult de la tribue de Beni ourtilane , Arrêté d'homologation du 31 Juillet 1899 page 30 qui18.

[4] - Monographie locale-Enquêtes sur l'habitat et le niveau de vie, commune mixte du Guergour, 27/01/1939, 9 pages .

إلى جانب منطقة بني ورثيلان مناطق أخرى تمتد إلى بوقاعة جنوبا و ثالة إفاسن شرقا، انظر إلى خريطـــة تطور التقسيمات الإدارية (رقم (13)) بمنطقة أقصى شمال ولاية سطيف.

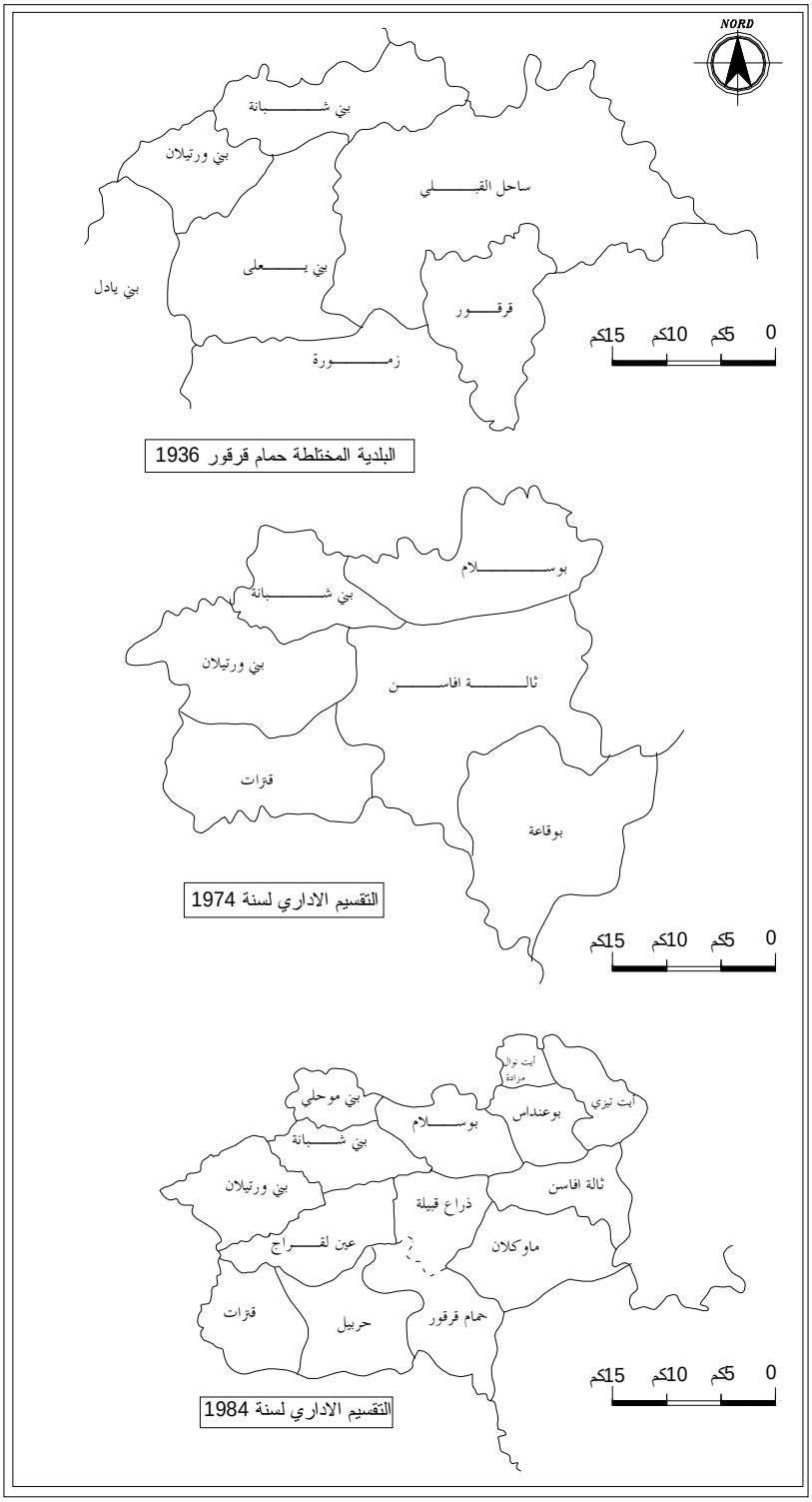

خريطة رقم (13) : تطور التسميات الإدارية بمنطقة أقصى شمال ولاية سطيف

المصدر : عبد القادر شاوش، التحولات الريفية في البلديات المهمشة حالة بلديات من شمال غرب سطيف، جامعة قسنطينة، 2001.

من الناحية السياسية إنشاء البلدية المختلطة حمام قرقور وتقسيمها إلى عدة دواويـــر (Douars) (9 قبائلية و5 عربية) أدى إلى تناقص دور القبائل كهيئات سياسية و عسكرية فاعلـــة مقابـــل زيـــادة وتوطد نفوذ سلطات الاحتلال الفرنسي. بحكم الانتماء الجديد هـــذا عرفـــت المنطقـــة أولى المراحـــل الاستثنائية في تحولها المجالي وقد تترجم ذلك في الواقع من خلال العديد من الإجراءات والانجازات ذُكـــر البعض منها في المنوغرافيا الخاصة بالبلدية المختلطة حمام قرقور التي يعود تاريخهـــا إلى 1937/01/27 نذكر أهمها فيما يلي:

- إنجاز الطريق الولائي رقم (23) وهو حليا الطريق الوطني رقم 74 مـــن بوقاعـــة (la fayette) إلى سوق بني ورثيلان على مسافة 40 كلم وتسخير ثلاث مصالح للنقل العمومي تعمل على توفير خدمـــة النقل بين بوقاعة ومركز بني ورثيلان.
- إنجاز الطريق الريفي بين عراسة ومركز بني ورثيلان، وهو الآن جزء من الطريق الولائي رقم (04).
- ربط مركز بني ورثيلان هاتفيا بمركز البلدية المختلطة حمام قرقور، وكذا بمركز دوار قنزات.
- انجاز مركزين لمعالجة التين المجفف احدهما ببني ورثيلان والآخر ببني شبانة وذلك بهدف التصدير.

فيما يتعلق بتطوير وتحسين السكن الريفي على مستوى البلدية يشير نفس المصدر إلى ثُلـــة مـــن المباني بالقرب من سوق بني ورثيلان التي بناها الأهالي وفق النمط الأوروبي فيما عدى ذلـــك يضـــيف نفس المصدر أن السكان ظلوا متمسكون بالنمط التقليدي الذي ورثوه عن أجدادهم .

التوغل الاستعماري بالمنطقة استلزم لا محالة بناء معسكرات وحصون عسكرية وذلك ما أشـــار إليه ذات المصدر، لكن دون ذكر أماكنها و عددها عبر مجال منطقة بني ورثيلان. لا تزال العديد من أثار هذه المعسكرات قائمة إلا أن تاريخ انجازها يبقى مجهولا بالنسبة إلينا (انظر الصورة رقـــم (24)،لوحـــة (26)).

هذه التحولات - وغيرها كثير- وخصوصا ربط مجال المنطقة بالعالم الخارجي عـــن طريـــق شبكة المواصلات الهاتفية والطرق سمحت للمستعمر ببسط سيطرته على المنطقة من جهـــة وسمحـــت للقرويين بالتواصل والاحتكاك مع العالم الخارجي بشكل أسهل وأسرع من جهة أخرى، وذلك ما مهد السبيل لدخول عوامل جديدة للتحول ضمن النسق المجالي للمنطقة.

الثورة التحريرية الكبرى شكلت مرحلة هامة ومميزة في عملية تشكل وتحول المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان حيث شملتها عدة عمليات عسكرية قام بها الفرنسيين نتج عنها تهديم كلي أو جزئي للعديد من القرى. خلال هذه المرحلة أنشئ الجيش الفرنسي عدة محتشدات وقام بترحيـــل ســـكان القـــرى

المعزولة إليها بهدف فصلهم عن الثوار، كما قام بجمع سكان بعض المناطق في قرية واحـــدة أو أكثـــر لتسهيل بسط السيطرة عليها.

تكليل الثورة التحريرية بالاستقلال سمح بعودة هؤلاء إلى مواطنهم الأصلية لكن بعـــد معانـــات وتضحيات كبيرة. المرحلة الجديدة هذه فتحت الباب لسكان المنطقة لإعادة تنظيم أنفسهم وتنظيم المجال بما يتناسب ومصالحهم. إلا أن نبأ مجيء الثورة الزراعية لم يروق الكثير منهم [1] بل دفـــع بهـــم إلى بيـــع مواشيهم وحتى أراضيهم وشدوا الرحال للهجرة إلى فرنسا خوفا من حملة التأميم التي شـــرعت فيهـــا السلطات العمومية، وتذكر بعض الروايات الشفوية أن السكان رفضوا اقتراحا لإنشاء قريـــة فلاحيـــه بالقرب من منطقة إغرمان ببلدية عين لقراج.

سنة 1974 عرفت تقسيما إداريا جديدا حيث أصبحت المنطقة تظم بلديتين هما بني شبانة وبني ورثيلان، انظر الخريطة رقم (17) وبحكم التقسيم الإداري الجديد المنطقة استفادت من عـــدة مشـــاريع تنموية قاعدية تتلخص في بناء العديد من المدارس الابتدائية، بعض المستوصفات وشـــق العديـــد مـــن الطرقات، من جهة أخرى عرفت المنطقة بداية دخول مواد البناء الحديثة إلى السوق المحلية (الاسمنـــت، الطوب والقرميد المُصنَّع وحديد البناء) وكذا اليد العاملة التي تمتلك تقنية الانجاز بهـــا بحكـــم خبرتهـــا المكتسبة خلال سنوات الهجرة والعمل في المدن الجزائرية أو الأجنبية. هذا التطور تجسد مجاليـــا في بنـــاء مساكن ذات طابع انتقالي هجين يحمل مواصفات من النمط التقليدي وأخرى حديثـــة (انظـــر لوحـــة رقم(44)).البلديات المستحدثة أصبحت مراكز للقرار في الكثير من القضـــايا المتعلقـــة بتنظـــيم و/ أو التحكم في تحول المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان وغيرها من المناطق عبر المجال الريفي الجزائري، حيث أوكلت إليها عدة مهام كانت من اختصاص الجماعة في السابق، مثلا : تجهيز القرى بشبكات الصرف الصحي، تجديد الطرق، بناء المدارس والمؤسسات الدينية، تزويد القرية بالماء الشروب و فرض احتـــرام المبادئ العامة للعمران ...الخ. «*...فبعد أن كانت الجماعة تقرر وتدافع عن شؤون القريـــة مـــن كـــل الجوانب من خلال فرض العقوبات والغرامات المالية بل حتى عزل الأفراد[...]، أصبحت اليوم تنظر في القضايا دون فرض عقوبات لان المجلس انتزعت منه هذه السلطة فكثيرا ما يتم اللجـــوء إلى المحـــاكم أو القضاء في مثل هذه الشؤون ،كما أن المجلس أصبح مجرد إسهام خيري ...* »[2]. هذا التحول إذن فـــتح المجال للعمل بقوانين ومقاييس جديدة غير تلك التي كانت تخضع إليها القرية في ضل حكـــم الجماعـــة

[1] -حسب بعض الروايات الشفوية

[2] عبد القادر شاوش، التحولات الريفية في البلديات المهمشة حالة بلديات من شمال غرب سطيف، جامعة قسنطينة، 2001، ص 238.

(ثاجمعث).سنة 1984 شهدت المنطقة ميلاد بلديتين جديدتين هما بلدية عين لقراج وبلدية بني مـــوحلي وكذا ميلاد دائرة بني ورثيلان بحدودها الحالية، هذا التحول الإداري انجر عنه تبعات مجالية كثيرة حيث أُنجزت مقرات للدائرة والبلديتين الجديدتين تلتها إنشاء العديد من المرافق العمومية والمنشآت القاعديـــة (ثانوية بني ورثيلان، ثانوية بني شبانة، متوسطات، تزويد القرى بالكهرباء والماء الشروب، إنشاء مراكز صحية...الخ). الشيء الملفت للانتباه من كل ما ذكرناه هو إنشاء معظم المرافـــق الجديـــدة في المراكـــز الإدارية للبلديات مما جعلها تتطور لتصبح شيئا فشيئا أقطابا تجذب النشاط التجاري والاقتصادي مـــن جهة وأقطابا جديدة لاستقرار والسكان من جهة أخرى، حيث أصبحت هذه المراكز وجهة جديـــدة للعمل والسكن بالنسبة للقرويين في المنطقة ككل.

من جهة أخرى شهدت المنطقة خلال هذه المرحلة اعتماد أول مخطط للتهيئة والتعمير، و الأمـــر يتعلق هنا .بمحيط الـــتعمير المؤقـــت (Périmètre d'Urbanisation Provisoire : P.U.P) الخاص بالتجمع العمراني .بمركز بني ورثيلان وكان ذلك سنة 1981 م، انظـــر الملحقـــرقم() الخـــاص بالوثائق الأدوات العمرانية. أداة التحكم في التعمير هذه تلتها عدة أدوات أخرى نذكرها مرتبة حســـب تاريخ انجازها.

1- مخطط التهيئة لمركز الدائرة (Schéma d'aménagement du chef lieu) تم انجـــازه ســـنة 1985م.

2- المخطط العمراني التوجيهي (P.U.D) يتعلق كذلك بالتجمع العمراني .بمركز بني ورثيلان، تم انجازه سنة 1989م.

3- مخطط التهيئة والتوجيه العمراني (P.D.A.U) الخاص ببلدية بني ورثيلان وتم انجازه سنة 1996م.

4- مخططات التهيئة والتوجيه العمراني لكل من بلدية بني موحلي وبني شبانة [1] وبلدية عين لقـــراج ، تم انجازها سنة 1997م[2]

5- مخطط شغل الأراضي (P.O.S Zone 01) لمركز بلدية بني ورثيلان سنة 2001م.

انجاز هذه الأدوات رافقه استحداث العديد من المصالح التقنية التي تسهر على تطبيقهـــا و هـــي فرع مديرية البناء والعمران – فرع مديرية الفلاحة –فرع مديرية الأشغال العمومية بالإضافة إلى المصالح التقنية للبلديات الأربع، وآخر ما استحدث في هذا الصدد هو المكتب التقني للـــدائرة. هـــذه المصـــالح

[1] مخطط مشترك بين البلديتين.

[2] - مخططات التهيئة و التوجيه العمراني للبلدية الأربع هي الآن إما في طور المراجعة أو مقترحة للمراجعة.

أصبحت أطرافا فاعلة إلى جانب السلطات المحلية والمركزية في عملية إنشاء وتحويل المجال بالمنطقة، فهـــي تسهر على متابعة انجاز المشاريع المختلفة إضافة إلى مهمة تطبيق أدوات التعمير. إلى جانب هذه المصـــالح نجد مكاتب الدراسات التقنية الخاصة والعمومية و المقاولات بشتى تخصصـــاتها (الهندســـة المعماريـــة ، الهندسة المدنية، العمران، الفلاحة، الأشغال العمومية، البناء)، من جهتها كذلك تلعب دورا لا ســـتهان به في عملية إنشاء وتحويل المجال بالمنطقة. المواطن كذلك من خلال مختلف سلوكياته في المجـــال ســـواء استعماله له أو انجاز المشاريع الخاصة المختلفة يساهم بدور فعال في هذه العملية. كل أولائـــك لهـــم أدوارا مشتركة بينهم أو خاصة بكل واحد، سواء قاموا بها عن وعي أو بدونه، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما السبيل إلى تعزيز الوعي بهذه الأدوار، وما السبيل إلى تضافر الجهود من أجـــل مجـــال قروي أفضل؟. أفضل كونه يتأقلم فيه الجديد بالقديم، كما يجد فيه القديم مكانه الذي يليق بقيمتـــه، أفضل كونه يجمع بين النجاعة الاقتصادية والحفاظ على الموارد الطبيعية، الأفضـــل كونـــه يســـتجيب لتطلعات من يحويهم ويستغلونه ويشاهدونه.

2-2 عملية تشكل وتحول المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان:

2-2-1 مراحل تشكل وتحول النسيج العمراني لقرية منادس:

تعرفنا بشكل عام على البنية المجالية لقرية منادس في المطلب الرابع من القسم الثاني من الفصل الثاني أين تبين لنا أن القرية تشكلت انطلاقاً من مجموعة مساكن كان القرويين يؤون إليها بشكل مؤقت في مواسم البذر، الجني و الحصاد ويستخدمونها لتخزين محاصيلهم. هذا النمط من النشأة الأولى تشترك فيه عدة قرى على مستوى منطقة بني ورثيلان و منطقة القبائل ككل ويصطلح عليه بأعزيب (Azibe).

أصول سكان قرية منادس تعود جلها إلى قرى عرش قبيلة غبولة الواقعة في الجانب المقابل من جبل بوموسي؛ كما أن معظم الأراضي المحيطة بقرية منادس و كذا الأراضي الواقعة على الجانب الجنوبي الشرقي لجبل بوموسي تعود ملكيتها إما لسكان من القرى الأم أو سكان من القرى الجديدة (منادس، لعزيب، جبلة، ايث بوقريب، بونتر...الخ)[1] و عليه يمكن الاحتمال بأن التوطن البشري في هذه المنطقة بدأ من غبولة المرتفعة نسبياً لينتقل نحو مناطق أدنى ارتفاعاً كمنادس وغيرها.

متى بدأ سكان القرية استقراهم بشكل دائم ؟ سؤال حاولنا الإجابة عنة من خلال بحث ميداني شمل معاينة لمجمل أركان القرية القديمة و كذا استجواباً للعديد من مُسني القرية. الخلاصة هي أن البداية تعود إلى أبعد من أوائل القرن الماضي و لم نتمكن من تحديد تاريخها بشكل أدق.

[1] - لعزيب، جبلة، أيث بوقريب، بونتر وغيرها أصل سكانها يعود كذلك إلى عرش قبيلة بني غبولة.

أجزاء النسيج العمراني الحالي لقرية منادس و مكوناتها المجالية الأخرى تشكلت على مراحل بفعل نشاط الإنسان الذي سعى إلى تهيئتها بما يتماشى و احتياجاته المختلفة من جهة، وبما يتماشى و خصوصياته الثقافية و الاجتماعية من جهة أخرى. فيما يلي واعتماداً على ما توفر لدينا من وثائق سنحاول تقسيم عملية تشكل و تحول المجال العمراني لقرية منادس إلى مراحل متمايزة.

إذا سلمنا بأن النواة الأولى لقرية منادس تشكلت انطلاقاً من مجموعة مساكن مؤقتة لقرويين ذوي أصل غبولي (من قبيلة بني غبولة) فإن هذا يؤدي بنا على احتمال الدروب الأولى التي استخدمها القرويين إلى موقع القرية وهي ثلاثة (الدروب أ، ب، ج)، انظر اللوحة رقم (39) الدربين (أ) و (ب) و إن كانا حالياً غير مستعملين إلا أننا نحتمل أنهما أول الممرات التي شقها الإنسان نحو الموقع انطلاقا من غبولة. الدرب (أ) الذي يمر على ربوة صغيرة يحيط بها أراضي خصبة شَكَّل المحور الرئيسي الذي بُنيت على جوانبه أول مساكن القرية ولعل اختيار هذا الموقع لم يكن عشوائياً و ذلك للأسباب التالية :

- كون موقع القرية قريب من مصدر مائي هام يتمثل في عين دائمة الجريان و ذات تدفق كبير.
- كون النواة الأولى للقرية بنيت على الموضع الأقل خصوبة بالنسبة لما حوله من أراضي.
- توفر إمكانية مراقبة جل الأراضي المحيطة بموضع القرية.

اعتماداً على الصورة الجوية للقرية الملتقطة سنة 1995 م و الروايات الشفوية لبعض مسني القرية بالإضافة مسح ميداني شمل مجمل المباني التي تضمها توصلنا إلى تصور قسمنا من خلاله عملية تشكل و تحول إلى أربعة مراحل هي :

أ.مرحلة ما قبل 1962 م: في هذه المرحلة كانت القرية تتشكل من مجموعة من المساكن التقليدية يقارب عددها 16 حارة تنتظم في نسيج عمراني متراص و مسجد مضاف إليها حارتين معزولتين[1]. النسيج العمراني القروي يشقه زقاق (أزنيق) بحيث كل حارة لها باب ينفتح على هذا الأخير. المسجد في هذه القرية يلعب كذلك دور تاجمعث بحيث إلى هذا اليوم لا يزال السكان يجتمعون جالسين في مكان خاص من ساحة المسجد الذي لم يبقى منه سوى الأطلال. المقبرة تقع عند مخرج القرية من الجهة الشرقية بينما تبعد عين القرية بمسافة 90 م عن آخر منزل من جهة المسجد. إلى غاية 1962 ضلت القرية مجرد نقطة توطن سكاني وسط الأراضي التي يستغلها القرويين لزراعة محاصيل مختلفة. الأراضي الواقعة أسفل وقرب عين القرية كانت ولا تزال جزئياً تسقى وفق نظام ري خاص يتم إعداده بالتراضي بين سكان القرية، انظر الخريطة رقم (14).

[1] - لعل السبب في بنائهما معزولتين يعود إلى عدم امتلاك أصحابها أرضا ضمن النسيج العمراني للقرية.

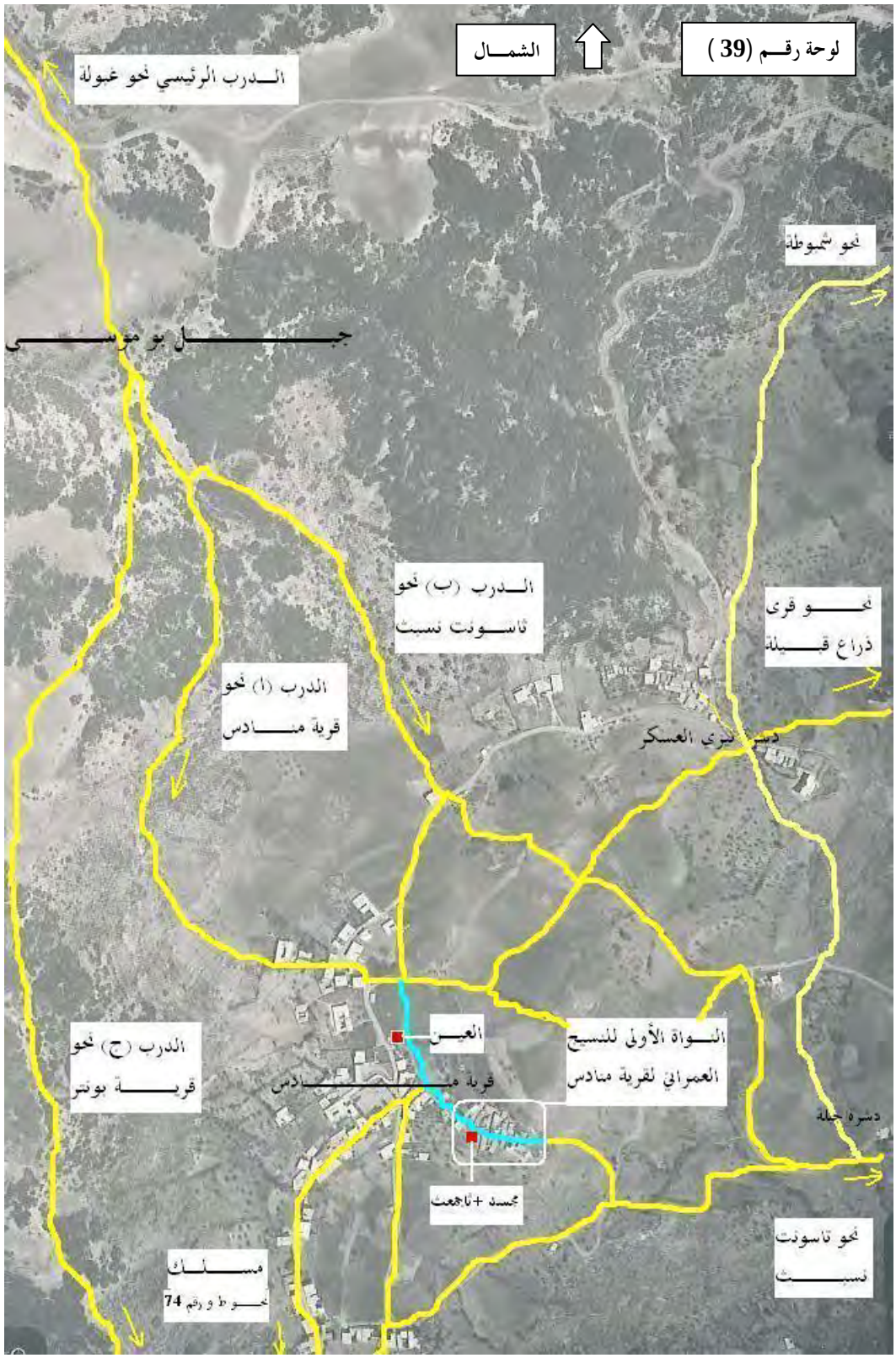

الشكل رقم (51): مخطط أهم الدروب القديمة التي تمر على قرية منادس
المصدر: الصورة الجوية لقرية منادس سلم 1/20000، سنة 1995 + بحث ميداني + معالجة الطالب

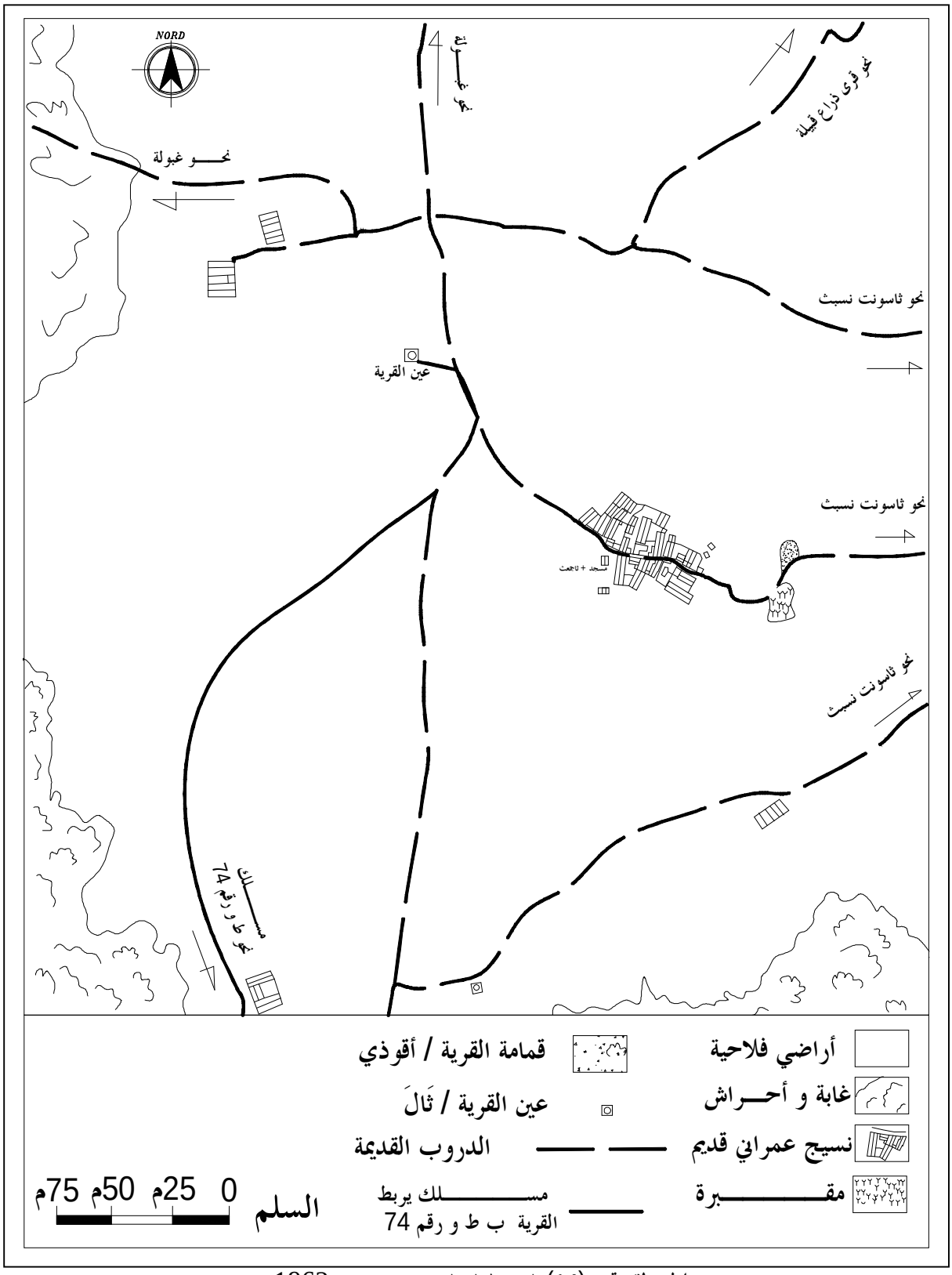

الخريطة رقم: (14) البنية المجالية لقرية منادس سنة 1962.

المصدر: الصورة الجوية لقرية منادس سلم 10000/1، سنة 1995 + بحث ميداني + معالجة الطالب

شبكة الطرق تتكون في هذه المرحلة من مجموعة من الدروب (Sentiers) القديمة إضافـــة إلى مسلك (Piste) يربط بين القرية و الطريق الوطني رقم 74 أنجز من طرف سلطات الاحتلال خلال السنوات الأولى من الثورة بهدف التمكن من التوغل باستعمال مخلف آلياته العسكرية إلى القرى الواقعة على الجانب الجنوبي الشرقي من جبل بوموسي[1].

ب. مرحلة ما بين 1962 إلى 1978م: عرفت قرية منادس خلال هذه المرحلة توسعاً غير عادي حيث أن معظم المنازل الجديدة بنيت منفصلة و بعيدة نسبياً عن النسيج العمراني التقليدي. عدد هذه المنازل 14 مسكنا بالإضافة إلى مدرسة ابتدائية ومتجر وهو يساوي عدد الحارات التي يضمها النسيج العمراني التقليدي. المقبرة القديمة استبدلت بمقبرة جديدة، و عرفت شبكة الطرق و المسالك توسعا بسيطا باتجاه المساكن الجديدة. انظر الخريطة رقم (15)

ت. مرحلة ما بين 1978 و 1987 م: ثلاثة و أربعون هو عدد المباني التي أنجزت خلال هذه الفترة ثلاث منها مرافق عمومية (المسجد الجديد، المستوصف و مقر الفرع البلدي) أما الباقي فهي مباني سكنية بنيت بمواد حديثة بشكل كامل تقريباً و هي ذات طابع يغلب عليه سمات النمط الأوربي بحيث نجد 24 منها ذات طابقين على الأقل. الوجهة المفضلة لتوضع المساكن الجديدة في هذه المرحلة هي الطريق البلدي الذي يربط القرية بالطريق الوطني رقم 74، معظم المساكن الجديدة ملك للمغتربين يعملون إما في فرنسا أو إحدى المدن الجزائرية. شبكة الدروب، المسالك و الطرق تم تدعميها حيث تم توسيع الدرب الذي يربط القرية بالمقبرة الجديدة باتجاه قرية جبلة و منطقة ثاسونت نسبث الزراعية ليصبح مسلكا يمكن مرور العربات المختلفة عليه انظر الخريطة رقم (16). الطريق البلدي الذي يربط القرية بالطريق الوطني رقم 74 الذي كان مجرد مسلك بسيط تم تحسينه بمجموعة من الإجراءات كالتوسيع، وضع طبقة قاعدية من الحصى، و تسوية المقاطع الأكثر انحداراً منه.

قرية منادس في هذه المرحلة عرفت قفزة نوعية في مجال التهيئة و التجهيز حيث تم ربطها بشبكة الكهرباء سنة 1984م و تزويدها بشبكة للصرف الصحي.

ث.مرحلة مابين 1987 و 1995م: عرفت قرية منادس في هذه المرحلة توسعاً جديداً في نسيجها العمراني وذلك ببناء أكثر من 20 مسكنا و توسيع العديد من المنازل التي بنيت المراحل السابقة بالإضـــــافة إلى

[1] - وهي قرى لعزيب، بونتر، جبلة، منادس، أيثبوقريب و شبوطة.

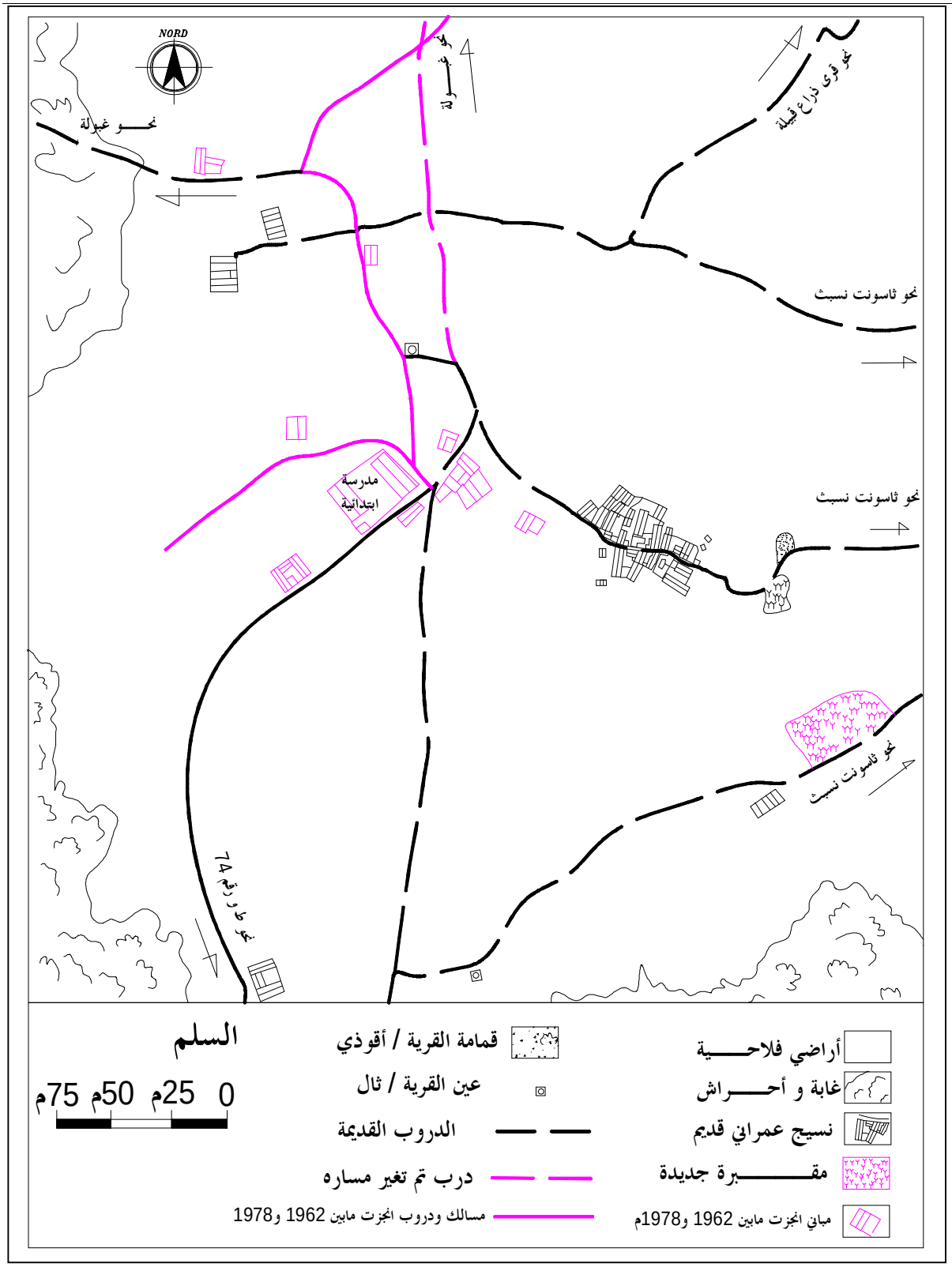

الخريطة رقم: (15) البنية المجالية لقرية منادس سنة 78.

المصدر: الصورة الجوية لقرية منادس سلم 10000/1، سنة 1995 + بحث ميداني + معالجة الطالب.

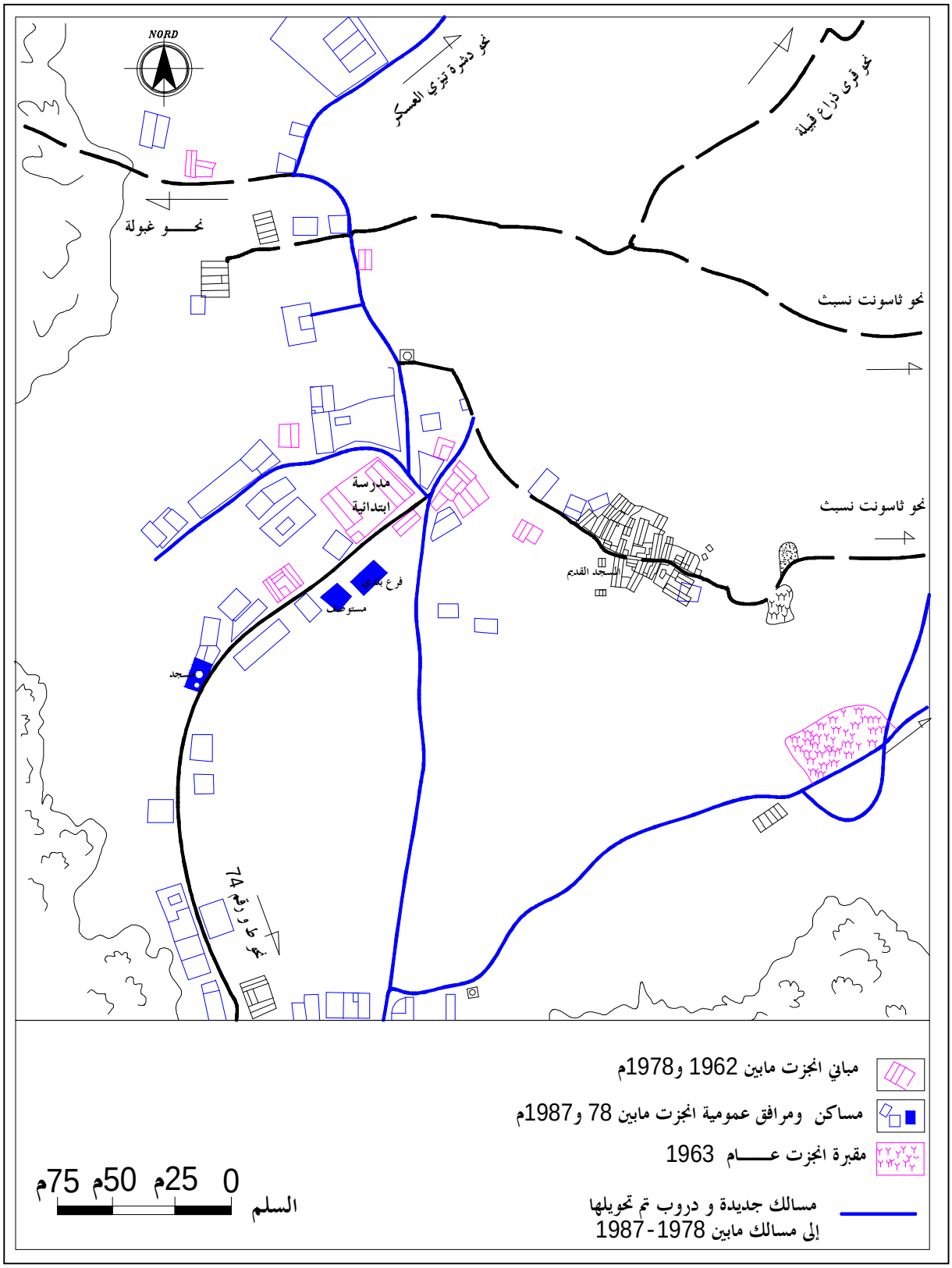

الخريطة رقم: (16) البنية المجالية لقرية منادس سنة 1987.

المصدر: الصورة الجوية لقرية منادس سلم 10000/1، سنة 1995 + بحث ميداني + معالجة الطالب.

توسيع المقبرة. الملاحظ هو أن استمرار التوسع العمراني لخلال هذه الفترة عرف تناقصاً من حيث الوتيرة و الحجم و لعل ذلك انعكاس لما عانته الجزائر ككل و منطقة القبائل بشكل خاص من أزمة متعددة الأوجه، وعدم تدعيم القرية بأي مرفق عمومي جديد عدا توسيع المدرسة الابتدائية بقسمين قد يرجع إلى نفس السبب. ويبرز اهتمام القرويين بالعامل الأمني -كأحد خصائص هذه الفترة – بإنجاز العديد من أسوار الإحاطة (Murs de clôture) حول المساكن، انظر الخريطة رقم (17).

ح. مرحلة مابين 1995 و2007 م: تناقص وتيرة التوسع العمراني للقرية امتد إلى هذه الفترة حيث عرفت القرية أدنى مستوى للتوسع منذ الاستقلال بعشرة 10 مساكن جديدة فقط ستة منها أنجزت في إطار دعم الدولة للسكن الريفي، انظر الخريطة رقم (18). النسيج القديم في هذه المرحلة فقد معظم سكانه الذين انتقلوا إلى مساكن جديدة في القرية ذاتها أو مناطق أخرى عبر الوطن حيث شكلت العاصمة[1] الوجهة المفضلة في موجة الهجرة الجديدة هذه التي مست مجمل الشرائح؛ فالمغتربين الذين كانوا يعملون في الخارج (فرنسا) أصبحوا يفضلون الاستثمار في المدن (العاصمة، سطيف، تامنراست، بشار...الخ) بينما أصبح المهاجرون الذين يعملون المدن الجزائرية يسعون بكل طاقاتهم إلى بناء مساكن قرب أماكن عملهم بدل التنقل المستمر بين المدينة و القرية. بهدف الحد من ظاهرة النزوح الريفي هذه شرعت الدولة بمعية السلطات المحلية في مساعدة السكان على أوضاعهم و ذلك بمجموعة من الإجراءات نذكر منها: دعم بناء السكنات الريفية، تزويد القرية بمختلف بشبكة للمياه الصالحة للشرب) بالإضافة إلى تعبيد الطريق الذي يربط القرية بالطريق الوطني رقم 74.

هذا التصور لعملية تشكل وتحول المجال العمراني لقرية منادس و إن كان لم يستوفي مجمل الحيثيات إلا أنه يبرز أهم خصائص هذه العملية في قرية خلال خمسة و أربعون سنة انطلاقاً من الحالة التقليدية المحضة.

تطور النسيج العمراني لقرية منادس خلال نصف قرن تقريبا من الزمن نتج عنه ما يلي:

- زوال الحدود المجالية التقليدية للقرية حيث أنها كانت تشغل ربوة صغيرة لتصبح بعد هذه المدة متربعة على نسبة كبيرة من الأراضي الزراعية المحيطة بها و التي كانت من العوامل الأساسية لنشأتها الأولى.
- تحول نمطية المسكن من الحارة إلى المسكن الحديث ذو الطوابق و ذلك ما سنحاول تفصيله في المطلب الثالث من هذا القسم.

[1] - تامنراست تأتي في المركز الثاني بعد العاصمة من حيث استقطاب سكان قرية منادس.

- تدخل الدولة بمعية السلطات المحلية في عملية تشكل وتحول المجال بإنجاز البنى التحتية و المرافق العمومية الأمر الذي ساهم في تسهيل التوسع العمراني للقرية.
- تدخل الدولة في عملية تشكل و تحول المجال القروي استلزم إدراج قواعد و قوانين و أدوات جديدة للتحكم فيها و تنظيمها وهي مختلفة تماماً عن المبادئ التي نشأت وفقها القرية التقليدية.
- النمو العمراني السريع للقرية كان يحمل بذور تراجعه حيث أدى انحصار الأراضي الزراعية التي كان السكان يستغلونها إلى تناقص حاد للإنتاج الزراعي و لعل ذلك من بين العوامل المسببة في موجة الهجرة الجديدة التي عرفتها القرية خلال الفترة 1998-2007م .

عملية تشكل و تحول النسيج العمراني لقرية منادس لا تعطي صورة متكاملة عن العملية ذاتها على مستوى منطقة بني ورثيلان ككل و ذلك ما سنؤكده من خلال تتبُّع جوانب من حيثيات التحول المجالي على مستوى التجمع العمراني بمركز بني ورثيلان .

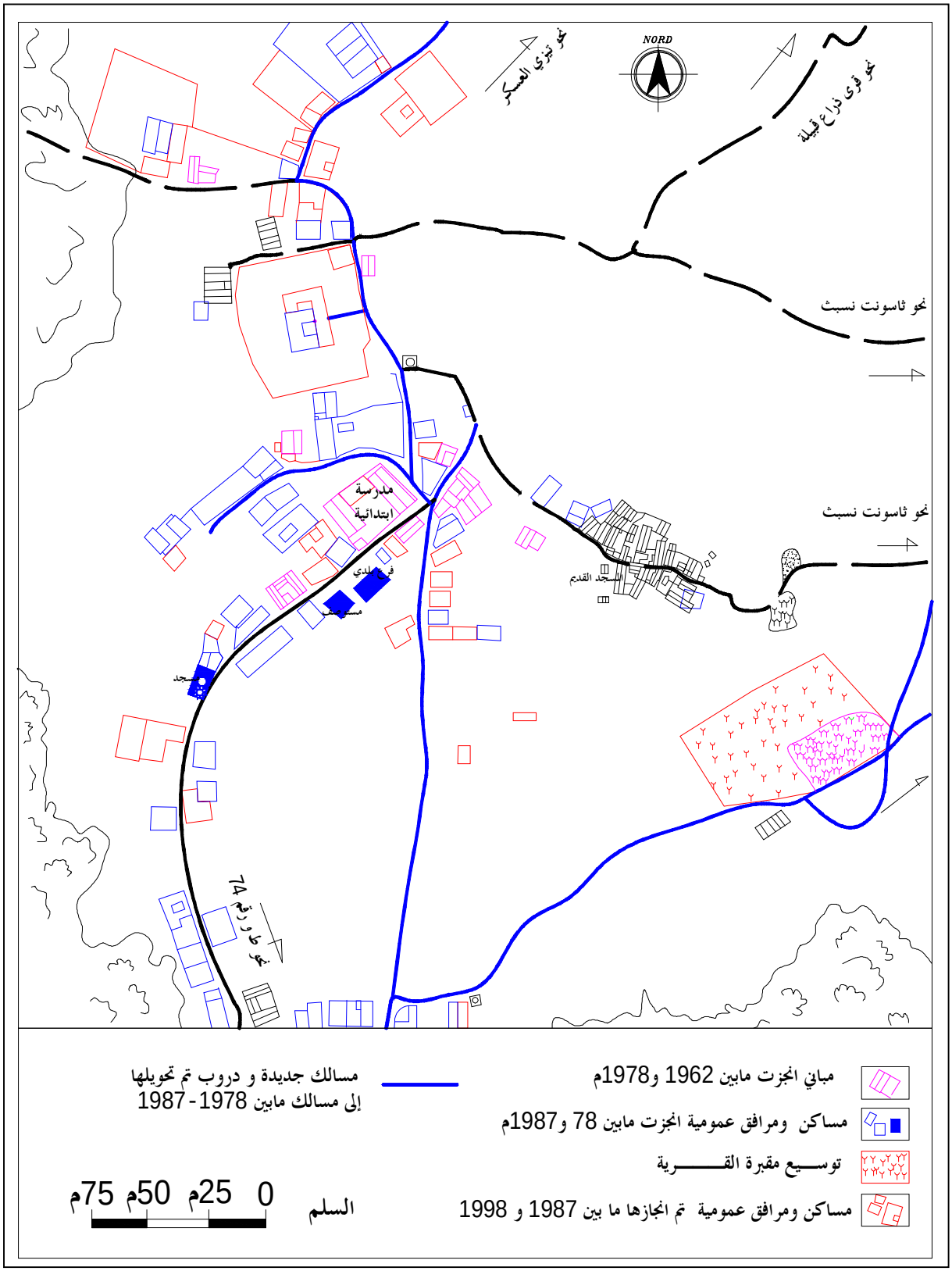

الخريطة رقم: (17) البنية المجالية لقرية منادس سنة 1998.

المصدر: الصورة الجوية لقرية منادس سلم 10000/1، سنة 1995 + بحث ميداني + معالجة الطالب.

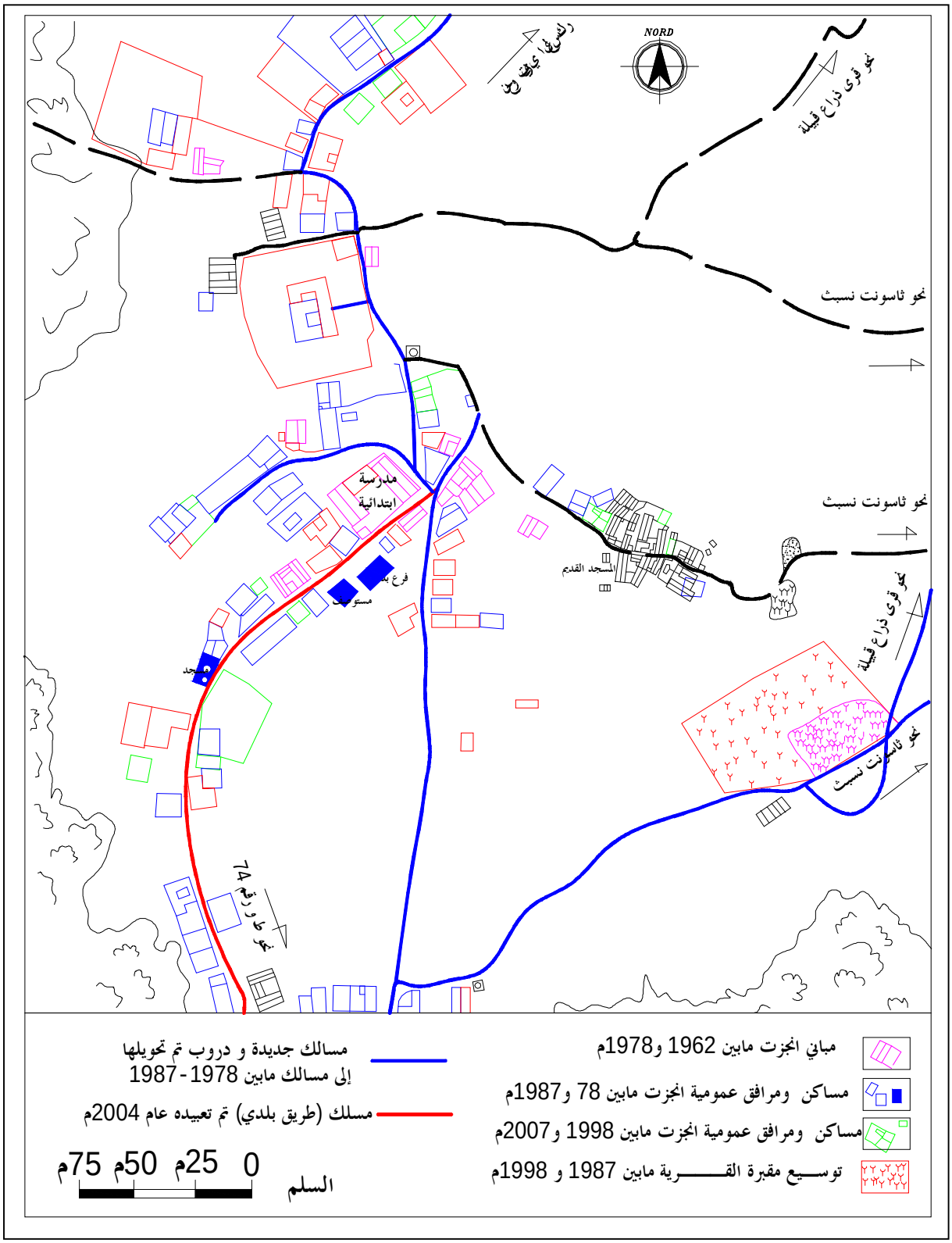

الخريطة رقم: (18) البنية المجالية لقرية منادس سنة 1987.

المصدر: الصورة الجوية لقرية منادس سلم 10000/1، سنة 1995 + بحث ميداني + معالجة الطالب.

2-2-2 مراحل عملية تشكل النسيج المجال العمراني للتجمع المركزي ببني ورثيلان:

تشير المصادر القديمة إلى الأهمية البالغة التي كان يحضا بها سوق الجمعة على مستوى الشرق الجزائري ككل حيث ظل قبيل و خلال فترة الاحتلال الفرنسي قِبلة لقبائل عديدة تقصده بهدف التبادلات التجارية المختلفة. قريبا من مكان السوق و على ثلاث ربوات منفصلة عن بعضها تتموضع ثلاث قرى قديمة هي : فانتيكلت، إغيل اوفلا و آنو يذكر أ. كارات (E.Carette) أن هذه القرى تنتمي إلى قبيلة بني ورثيلان و أن سكان هذه الأخيرة يهتمون كثيراً بالتجارة و يودون الدخول في علاقات تجارية مع فرنسا عن طريق ميناء بجاية. الاحتلال الفرنسي و بهدف بسط سيطرته على المنطقة عمل خلال النصف الأول من القرن العشرين على إنجاز طريق يربط بين بوقاعة و مركز بني ورثيلان؛ السوق و الطريق مهدا السبيل لاستقرار بعض التجار بشكل نهائي في هذا المكان و ذلك من خلال إنجاز عدة مباني قد تكون ثنائية الاستعمال (سكنية وتجارية).

أقدم الوثائق التي تحصلنا عليها بخصوص التجمع المركزي ببني ورثيلان تعود إلى تاريخ 31 جويلية 1899م[1] أين تظهر القرى القديمة الثلاث على شكل نقاط منفصلة عن بعضها البعض، انظر الشكل رقم (53).

الصورة الجوية للتجمع العمراني الملتقطة سنة 1972 م مكنتنا من إعداد الشكل التوضيحي (رقم 54) لحالة التجمع العمراني بعد أكثر من ستون سنة من إعداد خريطة السناتوس كونسيلت لقبيلة بني ورثيلان. الشكل التوضيحي رقم (54) يوضح حالة التجمع العمراني في مرحلة متقدمة من تشكله حيث أصبح المجال الفاصل بين قرية فانتيكلت و إغيل أوفلا يظم نسيج عمراني عمراني قليل التماسك كما تُظهر بعض المسالك الجديدة التي تربط النسيج العمراني الناشئ بالطريق الوطني رقم 74. السوق في هذه المرحلة تحتل موقعا مركزيا بين فانتيكلت و إغيل أوفلا.

الصورة الجوية الملتقطة سنة 1984م مكنتنا من إعداد الشكل (55) أين نلاحظ ازدياد كثافة النسيج العمراني الواقع بين القريتين فانتيكلت و إغيل أوفلا هذا من جهة، من جهة أخرى نلاحظ توسع التجمع في اتجاهات مختلفة متخذا حواف الطرق كوجهات مفضلة لتوضع البنيات الجديدة.

الصورة الجوية للتجمع الملتقطة سنة 1998م أعددها انطلاقا منها الشكل (56) و هو يبرز لنا التطور الذي شهده النسيج العمراني للتجمع المركزي ببني ورثيلان إلى هذه السنة حيث عرف خلال الفترة (1984-1998) نقلة نوعية في توسعه ونموه العمرانيين فبعد أن تمت ترقيته إلى مركز لدائرة بني

[1] - خريطة السيناتوس كونسلت لقبيلة بني ورثيلان، انظر الشكل رقم (52) .

لوحة رقم (40)

شكل رقم (52): جزء من خريطة السناتوس كمونسيلت لدوار بني ورثيلان، تظهر فيه معظم القرى المجاورة لمكان السوق (آنو، إغيل أوفلا، فانتيكلت، إغيل لكريم...) و شبكة الدروب المؤدية إليه.

المصدر : المصالح التقنية لبلدية بني ورثيلان

شكل رقم (53): رسم مبسط لشبكة القرى، المسالك و الدروب القريبة من مكان السوق الأسبوعي ببني ورثيلان.

المصدر : خريطة السناتوس كونسيلت لدوار بني ورثيلان، سلم 20000/1، 1889م + معالجة الباحث.

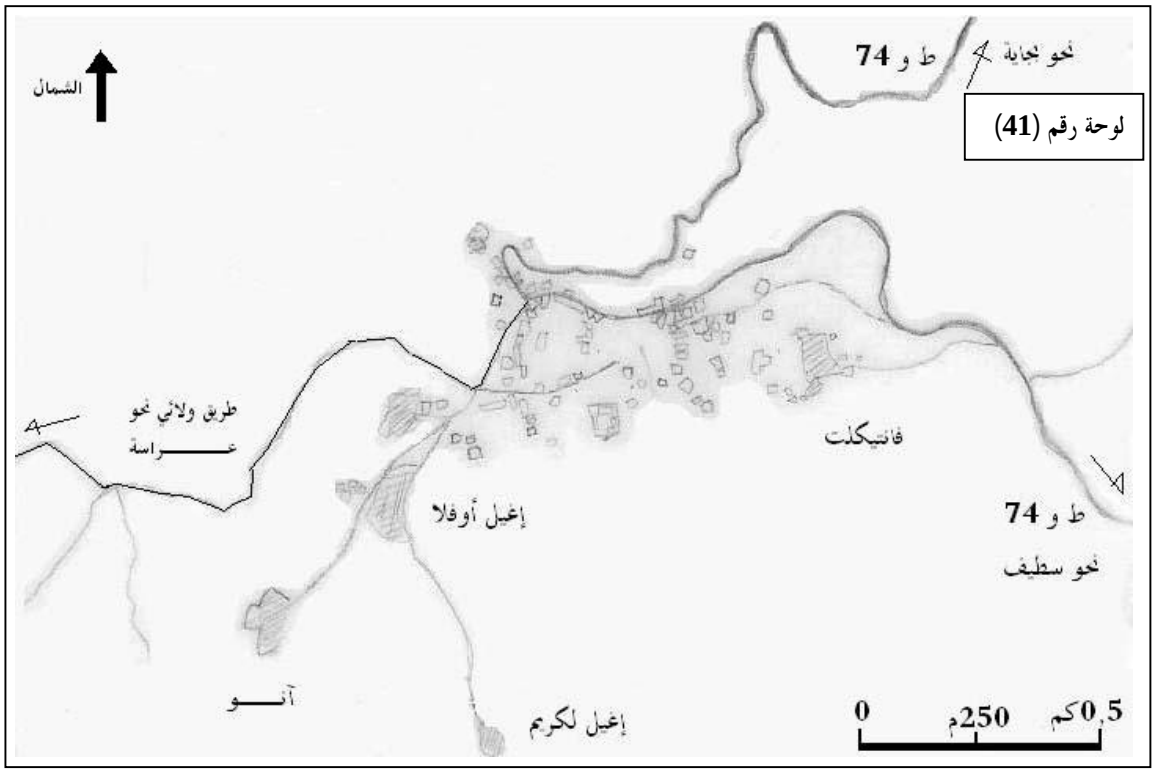

شكل رقم (54): رسم مبسط لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 1972

المصدر : صورة جوية للمركز ، سلم 20000/1، INC، سنة 1972.

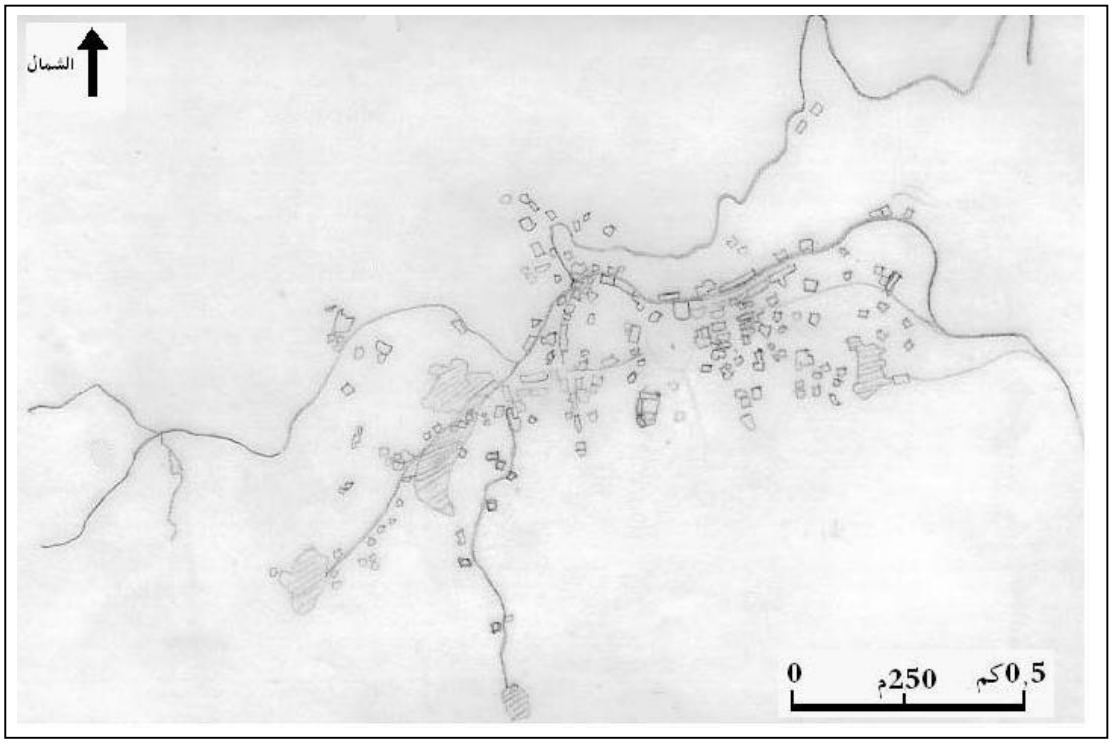

شكل رقم (55): رسم مبسط لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 1984

المصدر : صورة جوية للمركز ، سلم 20000/1، INC، سنة 1984.

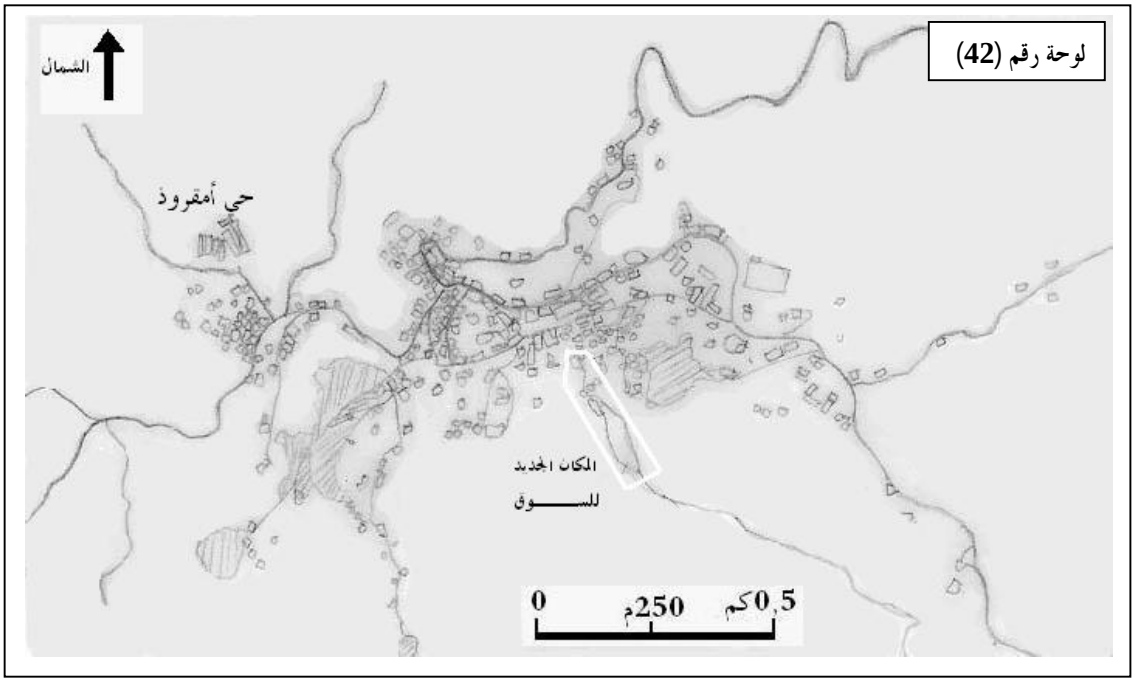

شكل رقم (56): رسم مبسط لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 1998

المصدر : صورة جوية للمركز ، سلم 20000/1، INC، سنة 1998.

صورة رقم (49): مؤخوذة بالصاتل لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 2006

المصدر : موقع Google Earth.

ورثيلان تدعم بالكثير من المرافق العمومية و المبنى التحتية بالإضافة إلى مجموعة من البرامج السكنية الاجتماعية التي أنجزت على شكل عمارات ضمن النسيج العمراني المركزي أو على شكل حي أحياء منفصلة (حي أمقروذ- حي كونديان).

حالياً التجمع يشهد استمرارا في توسعه و خصوصاً على جوانب كل من الطريق الوطني رقم 74 و الطريق الولائي 04؛ التجمع بتوسعه هذا ضم إليه قرية إغيل لكريم المجارة له و قد يتطور ليحتوي قريتي ثيزي واطو و القاع وزرو، انظر الطورة رقم (49).

من خلال تتبع عملية تشكل و تحول المجال العمراني لمركز بني ورثيلان يتضح لنا كيف أن للظروف الخاصة المحيطة به دورا كبيرا في هذه العملية فبحكم العوامل الثلاث: احتوائه للسوق الأسبوعي، وقوعه على الطريق الوطني رقم 74 و كونه مركزا إدارياً هاماً حضي باهتمام السلطات العمومية و تفرد باستثمارات متعددة و مختلفة (خاصة وعمومية) جعلت من نسيجه العمراني يطور بشكل مستمر و سريع في اتجاهات مختلفة.

السكن في هذا التجمع لم يعد ريفياً محضا حيث بدأ يأخذ ملامح حضرية بإدراج برامج للسكنات الاجتماعية، الترقوية و الوظيفية هنا وهنالك عبر النسيج العمراني للتجمع. مراكز البلديات الأخرى (بني براهيم[1]، ثارفت[2]، الإثنين[3]) كذلك شهدت هذا النوع من التطور. باقي القرى شهدت كذلك تحولات في نمطية السكن لكن بدراجات متفاوتة من التطور و ذلك ما سنحاول تفصيله في المطلب المقبل.

[1] -مركز بلدية عين لقراج
[2] - مركز بلدية بني شبانة
[3] - مركز بلدية بني موحلي

المطلب الثالث: تطور السكن الريفي في منطقة بني ورثيلان:

المسكن يمثل اللبنة الأساسية لتكوين المجال العمراني القروي و تطوره من الناحية المعمارية يقتضي تطور البنية العمرانية للقرية ككل، كما أنه أهم عنصر مكون للمجال القروي تترجم فيه و بشكل مباشر معظم التحولات الاجتماعية و الثقافية للسكان و عليه فإن فهم ظاهرة تحول المجال القروي في جانبه العمراني على وجه الخصوص يقتضي النزول إلى النواة الأساسية المكونة له (المنزل) للنظر في حيثيات تشكلها و تحولها.

بغض النظر عن الخلفيات النظرية التي تتعلق بهذا الجانب من المجال القروي، رأينا أن المجال الريفي الجزائري بشكل عام يظم أنماط سكنية تقليدية مختلفة من منطقة إلى أخرى هذا من جهة، من جهة أخرى تطرقنا عن أنماط سكنية انتقالية كونها تحمل في طياتها بعض السمات الجديدة المغايرة للمميزات التقليدية سواء من يتعلق بتقنيات و مواد البناء أو التصميم المعماري. كما أشرنا إلى النمط الحديث الذي تقترب خصائص كثيرا خصائص أسلوب السكن الحضري الأوربي شكلا و مضمونا.

من بين الدراسات السابقة التي تناولت هذا الجانب نذكر اثنتين و نحاول المقارنة بين منهجية و نتائج كل منهما. وهذا لتكوين فكرة عن الخلفيات النظرية التي تم من خلالها تناول موضوع تطور السكن الريفي في منطقة القبائل.

3-1 تطور السكن الريفي في منطقة القبائل على ضوء بعض الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى عنوانها: *السكن الريفي بأيث وغليس، فوضى مجالية أم نظام خفـــــي* (*L'habitat des Ath Waghlis, chaos spatial ou ordre caché*) و هي من إعداد مساسي .ن تحت إشراف مارك كوت (Marc Côte).

في هذه الدراسة مفهوم النمط السكني تم ربطه بشكل وثيق بهجرة القرويين نحو فرنسا و المراحل التي مرت بها. فاستناداً لما ذهب إليه صياد.أ (Sayad.A)[1] الهجرة نحو فرنسا عرفت ثلاث مراحل نذكر خصائص كل منها فيما يلي :

المرحلة الأولى: تمتد من بداية الهجرة الحديثة إلى الحرب العالمية الثانية تقريبا، الهدف منها هو البحث عن العمل من أجل العيش و الحفاظ على استمرارية المجتمع التقليدي كما هو.[1]

[1] - Sayad . A , Les trios ages de l'imégration algériènne, Acte de la recherché en science sociale N° 15, Juin 1977, P63, In Messaci Nadia , *l'habitat des Aith Waghlis chaos spatial ou ordre caché ?* Thèse de magistère en urbanisme université de constantine , institut d'architecture et d'urbanisme , 1990. P 113 .

المرحلة الثانية: تمتد إلى نهاية الثورة التحريرية حيث مست الهجرة شريحة واسعة من القرويين الذين تم تحويلهم إلى أجراء. الهجرة بالنسبة إلى هؤلاء تمثل الوسيلة الوحيدة لتحقيق تطلعاتهم المسموحة و الممنوعة في ذات الوقت.[2]

المرحلة الثالثة: منذ استقلال الجزائر واستكمالا لعملية شُرِع فيها منذ ثلاثة أرباع قرن من الزمن الهجرة أفضت إلى تشكل شريحة من الجزائريين المتوطنين بفرنسا تتميز بالاستقلال النسبي عن المجتمع الفرنسي الذي تجاوره و المجتمع الجزائري الذي تنتسب إليه[3]

حسب هذه الدراسة كل مرحلة من مراحل الهجرة يقابلها نمط سكني معين ضمن النسيج العمراني القروي و كل نمط يتميز بخصائص ترجع أساساً إلى خصائص هذه المرحلة و الأهداف المسطرة من ورائها.

فيما يلي سنحاول نقل خصائص نمط السكن[4] في كل مرحلة :

مسكن المرحلة الأولى : هو المسكن التقليدي بخصائصه، مكوناته و وظائفه التي تطرقنا إليها في المطلب الأول من هذا القسم. حيث أن طبيعة الهجرة في هذه المرحلة لا تسمح بإجراء أي تعديل أو تغيير في نمطية السكن الريفي كون الأعراف تفرض على المهاجر التأقلم مع النسق السلوكي التقليدي و إخفاء كل مظاهر سلوكيات العالم الذي كان مهاجراً فيه. هذه المرحلة و إن كان تأثيرها لم تظهر تجلياته على السكن الريفي إلا أنها شكلت مقدمة لا بد منها لتحولات معمارية مسته في مراحل لاحقة.

مسكن المرحلة الثانية: هدف المهاجر في هذه المرحلة هو تحقيق مكانة اجتماعية ومهنية معينة معتبرة. هذه النزعة الفرية التي تكونت لدى الجزائريين بفعل الاحتكاك بالعالم الغربي سمحت بتوفير مناخ مناسب لتبني سلوكيات جديدة مغايرة للنمط السلوكي التقليدي.

المساكن في هذه المرحلة تتميز باستعمال مواد جديدة مستوردة في الغالب كما تتميز باستحداث تقنيات إنشائية وتصاميم جديدة و قد قسمت الدراسة هذه المرحلة إلى:

- مرحلة ابتدائية عرف خلالها المسكن نوعا جديدا من التوسع سمي بثاخمت (Thakhamt) .بمعنى أخام صغير و هي غرفة يتم بناؤها في احد الجوانب من ساحة الحارة أفراق (Afrag). من الناحية الوظيفية ثاخمت تختلف عن أخام كونها أحادية الاستعمال فهي مخصصة لنوم العائلة

[1] - Idem,
[2] - Ibid.
[3] - Ibid.

[4] - عن الدراسة التي سبق ذكرها بشيء من التصرف ص-ص 111-121.

النووية التي لا طال ما ضلت الأعراف و القوانين التقليدية تقاوم أي محاولة لبروزها أو استقلالها عن العائلة الموسعة الخاضعة للسلطة الأبوية.

- مرحلة متقدمة: يتميز مسكن المهاجر فيها بأبعاد معتبرة مقارنة بما حوله من مساكن تقليدية و هو غالباً ما يتضمن طابقًا أرضياً و طابقاً علوياً و كل المواد المستعملة في إنجازه حديثة. من الناحية الوظيفية المسكن مصمم بحيث كل فضاء يتخصص في استيعاب وظيفة معينة واحدة (المطبخ، غرف النوم، الحمام، دورة المياه، غرفة الاستقبال...الخ.). رغم الطابع الدخيل للمسكن في هذه المرحلة إلا أن المهاجر يفضل البناء في النسيج العمراني القديم إلى جانب مسكن العائلة الموسعة و لعل ذلك يعود إلى طبيعة العلاقات العائلية التي لا تزال قائمة بين المهاجر وعائلته الموسعة.

مسكن المرحلة الثالثة: يمكن اعتباره من الناحية الاجتماعية النتيجة النهائية لعملية الانقسام التي مست العائلة الموسعة التقليدية، حيث أن سلطة هذه الأخيرة عرفت تراجعاً كبيرا مع مرور الزمن و تأثير عوامل التحول المختلفة عليها. تموقع المسكن في هذه المرحلة عادة ما يكون خارج النسيج العمراني التقليدي بمحاذاة الطريق العمومي. هذا التوجه العمراني أدى مع مرور الوقت إلى تضاؤل المساحات الزراعية التي كانت في السابق أهم مصادر الإنتاج الزراعي المحلي.

المسكن في هذه المرحلة و كأنه على قطيعة مع النسيج العمراني التقليدي كونه يشكل وحدة مستقلة بذاته وجدران الإحاطة (Murs de Clôtures) الدائرة به أكبر ما يؤكد ذلك. من الناحية العمرانية يتميز مسكن المهاجر في هذه المرحلة بما يلي:

- حجم أكبر من مساكن المرحلتين السابقتين.
- استعمال أكبر لمواد البناء و التقنيات الحديثة.
- عادة ما يتكون من طابقين فأكثر.
- تخصيص الوظائف للفراغات الداخلية المكونة له (المطبخ، غرف النوم، الحمام، المرآب، غرفة الاستقبال،...إلخ).
- الربط بين الفراغات المكونة للمترل عمودياً بالسلم (Escalier) و أفقياً بالرواق (Couloir).
- عادة لا يوجد أي أثر للساحة (أفراق) في تصميمه.
- الطابق الأرضي عادة ما يستغل كمحلات تجارية، ورشات أو مرآب.

هذه الدراسة تفسر إلى حد ما تطور السكن الريفي في منطقة أيث وغليس و غيرها من المناطق التي تتميز بظروف مماثلة اجتماعيا، اقتصاديا و طبيعياً. لكن الاعتداد بها يقتضي أن تكون كل المساكن في

المرحلتين الثانية و الثالثة ملك لمغتربين يعملون في فرنسا وهو ما لا يمكن الجزم به بالنسبة لمنطقة أيث وغليس أو غيرها من المناطق القبائلية. حيث تتفاوت نسبة المهاجرين من منطقة إلى أخرى. كما أن سكان القرى من غير المهاجرين لهم شأنهم كذلك في التحولات المجالية القروية.

في ذات السياق، موجة الهجرة الجديدة التي ذكرناها في معرض الحديث عن عملية تشكل و تحول المجال العمراني لقرية منادس؛ إذا احتملنا أنها مست كل القرى القبائلية الجبلية فإنها قد تؤدي إلى توجه جديد في عملية تشكل و تحول المجال القروي في هذه المناطق بل قد تعيد صياغة العلاقة بين القرية والمدينة وذلك من المستجدات التي لم تشملها هذه الدراسة.

الدراسة الثانية عنوانها: *من أجل نهـــج جديد للتحـــكم في نمو التوطـــنات البشرية، حالة قرية جبليـــة (Pour une nouvelle gestion de la croissance des établissements humains, Exemple d'un village de Montagne)* وهي من إعداد أيس عمار و تحت إشراف الأستاذة شابي-شمروك.ن.

منهجية هذه الدراسة مستقاة من المدرسة المرفولوجية الإيطالية[1] التي يتصدرها كل من المهندس المعماري صافريو موراطوري (Saverio Muratori) و مساعده جيوفرنكو كانيجيا (Gianfranco Caniggia). تعتمـــد هذه المدرســـة على الدراسة التحليليـــــة التاريخية للتوطن البشري في مجـــال (Territoire) معين بهدف استخلاص مراحله و آلياته و ذلك كمرحلة تمهيدية لجمع المعلومات اللازمة لاقتراح مشاريع عمرانية و معمارية تندمج و تتكامل شكلاً و مضمونا مع النسيج العمراني القائم.

يشكل النمط السكني في هذه المدرسة أحد أهم المفاتيح التي يتم بها فهم عملية تشكل و تحول المجال العمراني و هي تعرِّفه ب « *مجمـــوعة المبـــــادئ الـــتي تترســـخ مـــن خـــلال التجـــربة الإنشـــائية (Expérience constructive) و هو مجموعة المعارف التطبيقية المتجذرة على شكل مجموعة من التقاليـــد المجـــربة الـــتي تتمـــيز بطبيعتها الجامعة (nature synthétique) أي أن مختـــلف المهـــن (Savoir faire) المكونة لها لا تتناقض عند الإنجاز النهائي*»[2]

حسب أيس عمار[3] في حالة المجال القروي القبائلي أخام (Axxam) يشكل الخلية الأساسية التي تُكوِّن مع أفراق (Afrag) وحدة مجالية سكنية (الحارة l'Hara) التي تتميز بالتماثل و التقارب

[1] - أهم مرجع مترجم و متوفر حول منهجية هذه المدرسة هو الكتاب التالي:
Sylvain Malfroy, *L'approche Morphologique de la ville et du territoire*, Architekturableilung. Geschichte destädlebans, Zurich, 1986, 228 P.

2 - AIS Amar, *Pour une nouvelle gestion de la croissance des établissements humaines : exemple d'un village de montagne*, mémoire de magistère en urbanisme, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme à Alger 2003, P92.

[3] - AIS Amar, Pour une nouvelle gestion de la croissance des établissements humains : exemple d'un village de montagne, mémoire de magistère en urbanisme, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme à Alger 2003, P93.

في الشكل و الإبعاد على مستوى القرية الواحدة بل على مستوى قرى منطقة القبائل ككل و من أهم خصائصها الأكثر تقاسماً نجد الميزتين التاليتين:

- توضع أخام بشكل قائم بالنسبة إلى منحنيات التسوية الأمر الذي ينتج عنه دائما النقيضين : أعلى / أسفل.
- محور الدخول إلى الحارة لا يتطابق أبدا مع محور الدخول إلى أخام بهدف الحفاظ على الخصوصية (الحرمة l'intimité).

و هكذا فإن الحارة يمكن اعتبارها نمطا سكنيا على ضوء تعريف المدرسة المرفولوجية.

و حسب نفس الدراسة المقاييس النمطية (les Normes Typiques) يمكن أن تنشئ عنها أنماط أخرى و ذلك بتضاعف الوحدة السكنية الأســـاسية (أخـــام) على مستـــوى قطـــعة الأرض (la parcelle)[1] انظر الشكل رقم (57) لوحة رقم (43).

من جهة أخرى و في معرض الحديث عن تطور السكن الريفي في منطقة القبائل تشير ذات الدراسة إلى المراحل الأربعة التالية[2]:

المرحلة الأولى: أين مس التحول فقط أسلوب استعمال الفراغات الداخلية للمسكن التقليدي مع بقائه كوحدة سكنية أساسية و هكذا فإن:

- أدينين الفضاء المخصص للحيوانات أصبح مكاناً للتخزين أو الطبخ في الشتاء لكن افتقاده لأدنى مستويات الإضاءة و التهوية يُصعِّب فيه القيام بأي نشاط فيه.
- ثاعريشث الفضاء المضاء نسبياً رغم أبعاده الصغيرة حولت إلى غرفة للبنات أو تم تخصيصها لتخزين الأشياء المختلفة كالملابس، الأغطية، الحلي...الخ.
- ثاقعت أصبحت مجالا ضيقا بسبب إدراج الوسائل و التجهيزات المنزلية الحديثة كالتلفاز، الخزانة، الطاولة،السرير و الكراسي.

و بالتوازي مع هذه التحولات التي عرفها أخام. أفراق من جهته عرف بناء عدة ملاحق للمنزل من بينها بئر السلم (Cage d'escalier)، غرفة للابن الأكبر، مخزن الماء ...إلخ.

تحولات هذه المرحلة إذن أخذت شكل تغير وظيفي للفراغات الداخلية من جهة و تكثيف بناء الحارة من جهة أخرى.

[1] - هذا النوع من التطور يمكن إدراجه في إطار التحولات التي تخضع للقواعد التقليدية لتوسع النسيج العمراني القروي.

[2] - AIS Amar, Pour une nouvelle gestion de la croissance des établissements humaines … P-P 105 - 112

لوحة رقم (43)

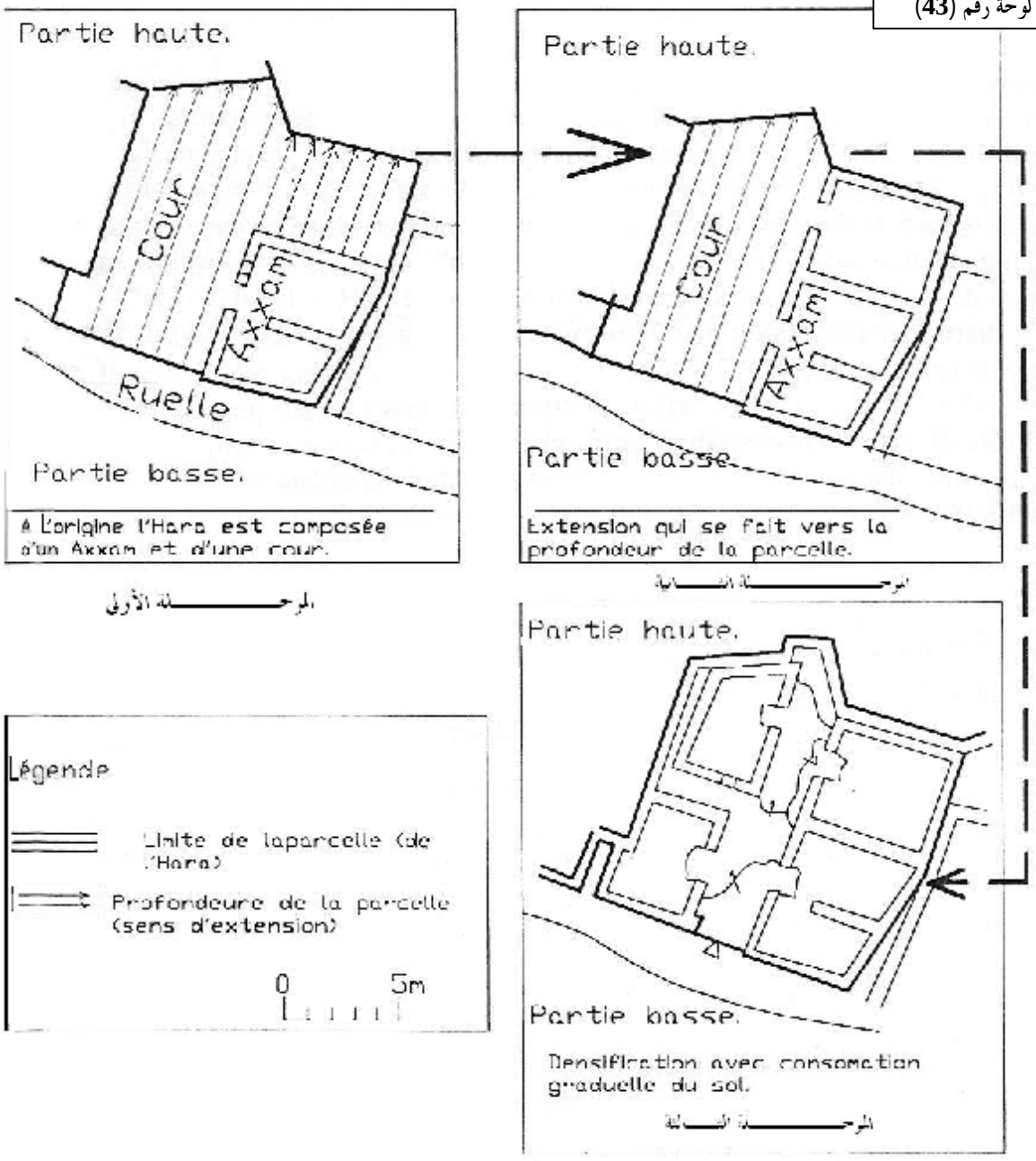

شكل رقم(57) : رسم توضيحي لعملية التوسع الأفقي للمسكن التقليدي القبائلي

Source : AIS Amar, Pour une nouvelle gestion de la croissance des établissements humaines : exemple d'un village de montagne, mémoire de magistère en urbanisme, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme à Alger 2003, P77.

المرحلة الثانية: تحت الضغط المتزايد للنمو السكاني بدأت تظهر تحولات جديدة على مستوى المنزل فبعد تخطي مرحلة التغيير الوظيفية للفراغات الداخلية و تكثيف النسيج العمراني التقليدي ببناء ملاحق مختلفة في ساحة الحارة (أفراق)، بدأ السكان يتوجهون نحو التوسيع العمودي للمنازل ببناء غرفة أو أكثر و ربطها بالطابق الأرضي بواسطة سلم حيث أصبح ذلك متيسرا باستحداث هيكل الخرسانة المسلحة المتكون من أساسات، أعمدة و عوارض. نمط السكن التقليدي في هذه المرحلة لم يعد قادرا على استيعاب احتياجات مستعمليه و تطلعاتهم مما حتم عليهم البحث عن الحلول التي تناسبهم في نمط سكني دخيل.

المرحلة الثالثة: خصائص النمط السكني الجديد الذي حل محل الحارة في هذه المرحلة تتلخص في بناء أحادي الحجم (Monobloc) يشغل قطعة الأرض (la parcelle) بشكل كلي بل قد يتعداها باللجوء إلى الشرفات التي يحاول بها القرويين تخطي حدود ملكيتهم إلى الملكية العمومية المتمثلة في الزقاق (أزنيق) الذي أصبح ضيقا، رطبا و مظلماً بتزايد مثل هذه التجاوزات.

تبعات اللجوء إلى النمط السكني الجديد هذا تتجلى كذلك فما يلي:

- تغيير شامل في أبعاد جميع مكوناته و أركانه.
- النوافذ التي أصبحت أبعادها كبيرة عادة ما تظل مغلقة طوال الوقت، كما أن استعمال الشرفات نادراً جداً.
- استبدال باب المدخل التقليدي الخشبي و المزين بنقوش رمزية بباب حديدي.

هذه التغيرات و غيرها ساهمت في إعادة صياغة المظهر العمراني للقرية بتحويله من نسيج متجانس إلى نسيج غير متجانس، حيث أصبح تأثير الفرد من خلال بناء المسكن يطغى على تأثير الجماعة التي كانت في السابق تصد أي محاولة للخروج عن النمط السائد.

المرحـــلة الرابعـــة: الـــبنيـــة المجـــالية للقـــرية التقليدية بـــعد أن تشبـــعت بـــدأت فـــي الانفجار (éclatement de la structure villageoise traditionnelle) وذلك نتيجة حتمية لتنامي تأثير بعض العوامل الخارجية التي يمكن حصرها:

- أولاً في دور السلطات العمومية التي شرعت في تطبيق وسائل التعمير الحديثة على المجال القروي توازياً مع انجازها للعديد من المرافق و البنى التحتية.
- ثانياً دور القرويين و خصوصاً المهاجرين منهم الذين تغير توجههم فيما يخص نمط السكن نتيجة احتكاكهم بالأوساط الحضرية.

انفجار البنية العمرانية للقرية التقليدية يتجلى من خلال عدة مظاهر نذكر منها ما يلي:

- اضمحلال مكونات البنية التقليدية حيث لم يعد لمجلس العقلاء (ثاجماعث) الدور المحوري الذي كان يلعبه في السابق نتيجة لظهور أماكن بديلة للتلاقي و التبادل بين القرويين. العين (ثالة) التي كانت مصدر الماء الرئيسي و تلعب دور ثاجمعث بالنسبة للنساء اختفت و تلاشى دورها باستحداث شبكات الماء الشروب و إيصال الماء إلى المنازل.
- هراركية المسالك التي كانت في السابق منتظمة بحيث يتم الانتقال عبرها من المجال العام إلى المجال الأقل عمومية إلى المجال الخاص إلى المجال الأكثر خصوصية بشكل سهل و واضح أصبحت بفعل التحولات المتعاقبة مختلة على مستوى القرية و داخل القرية.
- انتشار نمط السكن المسمى حديثًا داخل النسيج القروي القديم و خارجه بمحاذاة الطرق العمومية أصبح يطرح مشاكل عدة منها : التعدي على الزقاق و تحويله إلى نفق مظلم ورطب بدون تهوية كافية، مشكل فقدان الخصوصية (Vis à vis) و مشكل استهلاك الأراضي الزراعية.

من خلال المراحل السابق خلص أيس عمار في مبحثه عن تطور السكن الريفي في قرية أيث علي امحند القبائلية و الجبلية[1] إلى أن هناك تناقض بين نمط تشكل و تحول النسيج العمراني التقليدي و النمط المسمى حديثا و ذلك يظهر من خلال زحف هذا الأخير على أركان النسيج القديم. كما يظهر ذلك في مستوى أوسع عند الأخذ بعين الاعتبار للعلاقة بين نمط السكن و مرفولوجية (شكل) القرية التي هي الآن في طريق الزوال كحلقة ربط بين المسكن و الإقليم (Territoire).

إذا ما قارننا بين منهجية الدراستين السابقتين نجد أن الدراسة الثانية تمتاز بشمولية أكبر من الأولى بكونها اعتمدت على معايير أكثر موضوعية لتكوين مفهوم للنمط السكني كما أنها أكثر دقة من حيث تتبع مراحل عملية تشكل وتحول المجال العمراني القروي.

على ضوء الدراستين السابقتين سنحاول بدورنا إعطاء صورة عن عملية تطور السكن الريفي في منطقة بني ورثيلان و ذلك من خلال دراسة حالة مسكن العائلة (ك.ب) الذي اخترناه كعينة من بين مساكن قرية منادس.

3-2 عملية تشكل و تحول السكن الريفي بمنطقة بني ورثيلان دراسة عينة.

مسكن العائلة (ك.ب) تم اختياره كونها سيمكننا من متابعة مراحل عملية التحول بشكل واضح ومتتابع حيث أن العائلة انتقلت في كل مرحلة إلى مسكن جديد؛ اللوحات (44)، (45)، (46) و (47)

[1] - بولاية تيزي وزو.

تضم مخططات و صور للمنازل التي سكنتها هذه العائلة أو لا تزال تعيش فيها. فيما يلي سنتناول كل مسكن كمرحلة قائمة بذاتها مع محاولة الإحاطة بمجمل الظروف التي رافقت انجاز كل منها.

أ. المرحلة الأولى: في هذه المرحلة مسكن العائلة (ك.ب) يقع ضمن النسيج العمراني التقليدي لقرية منادس و تتجلى فيه كل مكونات و مميزات النمط السكني التقليدي (وحدتين من أخام بأقسامه الثلاثة أدينين،ثاعريشث و ثيغرغرث ، أفراق بالإضافة إلى أسقيف) انظر اللوحة رقم (44). إلى غاية 1962م هذا المسكن كان يتضمن فقط وحدة أخام مضاعفة، أفراق، أسقيف بالإضافة إلى ملحق خاص بإيواء الحيوانات عند الحاجة؛ تغير الظروف الاجتماعية للعائلة بعد الاستقلال بانضمام فردين منها إلى صفوف المغتربين في فرنسا سمح لها بتوفير الدخل اللازم لتوسيع الحارة ببناء فضائين جديدين في أحد جوانب أفراق وهما ثاخمت[1] و ثاغرفت[2] . إلى غاية 1978 م ظلت عائلة (ك.ب) تسكن هذا المترل[3] الذي ساهمت في انجازه ثلاثة أجيال متعاقبة.

ب. المرحلة الثانية: انتقلت العائلة (ك.ب) إلى مسكن جديد يمكن أن نسميه انتقالياً لكونه يتضمن خصائص من النمط التقليدي و خصائص جديدة. بنيته العامة قريبة من بنية النمط التقليدي فهي تتضمن ثلاث وحدات بنائية (Blocs) تنفتح على ساحة مركزية (أفراق)، الوحدة الأولى تتكون من ثلاث غرف (ثخامين جمع تاخمت) و مدخل المترل (أسقيف). الوحدة البنائية (Bloc) الثانية التي تقابلها تتكون من مرآب (Garage) ، و غرفتين، الوحدة البنائية الثالثة تتوسط الأولى و الثانية و تضم كل من المطبخ، دورة المياه، و الإسطبل[4] . للمسكن مدخلين أحدهما رئيسي انطلاقا من المسلك المؤدي إلى النسيج العمراني التقليدي للقرية و الآخر ثانوي من جهة المرآب الذي ينفتح عل الطريق البلدي انظر اللوحة رقم (45) . أبعاد نوافذ و أبواب هذا المترل أكبر مما كانت عليه في المترل التقليدي و كلها تنفتح على المجال المركزي (أفراق) ما عدا نافذة واحدة تنفتح على حديقة بجانب المترل من جهة المسلك المؤدي إلى القرية القديمة[5]. التقنية و المواد المستعملة في انجاز هذا المسكن تختلف من وحدة بنائية (Bloc) إلى أخرى حيث بنيت جدران الوحدة الأولى بمزيج من الحجارة و الطين بينما أنجز سقفها بهيكل خشبي وغطاء من قرميد غير محليين. في الوحدة البنائية المقابلة من المترل نجد الجدران مبنية بمزيج من الأحجار و المـــلاط

[1]- أي أخام صغير يتكون فقط من ثغرغرث فقط خاص بالعائلة النووية لأحد أفرادها المغتربين.

[2]- أي غرفة صغيرة وهي توسيع عمودي لثاخمت يتم الوصول إليها من أفرق بواسطة سلم خارجي .انظر اللوحة رقم(35) صورة رقم(41) .

[3] - وهو حالياً يشهد حالة متقدمة من التدهور بفعل عوامل مختلفة (الزمن، المناخ، الإهمال...الخ.)

[4] - هنا الحيوانات لم تعد تؤوى إلى نفس الفراغ مع الإنسان.

[5] - حفاظا على الخصوصية (L'intimité) فإن هذه النافذة عادة ما تظل مغلقة.

لوحة رقم : (**44**)

شكل رقم (58) : مخطط يبين موقع حارة العائلة (ك.ب) ضمن النسيج العمراني القديم لقرية منادس

صورة رقم (50): مدخل المسكن الأول (التقليدي) للعائلة (ك.ب)، على اليسار يظهر كلٌ من ثاخمـــت و ثاغرفت .

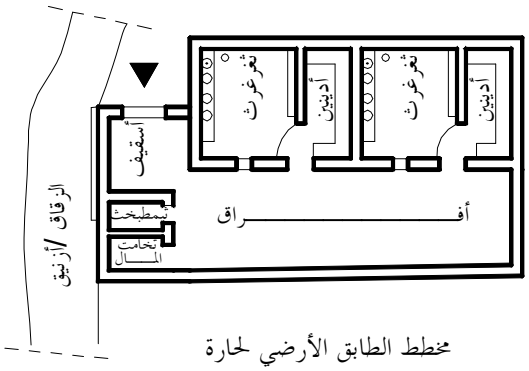

مخطط الطابق الأرضي لحارة العائلة (ك.ب) قبل 1962

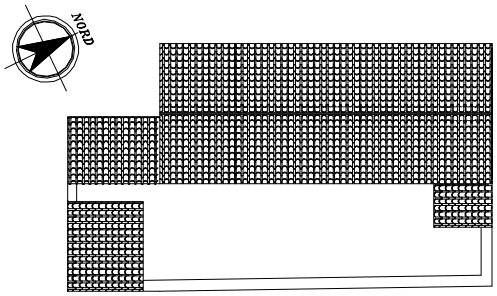

مخطط الســـــــــطوح لحارة العائلة ك.ب) بقرية منادس قبل الاستقلال)

1م 5م

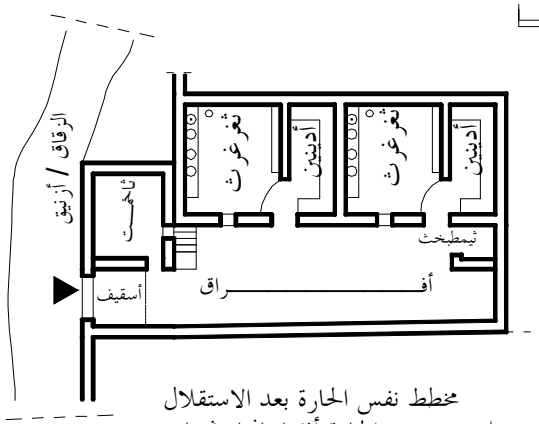

مخطط نفس الحارة بعد الاستقلال
تم تعديل و توسيع الحارة أفقيا بإنجاز ثخامت و تغير مكان كـــل اسقيف و ثيمطبخث (المطبخ.

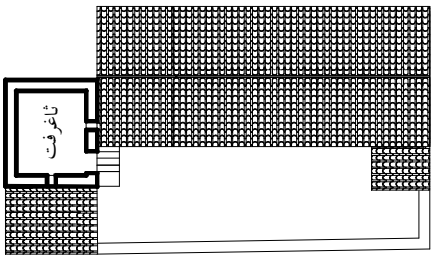

مخطط السطوح لحارة العائلة (ك.ب) بعد الاستقلال
تم تتوسيع الحارة أفقيا بإنجاز ثغرفت و ربطها بأفراق بواسطـــــة سلـــــم خارجـــي

شكل رقم (59) : مخططات تبين تطـــــور المسكن التقليدي للعائلة (ك.ب)

لوحة رقم (45)

صورة رقم(51):
المدخل الرئيس للمنزل الثاني للعائلة (ك.ب) بقرية منادس

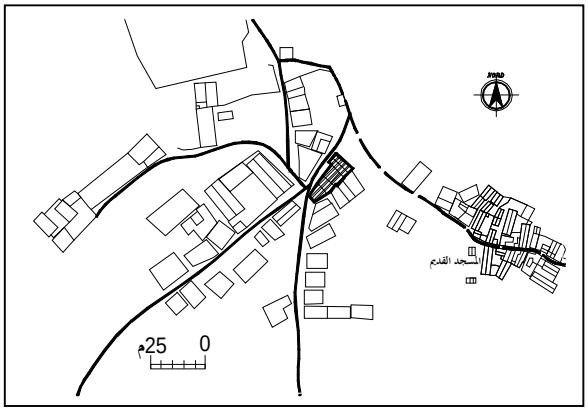

شكل رقم (60): موقع المسكن الثاني لعائلة (ك.ب) ضمن النسيج العمراني لقرية منادس

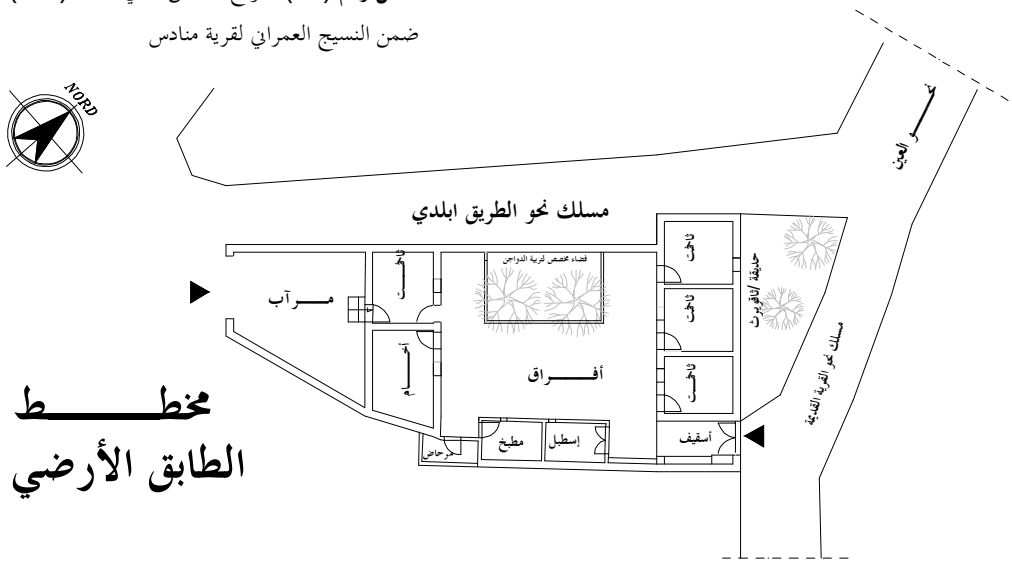

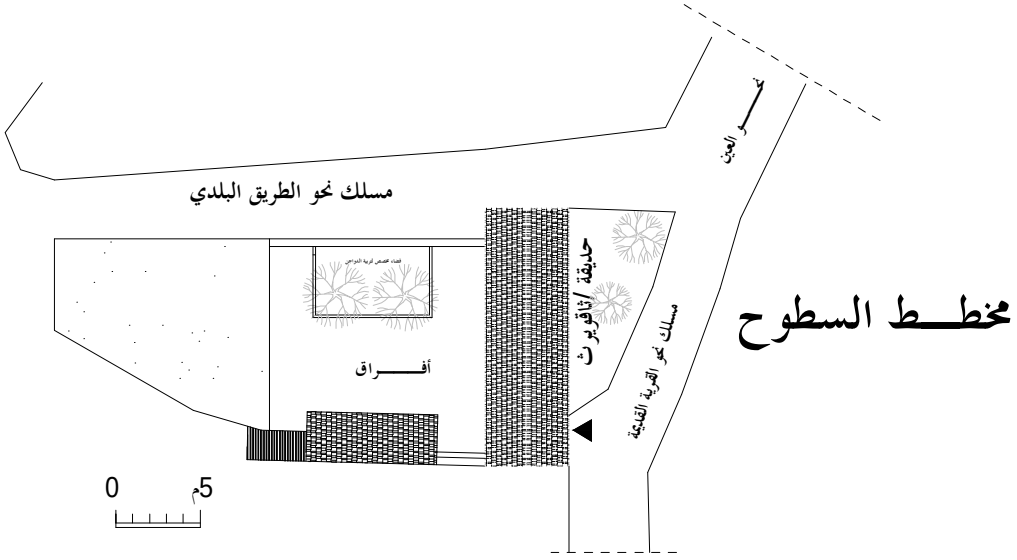

شكل رقم (61) : مخطـــــطات المســـكن الثاني لعائـــــلة (ك.ب) بقرية مـــنادس.

(Mortier) الإسمنتي و هي مدعمة بهيكل من الخرسانة المسلحة (أساسات + أعمدة + عوارض) بينما يختلف غطاؤها تماما عن غطاء الوحدة الأولى إذ تم إنجازه بتقنية السطوح المشغولة ذات اللبنات الجـــوفاء (Plancher en corps creux) الموضوعة بين روافد صغيرة من الفولاذ (Poutrelles Métalliques) و المغطاة ببلاطة الانضغاط (Dalle de compression) من الخرسانة المسلحة[1].

الوحدة الثالثة استخدمت في انجازها تقنية هيكل الخرسانة المسلحة (Structure en béton armé avec poteaux et poutres) و أنجزت جدرانها باستخدام الآجر الأحمر بينما استخدمت في إنشاء سقفها التقنية المستعملة في الوحدة البنائية الأولى. الساحة المركزية (أفراق) للمسكن تم تهيئة جزء من أرضيتها بطبقة من الخرسانة و تحديد الجزء المتبقي بسياج حديدي و تخصيصه كفضاء لتربية الدواجن[2].

مما سبق تأكدنا أن المسكن الثاني للعائلة (ك.ب) يتضمن مزيج متكامل من الخصائص و العناصر المعمارية التقليدية و الحديثة.

ت. المرحلة الثالثة: يشغل المسكن الذي انتقلت إليه [3] العائلة (ك.ب) في هذه المرحلة جانب من قطعة أرض واسعة تقع خارج النسيج القديم قرب مسكن المرحلة الثانية و على أحد حواف الطريق البلدي انظر الشكل رقم (62) لوحة رقم (46). الجزء غير المبني من هذه القطعة محاط بجدار من الطوب علوه 2,5م هذا الأخير مزود بثلاث مداخل (Accès) أحدها مخصص لدخول العربات و الثاني أنجز بهدف اختزال المسافة نحو العين (ثالة) أما الثالث فيمكن اعتباره الباب الرئيسي كونه الأقرب من المسكن . هذا الأخير ينفتح على مسلك ثانوي يربط الطريق البلدي بمجموعة من المساكن حديثة النشأة يطلق عليها حي بومنصور. مسكن هذه المرحلة يحمل بعضٌ من الخصائص العمرانية التقليدية التي تتلخص في :

- انفتاح المسكن على فضاء تابع له (الحديقة في هذه المرحلة).
- تقسيم الطابق الأرضي[4] إلى ثلاث فراغات مستقلة كلٌ منها يسمى أخام و هذا يذكرنا بأخام في المرحلة الأولى (التقليدية).

عدا ما سبق ذكره يمكن اعتبار المسكن حديثاً في كل خصائصه الإنشائية، الوظيفية و الشكلية، فهو يتكـــون من وحـــدتين (Bloc) منتظـــمتين عـــلى شـــكل حـــــرف (L) الوحدة الكـــــبرى

[1] - حسب بعض الروايات الشفوية هذا السقف هو الأول من نوعه في القرية ككل.
[2] - غرس شجرتين في هذا الجزء من أفراق يساهم كثيرا في تلطيف الجو خلال موسم الحر.
[3] - شرع في إنجازه خلال الثمانيات من القرن الماضي و تم انجازه في بداية التسعينات.
[4] - للوحدة البنائية الكبرى.

لوحـــــة رقم (46)

شكل رقم (62): مخطط موقع المسكن الثالث لعائلة (ك.ب) ضمن النسيج العمراني لقرية

صورة رقم (52) : واجهة المســـكن الثالث لعائـــــلة (ك.ب) من داخل الحديقة.

لوحـــــة رقم (47)

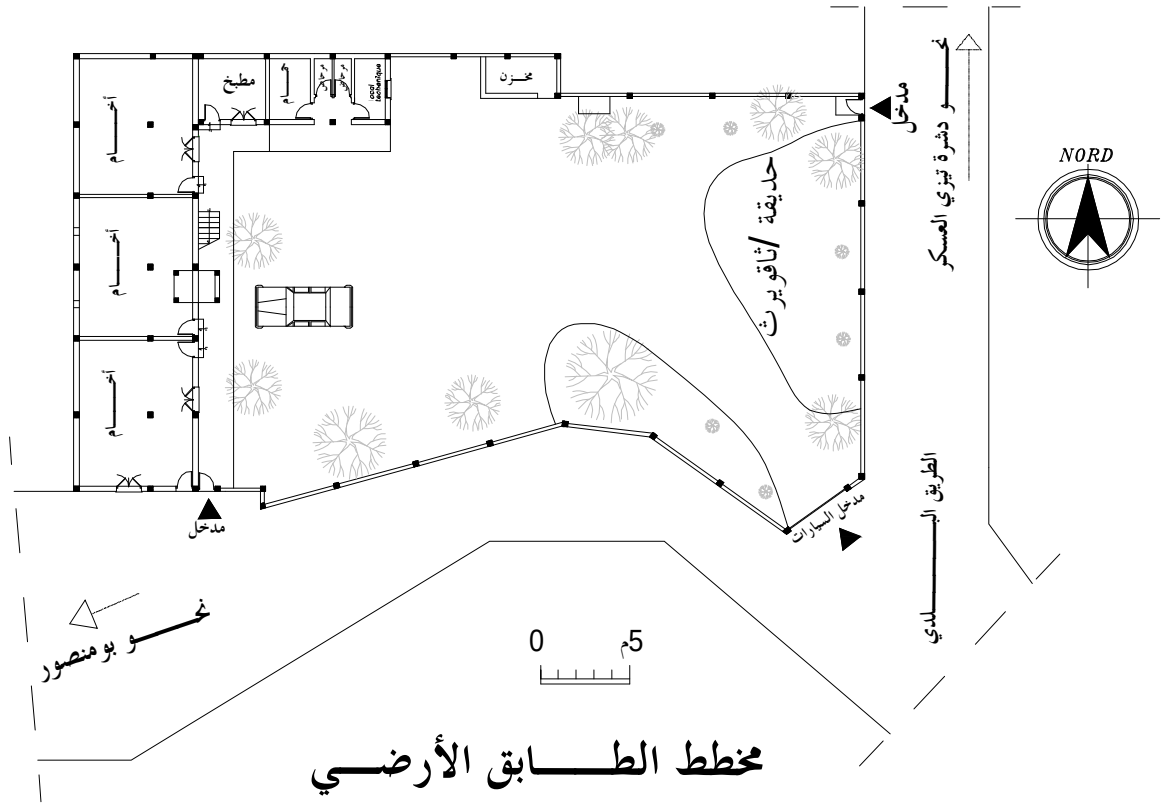

مخطط الطـــــابق الأرضـــي

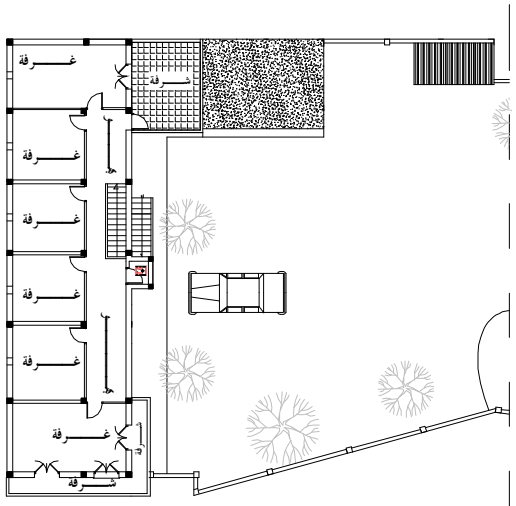

مخطط الطـــابق الأول

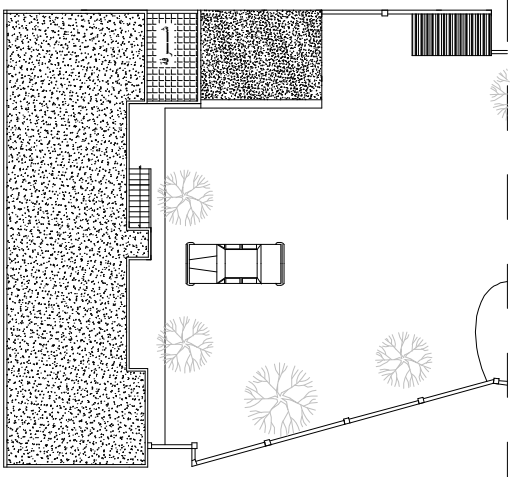

مخطط الســـــطوح

0 5م

شكل رقم (63) : مخطـــــطات المســـكن الثالث لعائـــــلة (ك.ب) بقرية.

تتكون من طابقين بينما تتكون الوحدة الصغرى من طابق واحد. و معظم الفراغات في كلاهما مخصصة الوظائف باستثناء الفراغات المكونة للطابق الأرضي من الوحدة الكبرى المتكون مت ثلاثة إخامن (جمع أخام) التي تستغل لأغراض مختلفة. التقنيات و المواد المستعملة في إنجازه كلها حديثة و لا علاقة لها بنمط الإنجاز التقليدي. انظر اللوحتين رقم (46) و (47).

هذه المرحلة إذن تشكل خطوة أخرى نحو التجرد من خصائص الأسلوب التقليدي في السكن حيث لم يبقى منها عالقا سوى الهيئة العامة (الثنائية مَبْنَى و فراغ تابع له) و هذا التجرد يكرس ارتباط القرويين بالعالم الخارجي فيما يتعلق بمواد البناء و الطاقة (الكهرباء و الوقود المترلي) بعد أن كانوا فيما سبق يتمتعون باكتفاء ذاتي نسبي فيما يتعلق بهما.

ث. المرحلة الراهنة : منذ حوالي عام ونصف العام شرعت العائلة (ك.ب) في إنجاز المسكن الرابع لها انظر اللوحتين رقم (48) و (49) و الصورة رقم (55) ؛ هذه المرة بمحاذاة الطريق الوطني رقم 74 على بعد حوالي 3كم من قرية منادس و قبل ذلك بعامين انتقل أحد أفرادها بأسرته إلى العاصمة ليستقر في مسكنها الذي أنجزه في أحد أحيائها الضاحوية (انظر الصورة رقم (56) لوحة رقم (50)). بالتوازي مع إنجاز المسكن الرابع للعائلة شرع أحد أفرادها في بناء مترل خاص - تحضيرا للانفصال بأسرته - على أنقاض أحد المساكن التقليدية في النسيج العمراني القديم. انظر الصورة رقم (54) لوحة رقم (50). المساكن الثلاث كلها من النمط الحديث و نادراً ما نلحظ فيها أحد الخصائص التقليدية[1] حيث اتُبِع في تصميم كل منها أسلوب شقة (Appartement) في كل طابق.

هذه المرحلة تمثل نقلة نوعية في عملية تشكل و تحول المجال العمراني القروي في المنطقة[2] حيث أصبح معظم القرويين يتجهون نحو بناء مساكنهم بعيدا عن القرية الأم في المدن أو على جوانب الطرق الرئيسية. ولعل أهم ما يدفعهم إلى ذلك هو الاقتراب من أقطاب النشاط الاقتصادي و أماكن توفر الخدمات العمومية المختلفة.

بهذه العينة الحية نكون قد أعطينا فكرة عامة عن جوانب وحيثيات تطور السكن الريفي في منطقة بني ورثيلان منذ منذ الاستقلال إلى يومنا هذا.

[1] - الميزة التقليدية الوحيدة التي أعيد توظيفها هي الثنائية مبنى و فضاء محدد تابع له (أفراق) وهذه الأخيرة و حدها فقط في المسكن المنجز على أنقاض في النسج العمراني القروي القديم.

[2] - لا نعرف إلى أي مدى يمكن تعميم هذه النتيجة على مستوى منطقة القبائل.

لوحـــــــة رقم (48)

صورة رقم (53): صور ة مأخوذة بالصاتل على المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية لجبل بوموسى، و هي تبرز موقع المنزل الرابع للعائلة (ك.ب) على جانب الطريق الوطني رقم 74 ضمن التجـــــــمع العمراني الحديث بألقراج (إغرمان).

Source : Google Earth, visiter le lundi 6 novembre 2006, 7:51:22

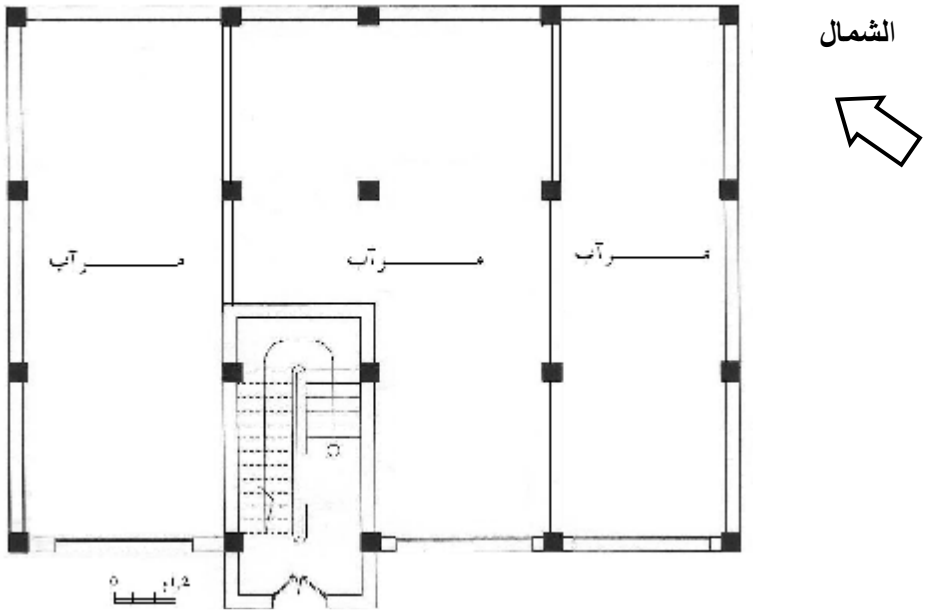

شكل رقم (64) : مخطط الطابق الأرضي للمسكن الرابع للعائلة (ك.ب) بقرية منادس

لوحـــــة رقم (49)

الشمال

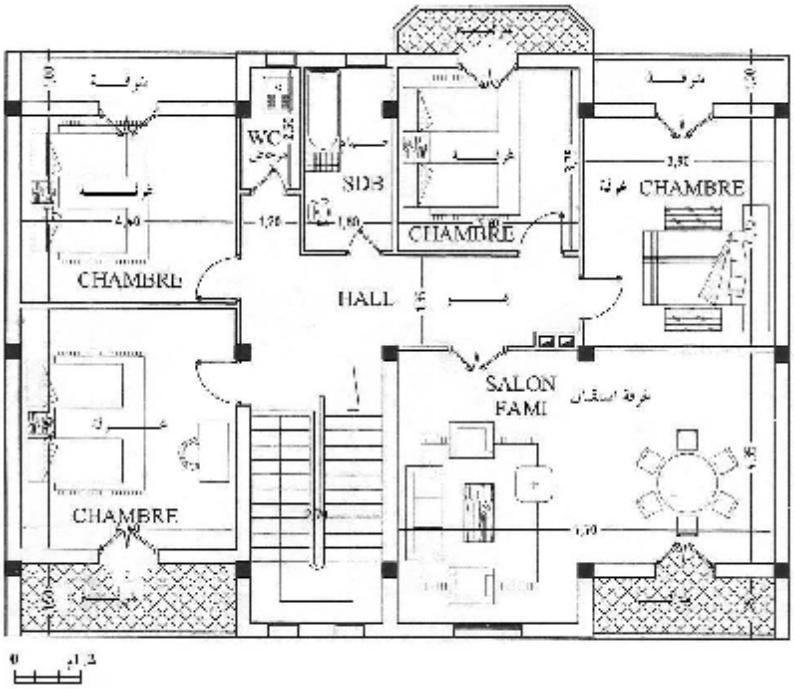

شكل رقم (65): مخطط الطابق الأول للمسكن الرابع للعائلة (ك.ب)

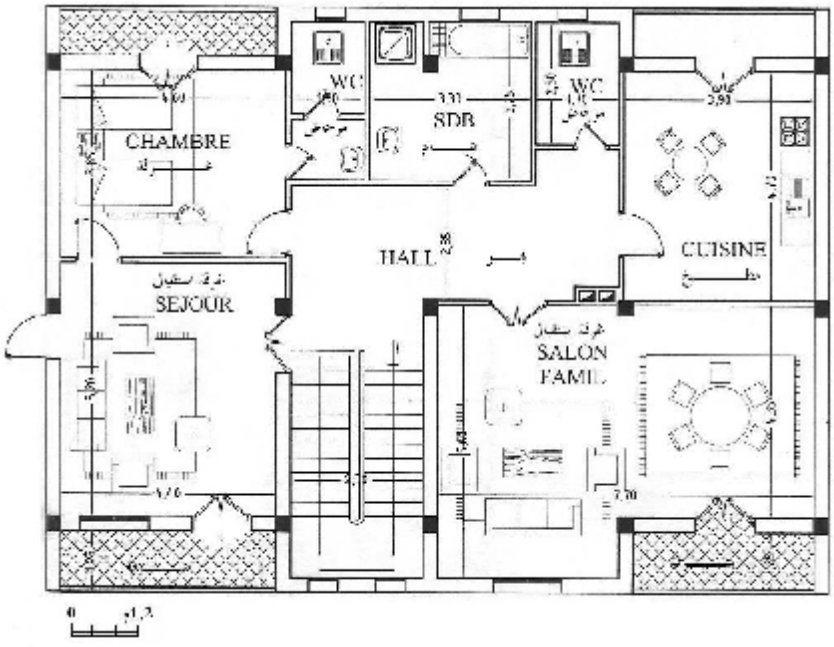

شكل رقم (66): مخطـــــــط الطـــــابق الثاني للمسكن الرابع للعائلة (ك.ب)

لوحة رقـــــم (50)

صورة رقـــم (54) : واجهة مترل العائلة النووية المنفصلة عن العائلة (ك.ب) ضمن النسيج العمراني بقرية منادس

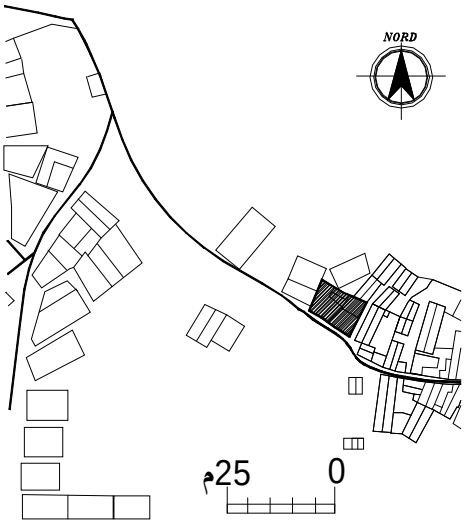

شكل رقم (67) **موقع مترل العائلة النووية المنفصلة عن العائلة ك.ب ضمن النســـيج العمراني لقرية منادس**

صورة رقـــم (55) : واجهة المترل الرابع لعائلة (ك.ب) الواقع بالتجمع العمراني ألقراج بإغـــــــــــــرمان

صورة رقـــم (56) : واجهة مترل العائلة النووية المنفصلة عن العائلة (ك.ب) في حي علي صادق 2 ، بلدية برج البحري بالعاصمة.

خلاصـــة القـــــسم

منطقة بني ورثيلان قبل الاحتلال الفرنسي كانت خاضعة لسيطرة (06) ستة[1] من القبائل القبائلية التي كانت تضم أعداد متباينة من القرى و المداشر. في هذه المرحلة كل مظاهر التوطن البشري كانت تقليدية و ليس هنالك أي أثر لمظاهر الحضارة الأوربية؛ وما يستدعي الذكر هو السوق الأسبوعي بالجمعة الذي احتل مكانة هامة ضمن شبكة الأسواق التقليدية في ذلك الوقت و الدور الريادي الذي لعبته المنطقة في مجال التعليم الديني لما عرفته من انتشار واسع للزوايا و المدارس القرآنية.

مجيء الاستعمار اصطحب معه عوامل متعددة ساهمت بشكل تدريجي في إحداث تحولات عميقة في شتى المجالات أثرت على علاقة الإنسان بالوسط الذي يشغله ويستغله فالمجال القروي في هذه المنطقة كما هو الحال في سائر مناطق الجزائر تم ربطه بالمدن ومنها إلى البلد المستعمر بهدف إخضاعه للسيطرة من جهة و لاستغلاله من جهة أخرى. الظروف الجديدة هذه فتحت السبيل للقرويين وسهلت عليهم الاحتكاك بالعلم الحضري في المدن الجزائرية و كذا المدن الفرنسية الأمر الذي ساهم كثيراً في تغيير طبيعة سلوكياتهم في شتى مناحي الحياة ليتجسد ذلك في المجال القروي بمكوناته المختلفة (المسكن على وجه الخصوص).

بعد الاستقلال وانفكاك السيطرة على المنطقة شرع القرويون في إعادة صياغة نمط تملك واستعمال المجال بما يتماشى مع احتياجاتهم و تطلعاتهم. من جهة أخرى وانطلاقاً من البنية المجالية التي خلفتها سنوات الاحتلال شرعت الدولة الجزائرية في تطبيق تجاربها التنموية المتعاقبة التي كانت تهدف إلى تطوير المنطقة وفك العزلة عنها وقد تشكلت التقسيمات الإدارية أحد أهم عوامل التحولات المجالية بالمنطقة لما أفرزته من تطورات عديدة في ميدان التهيئة المجالية و العمران.

حالياً تعيش المنطقة من جهة على وقع برنامج الإنعاش الاقتصادي و ما ترتب عنه من مشاريع تنموية في شتى الميادين و من جهة أخرى على وقع موجة الهجرة الجديدة للقرويين إلى وجهات حضرية مختلفة لغرض الاستثمار، العمل و الاستقرار.

[1] - أو سبعة قبائل إذا أضفنا قبيلة بني حماتي

القـــــسم الـــــثاني

مستقبل المجـــــال القروي بين حـــــتمية التـــــغير و آفـــــــاق الترشـــــيد

مقدمـــــــــــة القـــــسم :

استشراف المستقبل على ضوء فهم الماضي والحاضر هو السبيل الكفيل بضمان التطور الإيجابي للتوطنات البشرية في المجال الريفي كما في المجال الحضري وبحثنا في ظاهرة التحولات المجالية القروية يصب في هذا الإطار، إذ لا يمكن تحسين الأوضاع القائمة دون الفهم الكافي لها و للعوامل التي ساهمت في نشأتها.

المختصون في العمران والتهيئة العمرانية والريفية وفي خضم تسارع وتيرة هذه التحولات يجدون أنفسهم بين حتمية مسايرة الواقع والتفكير في بدائل قد تساهم في تحسين الأوضاع القائمة[1]، إذ أن معظم الدراسات الأكاديمية والتطبيقية التي اطلعنا عليها في هذا الصدد تحتوي على جملة من الاقتراحات والبدائل التي تخدم هذا الغرض. غير أن مسؤولية تحسين الأوضاع لا تقتصر على عاتق المختصين بل تخص كذلك كل من له باع من قريب أومن بعيد في عملية التشكل والتحول المجالي، وعليه فإن هذا الإشكال يكتسي بعد حضري.

في هذا الفصل سنخوض في الوسائل والآليات الكفيلة بترشيد التوجه الحالي لتطور المجال القروي بمستوياتها المختلفة (السكن- القرية - الإقليم) كما سنعرج على التساؤلات الجديدة التي تبادرت إلى أذهاننا والتي من شأنها أن تشكل مواضيع بحث في المستقبل، وقبل ذلك سنحاول الإلمام بمجمل خصائص ومميزات التوجه الحالي لتطور المجال القروي على ضوء ما سبق من مباحث من هذه الدراسة، وعلى ضوء دراسات سابقة أخرى.

[1] - ونتكلم هنا عن الأوضاع في الجزائر .

المطلب الأول: خصائص التوجه الحالي لعملية تشكل وتحول المجال القروي:

1-1 تعدد الأطراف الفاعلة وتباين أهدافها:

كما سبق و أن أشرنا المجال القروي التقليدي تشكل نتيجة العلاقة التي دارت بين القرويين و الوسط الذي يشغلونه و يستغلونه بحيث تطورت هذه العلاقة إلى أن أصبحت على شكل مجموعة من التقاليد و الأعراف تسهر هيئة خاصة (ثاجمعث) على تطبيقها و فرض احترامها.

إبان فترة الاحتلال عمل المستعمر على تقويض أركان النسق المجالي التقليدي عبر سلسلة من الإجراءات والقوانين التي ساهمت كثيرا في تفكيك البنية الاجتماعية التقليدية وما قامت عليه من اقتصاد و عمران. شيئا فشيئاً أصبحت سلطات الاحتلال بشقيها المدني والعسكري عنصرا فاعلاً بل متحكماً في معظم ما يتعلق بعملية تشكل و تحول المجال القروي.

بعد الاستقلال عملت الدولة الجزائرية الفتية على استحداث العديد من الهيئات و المؤسسات التي أوكلت إليها المهمات المتعلقة بتنظيم و تهيئة المجال الريفي، إلى جانب هذه الأخيرة نجد القرويين بمختلف توجهاتهم الجديدة بحيث يمكن تصنيفهم إلى:

- مؤيد و قانع بسياسة الدولة في مجال التنمية الريفية ومُنظَم إلى مسعاها.
- معارض أو مرتاب من هذه السياسة و غير مُنظَم إليها.
- خارج دائرة تأثير هذه السياسة بحكم الموقع أو عوامل أخرى.

دور القرويين إذن في هذه المرحلة يتلخص في تطبيق إملاءات و قرارات صناع القرار أو الاعتماد على قدراتهم الذاتية في استغلال الأرض و بناء المساكن.

إلى غاية عام 1990م ظل التخطيط لتنظيم المجال القروي و التحكم فيه يكتسي طابعا مركزياً و قطاعيا بحيث كل وزارة تحدد قائمة المشاريع التي تخصها و الميزانية اللازمة لإنجازها وتعمل على اختيار قطع الأرض الكفيلة باستيعابها ضمن المجال القروي.[1] في هذه المرحلة أهملت الاعتبارات المتعلقة بأقلمة المنجزات الجديدة مع الخصوصيات العمرانية والاجتماعية المحلية بحجة تسريع وتيرة الإنجاز لسد الحاجة الملحة على المرافق و السكن.[2]

[1]- AIS Amar, *Pour une nouvelle gestion de la croissance des établissements humaines : exemple d'un village de montagne*, mémoire de magistère en urbanisme, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme à Alger 2003, P135 .

[2] - Idem .

التحولات السياسية التي عرفتها الجزائر بداية من سنة 1989م أفضت إلى نتائج هامة في ما يتعلق بتنظيم و التحكم في عملية تشكل وتحول المجال القروي ولعل من أبرزها ما يلي :

- إقرار حق الملكية و من ثمة الحرية في كل ما يتعلق بإنجاز المشاريع الخاصة واستغلالها.
- تنازل الدولة عن دورها المحوري في ما يتعلق بالتخطيط و الإنجاز و الاكتفاء بدور المراقب والمنظم.

وقد تدعم ذلك من خلال إصدار مجموعة من القوانين الجديدة و استحداث وسائل و آليات لتطبيقها. من جملة القوانين التي عرفت النور في هذه المرحلة نجد: القانون المتعلق بأملاك الدولة، قانون التوجيه العقاري بالإضافة إلى القانون الخاص بالعمران. هذا الأخير يحدد جملة من المقاييس العامة للعمران ويفرض على البلديات إنجاز مخططات التوجيه للتهيئة والعمران (P.D.A.U) ومخططات تفصيلية لشغل الأراضي. (P.O.S).

المجال القروي في المرحلة الراهنة يتميز بتعدد الأطراف الفاعلة بحيث سمحت حرية الملكية و الاستثمار للقرويين بتبني أنماط سلوكية جديدة في تملك المجال هذا من جهة، من جهة أخرى تنازل الدولة عن دورها المباشر في الإنجاز والتخطيط وفتح السوق للقطاع الخاص في هذين المجالين سمح ببروز مكاتب دراسات ومؤسسات إنجاز خاصة كأطراف جديدة فاعلة إلى جانب السلطات المركزية و المحلية بمختلف مصالحها التقنية، وتجدر الإشارة هنا إلى طرف فاعل آخر هو المجتمع المدني الممثل في الجمعيات ذات الطابع الريفي و الاجتماعي و غيرها.

الملاحظ هو تباين أهداف ومصالح هذه الأطراف في ظل غياب التنسيق الهادف و الدائم فيما بينها مما يجعل من مستقبل المجال القروي رهينة ميزان النفوذ ونوعية العلاقات التي تربطها و في خضم هذه الظروف يتروي ويتقهقر الأسلوب التقليدي في التيسير و التحكم في المجال القروي إلى مستوى يمكن وصفه بالرمزي.

1-2 تحول قيم التنظيم الاقتصادي من الاكتفاء إلى العجز المحلي:

الاحتلال الفرنسي عمل على تقويض الاقتصاد التقليدي القائم على الاكتفاء بهدف الاستحواذ على وسائله (اليد العاملة) و مصادره (الأرض على وجه الخصوص) و تسخيرها لصالحه فخلال فترة

الاستيطان «***تحول القرويون من مالكين إلى مملوكين (عمال موسمين وخماسة) و قل الإنتاج الفلاحي***»[1] مما أفض تدهور الوضع الاقتصادي و تزايد ظاهرة الهجرة[2].

بعد الاستقلال توالت التجارب التنموية الريفية للدولة الرامية إلى محو آثار الموروثات الاستيطانية من خلال إدراج تغييرات جذرية في المجالين الاقتصادي و الاجتماعي على حد السواء عن طريق العلاوات، القرى الفلاحية دعم البناء الذاتي...إلخ. غير أنه وحسب عبد القادر شاوش هذا التغير مس الشكل دون المحتوى لكون الفلاحة التقليدية أصبحت تواجه وضعاً جديداً نتيجة الانفجار الديموغرافي و تتفكك العائلة التقليدية الكبيرة.[3] حيث أن هذه الأخيرة لم تعد وحدة إنتاج واستهلاك متكاملة بعد أن تفككت بفعل عوامل التحول المختلفة لتصبح أكثر ارتباطا باقتصاد الأجور و الاستهلاك هذا من جهة، من جهة أخرى تفككها هذا انجر عنه تقسيم ملكيتها من الأرض الزراعية إلى قطع صغيرة بحيث يتعذر على أصحابها القيام باستغلالها.

هذا التحول -يضيف عبد القادر شاوش- جعل المجال يفقد هويته تدريجيا ليصبح اليوم غير وظيفي حيث تقلصت الزراعات المعاشية و أصبح الفلاح رهينة الثنائية فلاح /عامل أو عامل /فلاح [4]. الحالة الراهنة إذن يمكن تلخيصها في التوجه نحو قطاع الخدمات و إهمال القطاع الفلاحي رغم بقاء المجال ريفيا (مكوناً من مجموعات من القرى).

1-3 التوجه نحو الاستقرار في التجمعات السكنية المركزية:

و هو ما يمكن تفسيره بتطلع القرويين إلى الاقتراب أكثر من أماكن توفر الخدمات و المرافق العمومية و البنى التحتية. التجمعات السكنية المركزية بسبب هذا التوجه أصبحت تعاني من مشكل ندرة العقار و غلائه إلى درجة يتعذر إيجاد قطعة أرض لبناء مرافق عمومية ضرورية أو برامج سكنية جديدة[5]. تشبع النسيج العمراني في هذه التجمعات و الرغبة الملحة للقرويين في الاستفادة من الدينامكية الاقتصادية التي تعرفها و الخدمات التي تتوفر عليها عوامل كلها ساهمت في توسع نسيجها العمراني وفق محاور المواصلات الرئيسية التي تمر عليها. كما ساهمت في جذب سكان القرى المعزولة للبناء على جوانب الطرقات المؤدية إلى هذه التجمعات.

---

[1]- **عبد القادر شاوش**، المصدر السابق، ص 236.

[2]- نفس المرجع.

[3]- نفس المرجع.

[4]- نفس المرجع.

[5]- هذه الحالة نجدها في كل من التجمع العمراني بمركز بني ورثيلان، مركز بلدية بني موحلي و مركز بلدية بني براهيم.

1-4 استمرار ظاهرة النزوح نحو المدن:

و لعل ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى عدم استيعاب سوق العمل في هذه المناطق إلا لنسبة بسيطة من السكان القادرين على العمل[1] مما يدفع بالجزء المتبقي إلى الهجرة طلباً للعمل و رغبة في تحسين أوضاعهم نحو الأفضل.

الملاحظ من جهة أخرى هو أن الهجرة نحو المدن أخذت منحى جديداً مخالفاً لما كانت عليه في السابق حيث أصبح القرويون الذين دفعت بهم الظروف نحو الهجرة يسعون جاهدين إلى الاستقرار بأُسَرِهم في المواطن الجديدة التي يعملون فيها[2]. بينما في السابق (قبل حوالي 10 سنوات) المهاجرون حتى ولو كانوا يعملون في فرنسا فإنهم يتركون عائلاتهم في القرية ضمن العائلة الموسعة و يسعون لكسب العيش إلى أن يعودوا في مواسم الأعياد و/ أو عطلهم السنوية.

1-5 تدهور النسيج العمراني القروي التقليدي:

بحكم عوامل عديدة (الزمن، الإهمال، بناء مساكن جديدة ...الخ) أصبح قسم كبير من النسيج العمراني التقليدي في القرى الجبلية على شكل أطلال لا يمر عليها عام إلا و قرب أكثر استواؤها مع الأرض، فمن جهة المسكن التقليدي الذي تشكلت منه القرية التقليدية لم يعد يلبي تطلعات و حاجيات السكان و هذا ما جعله عرضة للإهمال أو التهديم لغرض بناء مسكن جديد و من جهة أخرى صعوبة أو تعذر ربط النسيج العمراني القديم بالشبكات المختلفة (صرف المياه القذرة، المياه الصالحة للشرب، ...) دفع بالقرويين إلى تفضيل بناء مساكنهم الجديدة خارج النسيج القديم على جوانب محاور المواصلات وهذا ما سمح بتطور نسيج عمراني جديد يتمايز تدريجيا عن النسيج القديم شكلاً و مضموناً[3].

1-6 تحول نمطية السكن الريفي عن ماضيه:

السكن الريف التقليدي في مختلف أبعاده الشكلية و الوظيفية و التقنية يكرس التحام و تأقلم العمارة مع الوسط الريف في كامل أبعاده (الطبيعية، الاقتصادية و الاجتماعية) غير أن تأثير الحقبة الاستعمارية و الهجرة بمراحلها المختلفة بالإضافة إلى« ***محاولات التطوير والتحديث التي اتجهت الدولة***

[1]- في دائرة بني ورثيلان مثلاً نسبة المشتغلون هي 23,14 ٪ حسب إ.س.ع لعام 1998م.

[2]- قرية منادس مثلا لوحدها تظم حالي 15 حالة من هذا النوع 6 منها في تامنراست و الباقي في العاصمة.

[3]- انظر مثال تطور النسيج العمراني لقرية منادس.

[بعد الاستقلال] إلى إرسائها ...»[1] شمل معظم عناصر المجال القروي، بحث أن سلوكيات المجتمع التقليدي التي لها امتداد تاريخي حضاري في كل ما يتعلق بالسكن، تملك المجال واستغلاله تم استبدالها بأساليب جديدة من خلال إدراج أنماط سكنية، مواد و تقنيات إنجاز، وسائل نقل واتصالات، وسائل عمل...الخ لم تكن من خصوصيات المجتمعات الريفية سواء الجبلية منها أو غيرها؛ كل هذه المستجدات أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على ثقافة القرويين وعلاقتهم بالمجال الذي يشغلونه ويستغلونه.

تتبع بعض الجوانب من عملية تشكل و تحول السكن الريفي سمح لنا باستخلاص جملة من الحيثيات التي تتطور وفقها و هنا نذكر البعض منها:

- التحول عادة ما يكون تدريجياً بحيث نجد في كل مرحلة خصائص شكلية، وظيفية و تقنية وثيقة الصلة بخصائص مسكن المرحلة التي سبقتها.
- المسكن التقليدي تطور بحيث توسع بشكل أفقي ثم عمودي (أحياناً) بإدراج عدة ملاحق إلى أن بلغ مرحلة تعذر فيها على القرويين الاستمرار في استعماله كونه لم يعد يلبي تطلعاتهم من حيث المساحة و الرفاهية و هذا ما دفعهم إلى البحث عن الحل في نمط سكني جديد.
- تطور السكن في المجال القروي مرتبط إلى حد ما بدرجة اندماج أفراد العائلة ضمن النظام الاقتصادي الحديث الذي حل محل النظام التقليدي القائم على الاكتفاء و الانغلاق النسبي، وهذا يفسر التأثير الكبير الذي أحدثه المهاجرون في هذا عملية تشكله وتحوله.
- اعتماد النمط الحديث في السكن لا يعني القطيعة التامة مع الماضي فيما يخص طريقة استعماله حيث أن بقاء الشرفات غير مستعملة و النوافذ مغلقة طوال الوقت من بين المؤشرات على استمرار تعلق القرويين ببعض القيم في تملك المجال كالحرمة مثلاً.

1-7 استحداث سياسة تنمية ريفية جديدة:

التجديد الريفي (Le renouveau rural) هي التسمية الواعدة التي أُطلقت على هذه السياسة التي تهدف إلى خلق ديناميكية تنموية جديدة على المستوى المجال الريفي من خلال تثمين المنجزات السابقة و تحسين الأوضاع القائمة. في هذا الإطار استحدثت ما يسمى المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المدمجة (P.P.D.R.I)[2] التي تُؤَسَس حول المحاور التنموية الأربع التالية:

---

[1]-**عبد القادر شاوش**، المصدر السابق، ص 236.

[2]- انظر مثال المشروع الجواري للتنمية الريفية المدمجة لقرية زاكو ببلدية عين لقراج ملحق رقم (02). و هو عينة من 12 مشروعا حظيت بها دائرة بني ورثيلان بمعدل 4 مشاريع لكل بلدية.

- تطوير أو إعادة الاعتبار لقرية قصر.
- تنويع النشاطات الاقتصادية في المجال الريفي.
- حماية وتثمين الثروات الطبيعية.
- حماية و تثمين التراث الريفي المادي و غير المادي.

و حسب أجندة تطبيق هذا البرنامج انطلاق انجاز المشاريع (P.P.D.R.I) التي تم اقتراحها في إطار المرحلة التطبيقية الأولى منه (Phase pilote)[1] سيكون في السداسي الثاني من عام 2007 م أو خلال سنة 2008 م[2].

المطلب الثاني: اقتراحات و سبل لترشيد التوجه الحالي لتحول المجال القروي:

الوضع الحالي في المجال القروي بمختلف أبعاده (الاجتماعية، الاقتصادية، العمرانية والمعمارية...) يشكل مرحلة غير مستقرة من مسلسل التحولات التي عرفها، يعرفها و سيعرفها، بل هي نقطة البداية لمراحل لاحقة من التحول. وعليه و من منطلق الوعي بإمكانية ترشيد التوجه الحالي فإننا ندرج فيما يلي جملة من الاقتراحات و السبل الكفيلة بذلك:

2-1 تقوية و تنويع أُطر الحوار بين الأطراف الفاعلة في المجال القروي و ذلك لا يتسنى إلا من خلال جملة من الشروط الواجب توفرها وهي:

- تنمية الشعور بالانتماء إلى إقليم معين لدى القرويين من خلال وسائل الإعلام المحلية.
- إشراك المجتمع المدني في كل ما يتعلق بتنظيم و تسيير المجال القروي وخاصة عند إنجاز مخططات التهيئة والتوجيه العمراني ومخططات شغل الأراضي.
- تنمية الوعي بخصوصيات الثقافات المحلية والاهتمام بها.

2-2 تحسين أداء المصالح التقنية الفاعلة في المجال القروي و ذلك من خلال:

- تدعيمها بالوسائل المادية اللازمة لأداء مهامها على أحسن وجه.
- تدعيمها بإطارات متخصصة في التهيئة الريفية، العمران، وعلم الاجتماع الريفي.
- التكوين المستمر للإطارات العاملة بها و تزويدها الدوري بالمعارف المستجدة في تخصصاتها.

[1]- هذه المرحلة شُرِع فيها على مستوى الدوائر في بداية 2007م و تم اقتراح نتائجها السلطات الولائية بهدف المصادقة عليها تمهيدا للحصول على الإعتمادات المالية اللازمة لإنجازها ضمن قانون المالية التكميلي لسنة 2007 أو قانون المالية لسنة 2008.

[2]- *L'Algérie en mouvement " le renouveau rural"* (dossier publié le 13 février 2007 par le quotidien ELMOUDJHID). [En ligne]. ‹/http:// mddr.gov.dz/ppdristatic/index.htm›, (Page consulter le 20/05/2007).

2-3 أقلمة برامج التعليم و التكوين مع خصوصيات المجال الريفي وهذا من شأنه أن يسمح بتسهيل اندماج السكان في الوسط الريفي و تثمين كل الإمكانيات التي يتوفر عليها.

2-4 التطبيق الجيد لكل مراحل سياسة التجديد الريفي وتفادي الهفوات المسجلة في التجارب التنموية السابقة وخصوصا المتعلقة بالدراسات الأولية اللازمة لبرمجة المشاريع.

2-5 استحداث منهجية خاصة بإعداد و إنجاز مخططات التهيئة و التوجيه العمراني و مخططات شغل الأراضي في المجال الريفي بحيث تجعل من ضمن أولوياتها إدراج خصوصيات عملية تشكل تحول المجال القروي ضمن الإشكاليات التي تهدف لإيجاد الحلول المناسبة لها. و هذا من شأنه أن يضمن تنظيم توسع النسيج العمراني القروي بعيدا عن الأسلوب المعمول به في المناطق الحضرية.

2-6 اعتماد أسلوب الحفظ عن طريق الإدماج (Conservation intégrée) عند التعامل مع القرى المهجورة بشكل كلي و كذا مع المواقع الأثرية القديمة على اختلاف الحقب التاريخية التي تعود إليها.

أسلوب المحافظة عن طريق الإدماج يراد به ترميم و إعادة الاعتبار للمباني و المواقع الأثرية التاريخية بحيث يمكن توظيفها واستغلالها ضمن الديناميكية الاقتصادية و الاجتماعية الراهنة. في المجال القروي القبائلي فـــرص نجاح هـــذا الأســـلوب مقـــرونة بتـــوفر الشـــروط المـــناسبة لتنشـــيط الـــسياحة الـــثقافية (Tourisme culturel) و السياحة الخضراء (Tourisme vert).

المطلب الثالث: تساؤلات جديدة حول ظاهرة التحولات المجالية في المجل القروي.

على هامش البحث في موضوع التحولات المجالية القروية تبادرت إلى إلينا جملة من التساؤلات التي من شأن البحث فيها أن يضيء جوانب غامضة من هذه الظاهرة فما يلي نذكر أهمها:

3-1 العمران و العمارة التقليديان في المجال القروي هما نتاج عملية (Processus) طويلة الأمد تأثرا كل منهما بعمران و عمارة الحضارات المتعاقبة على شمال إفريقيا (الرومانية والبيزنطية على وجه الخصوص) الأمر الذي يقودنا إلى التساؤل حول مدى و تجليات هذا التأثير.

3-2 المهاجرون إلى الخارج و إلى المدن الجزائرية لعبوا دورا كبيرا في عملية نشوء و تحول المجال القروي – خصوصا في منطقة القبائل-بل بواسطتهم تكرست تبعيته للعالم الحضري في ميادين شتى؛ حالياً عدد هؤلاء يشهد تناقصا لسببين رئيسيين هما: عدم تجدد شريحة المهاجرين نحو فرنسا و تفضيل المهاجرين نحو

المدن الجزائرية الاستقرار النهائي بها. هذا الوضع يدفعنا إلى التساؤل حول مستقبل التوازنات الاقتصادية في هذه المناطق و أثر ذلك على عملية نشوء و تحول المجال.

3-3 توفر الأراضي الزراعية بغض النظر عن قربها أو بعدها كانت من الشروط الرئيسية لنشأة القرى في المجال الجبلي، هذه الأراضي بفعل تقسيمات المتوالية عليها نتيجة تبدل نمط ملكيتها و الزيادة السكانية صَغُرَت مساحاتها إلى درجة أصبح القرويون يُهملون خدمتها كونها لا تسمن ولا تغني من جوع، و هنا يمكن طرح جملة من التساؤلات: إلى أي مدى سيستمر تقسيم هذه الأراضي؟ ما تأثير هذا التقسيم في عملية تشكل وتحول المجال القروي؟ وهل من الممكن إعادة صياغة نمط الملكية بحيث تُجمع الملكيات الصغيرة في ملكيات أكبر ليصبح استغلالها أكثر نجاعة.

3-4 إلى جانب استثمار المهاجرين في مجال السكن الريفي لعبت الدولة الجزائرية دورا هاماً في دعم القرويين لترميم وتوسيع مساكنهم و بناء مساكن و ذلك من خلال عدة صيغ متتالية؛ حالياً برامج الدولة لدعم السكن الريفي أصبحت تشكل قسما هاما من مجموع المباني الجديدة في المجال القروي و هذا يدفعنا للتساؤل حول أثار سياسات دعم السكن الريف في عملية تشكل و تحول المجال القروي.

خلاصـــــــــة القســـــــم

تمحور مضمون هذا القسم حول جملة من الخصائص التي يتميز بها التوجه الحالي لعملية تشكل و تحول المجال القروي الجزائري بشكل عام و المجال القروي الجبلي القبائلي خصوصاً هذا من جهة، من جهة أخرى أدرجنا فيه بعض السبل و الاقتراحات الكفيلة بترشيد الجوانب السلبية من هذا التوجه و كذا بعض التساؤلات التي من شأن البحث فيها توسيع دائرة الفهم حول ظاهرة التحولات المجالية القروية.

خلاصة الفصل الثالث

من خلال ما سبق نستخلص أن أي تصور أو تصميم مستقبلي لهيئة أو بنية المجال القروي في مستوياته المختلفة (الإقليم، القرية، المسكن) يظل رهينة عوامل التحول المختلفة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية و الثقافية) وعليه فإن ترشيد التوجه الحالي لعملية تشكل و تحول المجال القروي لابد أن يُنْظَر إليه من زاوية الآليات، الوسائل والأطرف الفاعلة إلى جانب الاهتمام بالنتيجة المرجوة.

الخـــــــاتمة

الخـــــــــــــــــــاتمة

الهدف الرئيسي من البحث هو تحليل و فهم عملية تشكل و تحول المجال القروي الجزائري عموما و المجال القروي الجبلي القبائلي بوجه أخص من خلال دراسة حالة قرى و مداشر منطقة بني ورثيلان و ذلك بغية التوصل إلى تقيم موضوعي للتوجه الحالي لهذه العملية واقتراح بدائل و سبل من شأنها تحسين الأوضاع القائمة.

القسم النظري من هذه الدراسة مكننا من التموقع ضمن الكم الهائل من الأبحاث والدراسات السابقة التي ترتبط من قريب أومن بعيد بظاهرة التحولات المجالية القروية أو بأحد العناصر الأساسية للبحث ككل (التحولات المجالية، القرية، المناطق الجبلية، منطقة القبائل،...الخ) كما مكننا من تحديد المفاهيم و المنهجية اللازمة للاقتراب منها. بداية الاقتراب من هذه الظاهرة كانت من خلال تسليط الأضواء على العناصر المكونة للمجال الريفي الجزائري التقليدي و كذا خصائص و أنماط القرى التي يضمها و ذلك بغية التحقق من الفرضية الأولى للبحث والتي مفادها أنه من أجل فهم ظاهرة التحولات المجالية القروية وتقيمها لابد من فهم ما كانت عليه القرى التقليدية.

بعد استيفاء الجوانب المتعلقة بمميزات المجال القروي الجزائري التقليدي حاولنا الإحاطة بجملة من حيثيات تحوله أولاً على مستوى المجال الريفي الجزائري بشكل عام ثم على مستوى المناطق الجبلية القبائلية و ذلك تمهيدا لولوج منطقة الحالة المدروسة (بني ورثيلان). هنا تجدر الإشارة إلى أنه من خلال تتبع مراحل عملية تحول و تشكل المجال القروي تأكدت لنا الفرضية الثالثة للبحث حيث تبين لنا كيف أن التحول المجالي قد يكون مفروضا وبوتيرة و أشكال غير معهودة، و خير مثال على ذلك ما أسفرت عنه كل من سياسة مراكز التجميع خلال فترة الاحتلال الفرنسي و مشروع الثورة الزراعية خلال السبعينيات من القرن الماضي. من جهة أخرى التطرق إلى هذه الحيثيات في قرى منطقة القبائل سمح لنا بإثبات الفرضية الثانية للبحث بشكل عام حيث تبين لنا كيف أن الظروف والعوامل الخاصة بالمنطقة (الطبيعية، المجالية، السياسية، الاجتماعية و الثقافية) ساهمت كلٌ منها بشكل من الأشكال في إعطائه الهيئة المميزة التي هو عليها الآن.

بعد ولوج منطقة الحالة المدروسة (بني ورثيلان) تأكدت صحة الفرضية الثانية من جديد و بشكل أدق و أبعد عن التعميم حيث و من خلال المقارنة بين ثلاث عينات من جملة القرى التي تضمها و هي قرية منادس، قرية شلحاب و التجمع العمراني بمركز بني ورثيلان[1] تبين لنا كيف أن التحولات العمرانية و المعمارية فيها لم تكن بصور متماثلة بسبب اختلاف الظروف و العوامل المحيطة بكل منها. استكمالا لمنطق التدرج من العام على الأقل عمومية فالخاص ثم الأكثر خصوصية في التحليل أدرجنا مبحثا خاصاً لدراسة حيثيات تطور السكن الريفي بمنطقة بني ورثيلان وهو ما مكننا من الاقتراب أكثر من فهم عملية تشكل و تحول المجال القروي.

في الأخير استخلصنا جملة من خصائص التوجه الحالي لهذه العملية و أدرجنا جملة من الاقتراحات والسبل الكفيلة بتحسين الجوانب السلبية منها كما عرجنا على بعض التساؤلات الجديدة التي من شأنها البحث فيها تعميق فهم ظاهرة التحولات المجالية القروية. و صدق من قال: **"ما لا يُدرك كله لا يُترك كله"**

[1]- هذا التجمع العمراني تشكل انطلاقا من توسع وتطور ثلاث قرى قديمة و هي فانتيكلت، إغيل أوفلا و آنو.

الفصل الثالث: التحولات المجالية في قرى بني ورتيلان

القسم الأول : التحولات على مستو ى المسكن (أخـــــــام)

القسم الثاني : التحولات على مستوى القرية و التجمعات العمرانية

القسم الثالث: التحولات على المنطقة ككل.

القسم الرابع: العناصر الفاعلة و إمكانية ترشيد التحولات الحالية.

المـــــــــراجع

المراجـــع باللـــــــــــغة العـــــــربية [1]

ابن خلدون، عبد الرحمان. *مقدمة ابن خلدون*. بيروت : دار الكتب العلمية، 1993م. 532ص.

التيجاني، بشير. *التحضر و التهيئة العمرانية في الجزائر*. الجزائر: د.و.ج ، 2000م. 113ص.

السويدي، محمد. *دراسة المجتمع الجزائري : تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر*. الجزائر: د.م.ج، 1990م.219ص.

الفيروزآبدي، مجد الدين محمد بن يعقوب (المتوفي سنة 817 هـــ)، *القاموس المحيط*، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2004م. 1440 ص.

المحاسب، جمال. *علم الاجتماع الريفي*. دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر بسورية، 1955م. 223ص. (ج1 من سلسلة علم الاجتماع).

المهدي، عبد الحميد. البربر الجبالية في المغرب في العصور الوسطى *أعمال ملتقى دولي في التاريخ حول التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور من 23إلى 24 افريل 2001* م . منشورات مخبر الدراسات التارخية والفلسفية - جامعة قسنطينة، ص 141.

بن يوسف، إبراهيم. *إشكالية العمران*. الجزائر: دار أبو داود، 1992م. 169ص.

بوزيان، الدراجي. *القبائل الأمازغية أدوارها مواطنها أعيانها*، ج1، ج 2 . الجزائر: دار الكتاب العربي، 2000م. (سلسلة العصبية القبلية).

بوعمامة، عبد الكريم. *بنو يعلى : لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد*. الجزائر : د.و.م.ج، 2006م. 21 جميل صليبا، *المعجم الفلسفي، بيروت: الشركة العالمية للكتاب*، 1994م.

دوركايم، إميل. *قواعد المهج في علم الاجتماع* ، سلسلة الأنيس ، موفم للنشر، الجزائر، 1990م. 284ص.

طريف، أحمد. *قراءة في الرحلة: سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني. الجزائر :* 2005م . 175ص.

عاطف غيث، محمد. *التغير الاجتماعي في المجتمع القروي ، دراسة محافظة الدقهلية القيطون و هلا و كفر الشيخ*. الاسكندرية: الدار القومية للطباعة و النشر، 1965م. 519ص.

شاوش، عبد القادر. *التحولات الريفية في البلديات المهمشة: حالة بلديات شمال غرب سطيف*. 247ص. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تهيئة المجال، قسنطينة: كلية علوم الأرض و الجغرافية التهيئة العمرانية 2001م.

عاطف غيث، محمد. *قاموس علم الاجتماع*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000م. 394ص.

ملحم، حسن. *التفكير العلمي و المنهجية*. الجزائر: د.و.م.ج، 1993م.

وناس، يحي. *دليل المنتخب المحلي لحماية البيئة*. وهران: دار الغرب للنشر و التوزيع، 2003م.

عمري، الطاهر. بنية الريف و المدينة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، *أعمال الملتقى الدولي في التاريخ حول التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية من 23 إلى 24 افريل 2001*م، قسنطينة : منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية – جامعة منتوري. ص 213-227.

[1] - تم إعداد هذه البيبليوغرافيا وفق المقاييس التالية:

(NF Z 44-005 décembre 1987) أو (ISO/DIS 690-2-1987) و (ISO/DIS 690-2-1997) بالنسبة للوثائق الإليكترونية.

Bibliographie en langues étrangères

Ouvrages :

ABOUDA, M. *Axxam maisons kabyle et fresques murales,* Paris : Ed Auteur, 1985. 108 P.

BACHELARD. Gaston. *Le nouvel esprit scientifique,* Ed ENAG : Algérie, 1990, 231 P.

BAILY, G.H. *Le patrimoine architecturale, les pouvoirs locaux et la politique de conservation intégrée*, Paris : Ed Delta. S. I. 1975.

BEAUD, Michel. *L'art de la thèse,* Alger : CASBAH, 1999. 172 P.

BEN YOUCEF. Brahim. *Analyse Urbaine, éléments de méthodologie,* Alger : O.P.U, 1995.

COTE, Marc. *L'Algérie ou l'espace retourné,* Algérie : Media-Plus, 1993.362 P.

COTE, Marc. *Pays, paysage, paysans d'Algérie*, C.N.R.S éditions, Paris, 1996, 282 pages.

BERGER, A. *Ville et Compagne fin d'un dualisme,* Paris : Economica, 1977.

Bourdieu, Pierre. *The Algerians*. Boston: Beacom Press, 1962.

BOURDIEU, Pierre. *Sociologue de l'Algérie*, P.U.F, Paris 1961. 126 P. (collection que sais-je).

BOURDIEU, Pierre. *The Algerians,* Boston : Beacon Press, 1962.

BOURDIEU , Pierre. & SAYAD .A, *Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie*, Paris : Ed Minuit, 1964. 220 P.

BOURDIEU, Pierre. *Esquisse d'une théorie de la pratique de l'espace* , Paris : Ed Dros, 1967.

BOURDIEU, Pierre. *Algérie 1960 structures économiques et structures temporelles,* Paris: Ed minuit, 1977.

BOUTEFNOUCHET, Mostefa. *La famille évolution et caractéristiques récentes,* Alger : SNED, 1980, 316 P.

BOUTEFNOUCHET, Mostefa. *La société algérienne en transition,* Alger : OPU, 2004.

BOUTEFNOUCHET, Mostefa. *La société et modernité les principes de changement sociales,* Alger : O.P.U, 2004. 330 P.

BREESE, G. *Urbanisation et tradition : tendances actuelles,* Paris : Ed International, 1969.

BRIAN. J, LOUGHLIN Mc, *Planification urbaine et régionale, une approche d'analyse des systèmes*/ trad. De ELISABETH Janvier, Parais : Ed Dunod, 1978. 333P. (Collection aspects d'urbanisme).

BRULE. J. C & FONTAINE, j. *Algérie volontarisme étatique et aménagement de territoire,* Alger : Ed Mimouni , 1990.

BUGNICOURT, J. *Les nouveaux centres ruraux en Algérie,* Alger : Direction de l'agriculture et des forêts en Algérie, 1960.

CANNIGIA, G. F. *L'approche morphologique de la ville et de territoire : Lecture de Florence* Bruxelles : institut supérieur d'architecture, Saint Luc, 1994. 144 P.

CHEMINI, Abelkader. *La Kabylie Orgueilleuse,* Paris : tome 1, 1993. 365 P.

CHOAY, Françoise. *L'urbanisme utopie et réalité,* Paris : Ed Seuil, 1965.

CHOMBAR de LAUWE, P . H. *Transformation de l'environnement des aspirations et des valeurs,* Paris : C.N.R.S, 1976.

CORNATON, M. *Le regroupement et la décolonisation en Algérie,* Paris : Ed Ouvriers, 1967.

COTE, Marc. *Mutation rurales en Algérie, le cas des hauts plaines de l'est d'Algérie,* Paris : OPU/ CNRS, 163 P.

COTE, Marc. *L'Algérie ou l'espace retourné,* Algérie : Ed Média plus, 1993. 362 P.

COTE, Marc. *Pays, paysages, paysans, d'Algérie,* Paris : Ed C.N.R.S, 1996. 282 P.

C.N.U.R.I.B, *Etude sur la revalorisation de l'habitat traditionnel Kabyle,* Alger : Ministre de l'aménagement du territoire et de l'urbanisme et de la construction M.A.T.U.C, 1986.

DESPOIS, Jean . *L'Afrique du nord* . Paris : P.U.F, 1949.

DESROCHE. H & RAMBAUD. P, *Village en développement contribution à une sociologie rurale,*Paris : édition, Mouton et Colahae.

DHMANI, M. *L'occidentalisation des pays de tiers monde mythe et réalité,* Alger: O.P.U / Paris : Economica, 1983. 217 P.

ELIE, M, *Pour un équilibre des villes et des compagnes,* Paris / Bruxelles / Montréal : Ed Dunoud, 1974. 242 P.

FISCHER, G. N. *La psychosociologies de l'espace,* Paris : Ed P.U.F, 1981.

FOUGEROUSE, C. *Le renouveau rural dépendance ou autonomie,* Paris : Ed L'Harmattan, Montréal, 1996. 378 P.

GABRIEL, T. *The Human factor in rural development,* London and New York: Belhaven Press, 159 P.

GENEVOIS , Henri. *Village de Kabylie : Ath Yani et Thagmmunt Ezzug, Tome 01,* Alger : Ed E.N.A.G, 1996.

GRIGOTI, L & MOULOUD, A, *Développement local et communautés rurales, approche et instruments pour une dynamique de concertation*, Paris : Ed Karthala, 2002. 366 P.

GSELL, Stéphane. *Atlas archéologique de l'Algérie*, 2ème édition, Alger : Agence nationale d'archéologie et de protection de site historique, 1997.
GUY, L et NEMERY, J. C. *Construire la dynamique de territoire, acteur, institutions, citoyenneté active*, Paris : Ed L'Harmattan, 1997. 287 P.

HALLET, Rodin. *Africa to 1875*. *Michigan* : Michigan Press, 1970.

HENNI, Ahmed . *La colonisation agraire et le sous-développement en Algérie.* Alger: Ed S.N.E.D, 1982.

IBEN KHALDUN. *Histoire des berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale*/ Trad de William Mackin de Slane, Alger : Ed BERTI, 2003. 1575 P.

KARAMANOU, Z. *Au-delà de l'espace institutionnalisé*, Paris : Ed Anthropos, 1978.

KASER, B. *La renaissance rurale*, Paris : Ed A. colin, 1990. (collection sociologie).

KHELADI, Mokhtar. *Urbanisme et systèmes sociaux : planification urbaine en Algérie*, Réimpression, Alger : O.P.U, 1993. 286 P.

KHELIL, M. *L'exil Kabyle*, Paris : Ed L'Harmattan, 1980. 207 P.

KHELIL, Abdelkader. *La commune face au défi du management et de l'ingénierie territoriale en Algérie*, Alger : Ed CASBAH, 1998. 121 P.

KHELIL Abdelkader. *La société montagnard en question*, Algérie : Ed A.N.E.P, 2000. 104 P.

LACOSTE, Dujardin. C. *Un village Algérien structure et évolution récente,* Alger : ED S.N.A.D, 1976. 167 P.

LAPIERRE, J. W, *L'analyse des systèmes, l'application au sciences sociales*, Paris : Ed Syros, 1992.

LAWLESS. R & SUTTON. K, *Population regrouping in Algeria , traumatic change and the rural settlement pattern,* Durham University,1978.

LE CORBUSIER. *la charte d'Athènes*, Paris : Edition Minuit , 1957.

LE MASNE, H. *Le retour de émigrés algériens*, Alger : Ed O.P.U et Paris : C.I.E.M, 1982. 215 P.
LESBET, Djaâfer. *Les 1000 villages socialistes en Algérie,* Alger : Ed O.P.U, 1979.

LOECKX, A & NOERT, N. *Construire un autre village, étude comparative de trois environnement représentatifs en Kabylie*, , Belgique : Ed P.G.H.S/ KULEUVEN 1986, 24 P.

LUCIE, A & GUY, B. *L'appui au développement communautaire une expérience de communication en Afrique rurale de ouest*, Paris: Publication de centre de recherche pour le développement international, 2002, 214 P.

LECHIS, Louis. Une excursion archéologique dans le Guergour (été 1938), in *Etude d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines*, Paris : Arts et métiers graphiques P. 333 – 346.

MALFROY, S. *Introduction à la terminologie (1ère partie) de l'approche morphologique de la ville et de territoire*, Zurich : Ecole polytechnique fédérale de Zurich, 1986.

MARECHAUX, P. *Village d'Arabie heureuse,* Suisse : Ed Chêne/ Hachette, 1979.

MARIO, D & DIEGO, M. *Le relevé architectural*, Rome : Ed Centro Analisi Social Progetti, 1993. 138 P.

MAROUF, Nadir. *Terroirs et villages Algérien,* Alger : O.P.U, 525 P.

MAROUF, Nadir, *La relation ville- compagne dans la théorie et la pratique : contrebutions à une sociologie rurale des payés dominés,* 2ème édition, Alger : O.P.U, 1981. 119 P.

MAUNIER, Rene. *La construction collective de la maison en Kabylie,* Paris : Institut d'ethnologie. 1926.

MASQUERAY, Emile. *Formation des cites chez les populations sédentaires de l'Algérie : kabyle de Djurdjura, Chaouia de l'Aures, Beni Mzab,* Axe en Provence : EDISUD, 1983, 374 P. (Archives Maghrébins, C.R.E.S.M).

MEDHAR, Slimane. *Tradition contre développement,* Algérie : Ed En /AP, 1992. 294 P.

MEISS, P. V, *De la forme au lieu : une introduction à l'étude de l'architecture,* Lausanne : Presse polytechnique Romand, 1986, 123 P.

MERLIN, P & CHOAY, F. *Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement,* Paris : Ed P.U.F, 1988,723 P.

MOLES, A & ROHMER, E. *La psychologie de l'espace,* Paris : Ed Casterman, 1988.

MURET, J .P & MAISTR, A. *L'urbanisme communal, les outils, les pratiques, les difficultés,* Paris : Ed Syros, & 1995.

MUTIN, G. *La Mitidja, décolonisation et espace géographique*, Paris : C.N.R.S. 1982.

PANERAI, Philipe et al , *Eléments d'analyse urbaine,* Bruxelles : Ed archives d'architecture moderne, 1980. 194 P.

PLANHOL, de Zavie. *Nouveaux villages algérois. Paris :* P.U.F, 1961.

RAMBAUD, Placide. *Sociologie rurale,* Paris / La Haye : Ed Mouton, 1976.

RAPOPORT, Amos. *House Form and culture, Englewood cliffs*, New Jersey: Prentice Hall, 1969.

RAPOPORT, Amos. *Anthropologie, de la maison,* Paris : Ed DUNOD, 1971.

REMY ,J & VOYE , L. *La ville et l'urbanisation.* Paris : Ed Ducalot.

RIBOULET Pierre, *Onze leçons sur la composition urbaine,* Paris : Ed Presse de l'école nationales des ponts et chaussées, 1998. 250 P.

SAIDOUNI. Maouia, *Eléments d'introduction à l'urbanisme,* Alger, : Ed CASBAH , 2000.

SCHOONBRODT, René. *Essai sur la destruction des villes et des compagnes,* Belgique : Pierre Mardaga, 1987.

SCULTZ C N, *Genius Loci,* paysage, ambiance, architecture, Bruxelles : Ed Pierre Mardaga, 1985. 213 P.

SERGE, Courville. *Entre villes et compagne, l'essor du village dans les seigneuries du Bas Canada,* Québec : Les presses de l'université de Laval, 1990, 333 P.

SERVIER, Jean. *Les Berbère,* 2ème édition, Alger : Ed DAHLAB, 1990. 128 P. (Collection Que sais-je).

TARTARY, Jaques. L'habitat rurale en Algérie, in *la vie urbaine,* Paris : 1963 juillet – septembre.

THIERRY, Paquot, *Le monde des villes, panorama urbain de la planète,* Bruxelles : édition Complexe, 1996. 699 P.

VIDAL, DE LA BLACHE. Encyclopedia Britannica micropoedi , vol 5 , Knowledge in depht. 1973-74.

ZUCCLLI, Alberto. *Introduction à l'urbanisme opérationnel et à la composition urbaine*, Volume II , Alger : O.P.U, 1983. 481 P.

Thèses , mémoires, Rapport d'études.

AIS, Amar. *Pour une nouvelle gestion de la croissance des établissements humaines : exemple d'un village de montagne.* 160 P. mémoire de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 2003.

ATHMANI, Fouad. *Impact des instruments d'urbanisme et de l'aménagement de territoire sur le cadre bâti : cas de permis de construire.* 149 P. mémoire de magistère en urbanisme, Constantine : Université Mentouri, Département d'architecture : 2001.

BACHAKH, Houria. *Mécanismes de formation / transformation de l'environnement bâti : essai de l'identification de l'environnement villageois kabyle, le cas de Aith yeni.* 173P. thèse de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1998.

BADJAJA, A. *Répertoire des douars et des tribus de l'est algérien,* Constantine : D.E.A de géographie : 1976.

BENYOUCEF, Brahim, *L'approche de l'espace socio – urbaine : problématique tradition modernité.* 409 P. Thèse de doctorat d'Etat en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1999.

BENSEGUENI, O et al. *Logiques d'occupation spatiale dans les Aurès cas des Beni Souik, habitat traditionnel,* Volume 2., Constantine : Centre universitaire de recherche, d'étude et de réalisation C.U.R.E.R : 1982.

BEZTOUT, Mohamed. *Traditional Housing under the stress of change : a cas of kabyle village (Algeria),* Newcastle: university of Newcastle Upon Tyne - School of architecture : 1987.

BOUADI, Ali. *Evolution de l'espace villageois en Kabylie*, thèse de 3ème cycle en architecture , Louvain la neuve : Université de Louvain la neuve : 1980.

BOUDERKA, Saliha née Fratsa. *Un territoire kabyle en situation de frange, Aith khalifat.* 154 P. mémoire de magistère en urbanisme, Constantine : Université de Constantine - institut d'architecture et d'urbanisme : 1997.

BOUSMAHA, Baich. *The potential innovation in contemporary rural house building in Algeria,* Master of Phil, Oxford: University of Oxford: 1987.

CHABAU, Meriem. *Evolution des Ksours , habitat entre maison ksourienne et maison urbaine,* thèse de magistère en urbanisme , Alger : E.P.A.U : 1994.

CHAGRANI, M. *Urbanisation et organisation de l'espace montagnard, cas de Larbâ- Nathirathen , une commune de Djurjura.*198 P. Thèse de magistère en urbanisme en urbanisme, Alger : E.P.A.U : 1988.

CHAREB, Oum Elheir épouse Chalal. *L'apport de la typologie processuelle a la projection architecturale et urbaine,* mémoire de magistère en urbanisme, Alger : E.P.A.U.

CHERRAD, Salahedine. *Problématique de l'aménagement de l'espace rural en Algérie,, Analyse des discours, pratiques spatiales et perspectives,* thèse de doctorat, Montpellier III, 1987.

CHOUK, Fatima & DERBEL, Hedi : *Equilibre ville / compagne utopie d'aujourd'hui réalité de demain*, rapport de thèse de 3ème cycle, Tunis : Institut A.U.U.T : 1982.

FONTAINE, Jacques. *Village kabyle et nouveau réseaux en Algérie , le cas de la région de Bejaia* .273 p. thèse de 3ème cycle , Tours : centre d'étude et de recherche URBAMA « Urbanisation du monde arabe » : 1983.

HADJOU, Fatah. *A critical examination of the socialist and proposals for future housing schemes for rural families in Algeria*, Master of Phil, Newcastle: University of Newcastle upon Tyne: 1982.

ICHEBOUBEN, Youcef. *Pour un développement urbain spécifique aux espaces à vocation touristiques, cas de l'espace littoral de la Kabylie. 280 P. mémoire de magistère en urbanisme*, Alger, E.P.A.U : 1996.

KACI, Mebarek. *Contribution à protection de l'architecture rurale traditionnelle, cas d'un village antique de Taksebt en Kabylie maritime*. 283 P. mémoire de magistère en urbanisme Alger, EPAU : 2001.

KEZZAR, Med Akli. *Participation Citoyenne dans la gestion et la panification urbaine en Algérie*. 40 P. rapport d'atelier de 1ere Année de post graduation, Constantine : Université Mentouri - département d'architecture et d'urbanisme. 2001.

LADJIMI, Mouhammed, *Rural development planning and migration in Algeria*, dissertation submitted for the degree of M. Phil, Sheffield: University of Sheffield department of town regional planning: 1987.

LEBBAL, Nourdine. *Rural Housing frame in Aures traditional and contemporary (Algeria)*. dissertation submitted for the degree of M .Phil hosing , Newcastle : University of Newcastle UPON TYNE - school of Architecture : 1985.

MAHDJOUBI, Lamine. *For an improved rural housing to limit distress migration*. 285 P. dissertation submitted for the degree of M. Phil in urban planning design. Newcastle: University of Newcastle upon Tyne : 1985.

MESSACI, Nadia. *L'habitat des Aith Waghlis chaos spatial ou ordre caché ?*. 231 P. Thèse de magistère en urbanisme, Constantine : Université de Mentouri - institut d'architecture et d'urbanisme : 1990.

SAHRAOUI, Nadia. *De l'informel, une actualisation de l'urbanisme traditionnel, la logique dans le développement de la forme urbaine spontané (le cas d'El Oued)*. Thèse de magistère , Constantine : Université Mentouri – département de l'architecture et de l'urbanisme Février 1998.

SELMI, Ali & BEN AMAR, Rachid. *Habitat rural approprie à Kairouan*, thèse de 3ème cycle , Tunis : Institut de technologie d'art d'architecture et d'urbanisme : 1982.

THEUSISSEN, Ph. *Village des Ait Ali Ou Mhende, Matériaux de construction et pratique constructive*, Louvain la neuve : centre de recherche en architecture, université de Louvain la neuve, 1979

THEUNISSEU, Ph. *Etude d'un village Kabyle, AITH ALI MEHAND,* étude monographique d'un village, Louvain la neuve - U.C.L : 1980.

Articles :

ALIFRIQUI, M. *Montagne,* [En ligne]. ‹http://www.notreplanete.info/geographie/montgne1.php›. (Page consulté le 12/01/2005)

BELHOCINE, N. MESSACI, *Une lecture spatiale du phénomène migratoire. Cas des Athwoghlis en* Algérie[En ligne].‹ http://www.cadesria.org/:Links/ Home(…)migration-nadia.htm›. (Page consulté le 15/05/2005).

BOUKERZAZA,H. Crise, Adaptation et mutation dans l'espace rural montagnard Algérien, in : Colloque international. *Dynamique rurale/ environnement et stratégie spatiale,* Montpellier, 13-14 septembre.2001.

BREBNER, Philip. Algeria : the transformation of a settlement system, *third world planning review* . February 1981, Vol .3 : 43- 56.

BRUN, Jean-Jacques. *La montagne, laboratoire pour la science? ou laboratoire pour la société?, revue de géographie alpine* [En ligne]. (2001 N° 2). ‹http://www.up.univmrs.fr/wiupenv/labo/d-lpe/publications/pdfcopn/ pdf› (page consulté le 18/04/ 2007).

COTE, M. *Montagne du Maghreb : Un cas de déterminisme géographique,* [En ligne]. ‹http:www.cafe-géo/cafe2/article.php3?_article=126›. (Page consulté le 18/04/2007).

FONTAINE, J. L'urbanisation des montagnes kabyles, in *Politique urbaine du monde arabe,* 1986, N° 17. PP 757 -771.

"Fourier, Charles." In : *Microsoft® Encarta®* 2006 [CD]. Microsoft Corporation, 2005. 4 CD-ROM.

LOECKX, André. Le village : une autre ville : Etude des transformations du logement et de l'habitat en Kabylie. *Revue A+,* 2e trimestre 1985. P. 28-30.

L'Algérie en mouvement " le renouveau rural" (dossier publié le 13 février 2007 par le quotidien ELMOUDJHID). [En ligne]. ‹/http:// mddr.gov.dz/ppdristatic/index.htm›, (Page consulter le 20/05/2007)

le renouveau rural, [En ligne]. ‹http:// mddr.dz/ppdristatic/index.htm› (Page consulter le 20/05/2007).

MAURER, G. Les villages socialistes en Algérie, in : *Formes de croissance urbaine au Maghreb.* CNRS, 1982.

MECHEHED, Djamel-eddine, *Aperçu historique sur la région de Beni Ourtilane,* [En ligne]. ‹http:// mechehed.free.tr/documents/apercu_historique.doc› (page consulté le 18/04/2007).

MEGRAND, R, Les villages socialiste en Algérie, in *les influences occidentales dans les villes maghrébines à l'époque contemporaine*, C.N.R.S, Axe en Provence, 1970.

Montagne, in : *Le grand dictionnaire encyclopédique, Larousse*, Tome15, 1984. Paris. P 7064-7066.

Montagne, [En ligne]. ‹http://www.paris .iufm.fr / trice/montagne/ def.htm› (page consulté le 19/04/2007)

RAHAM, Djamel et al. Essai de mesure des formes de maillage administratif, *Espace géographique, 4e trimestre 2004, Paris*, P.256-266.

STEWART, Jams H. The future of planning theory – Whither urban design? *Planning outlook*, 1982,Vol 24, P. 74 - 82. (University of New Castle Upon Tyne).

Village, in : *Le grand dictionnaire encyclopédique, Larousse*, Tome 15, Paris, 1984.

Documents divers

Commune Mixte de Guergour. *Monographie locale enquêtes sur L'habitat et le niveau de vie, 1939. 09 P.*

Commune Mixte de Guergour, *Note sur la situation économique de la population musulmane de la commune mixte de Guergour*, 1947. 17 P.

SENATUS CONSULT le PV de tribu de Beni – Ourtilane, Arréte d'homologation du 31 juillet 1899.

URBA. SE. *Périmètre d'urbanisme provisoire de Beni-Ourtilane*, Rapport et documents graphiques. 1981.

URBA. SE. *Schéma d'aménagement de chef lieu de la commune de Beni- Ourtilane*, Rapport et documents graphiques. 1986. 27 P.

URBA. SE. *Plan d'urbanisme directeur de la commune de Beni-Ourtilane*, phase finale Rapport général, règlement et documents graphiques. 1989. 41 P.

URBA. SE. *Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme de la commune de Beni-Ourtilane*, phase finale : Rapport d'orientation, règlement et documents graphiques, 1996.

URBA. SE. *Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme de la commune d'Ain Legredj*, phase finale : Rapport d'orientation, règlement et documents graphiques, 1997.

URBA. SE. *Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme de la commune de Beni-Chebana et de Beni Mouhli*, phase finale : Rapport d'orientation, règlement et documents graphiques, 1997.

URBA. SE. *Plan directeur d'occupation au sol de la Zone N°01 du centre Beni-Ourtilane*, phase finale : Rapport et documents graphiques, 2001.

Instruction interministériel consentant l'habitat rural, juillet 2002.

Cartes des limites Administratives de la Wilaya de Sétif (1984), N 19.03 et N° 19.04, Ech ,1/100.000 , Alger : I.N.C.

Carte Touristique d'Algérie, Ech : 1/500.000 , Alger : I.N.C, 1987.

Carte Topographique, AKBOU NJ-31-V-6 Ouest, Ech : 1/50.000, Alger : I.N.C 1991.

Carte Topographique, AKBOU NJ-31-V-6 Ouest, Ech : 1/50.000, Alger : I.N.C 1991.

Carte Topographique, AKBOU NJ-31-V-6 Est, Ech : 1/50.000 , Alger : I.N.C 1991.

Carte Topographique, AKBOU NJ-31-V-62 Ouest, Ech : 1/25.000, Alger : I.N.C 1991.

Cartes Topographiques, AKBOU N° 3.4 & N° 7.8 Ouest, Ech : 1/25.000, 1960.

Photos aériennes du centre de la commune de Beni-Ourtilane, N°47 & N° 48, Ech : 1/20.000, Alger : I.N.C. 1972.

Photos aériennes du centre de la commune de Beni-Ourtilane, N°193 & N°195, Ech : 1/20.000, Alger : I.N.C. 1984.

Photos aériennes du centre de la commune de Beni-Ourtilane, N°272 & N° 274, Ech : 1/20.000, Alger : I.N.C. 1985.

Photos aériennes du centre de la commune de Beni-Ourtilane, Akbou N° 246, N° 249, Ech : 1/10.000 Alger : 1995.

Photos aériennes du centre de la commune de Beni-Ourtilane, Akbou N°132 , N° 133, N°506 et N° 507, Ech : 1/20.000, Alger : I.N.C. 1998.

Photos aériennes du Village Ménades, Akbou N°272, Ech : 1/10.000, Alger : I.N.C. 1995.

Photos aériennes sur divers villages de la commune de Ourtilane, Akbou N°138, N° 178, N°181, N° 240, N°244, N° 281, N°283, N° 286, N°350, N° 394, et N° 463, Ech : 1/20.000, Alger : I.N.C. 1998.

فهـــــرس العـــــناوين (المحـــــتويات)

المقـــــــــــــــــدمة العامة 01

الفصل الاول : التحولات المجالية القروية، أبعاد متعددة لظاهرة واحدة

مقدمة الفصل 12

القسم الأول: تحديد المفاهيم و المنهجية للاقتراب من ظاهرة التحولات في المجال القروي

مقدمة القسم 16

المطلب الأول: مفـــــــــــهوم القرية..... 16

1-1 المفهوم اللغوي..... 16

2-1 المفاهيم الاصطلاحية..... 16

1-2-1 مفاهيم اصطلاحية عامـــة 16

2-2-1 المفهوم الجغرافي للقرية..... 16

3-2-1 المفهوم السوسيولوجي للقرية..... 17

المطلب الثاني: مفهوم الجـــــــــــبل..... 18

2-1 المفهوم اللغـــــــوي..... 18

2-2 المفهوم الاصطلاحـــي..... 18

2-3 تأثير المجال الجبلي على نشاطات الإنسان..... 18

المطلب الثالث: مفهوم التحولات المجالية و المنهجية العامة لدراستها..... 20

3-1 المفاهيم الاصطلاحية للتحـــــــولات..... 20

3-1-1 المفهوم العـــام للتحـــــــــولات..... 20

3-1-2 مفهوم التحولات في علم الحياة..... 20

3-1-3 مفهوم التحولات في علم النفس..... 20

3-2 مفهوم التحـــــــــولات المجالـــــية 20

3-3 المنهجية العامة لدراسة التحولات المجالية 20

خلاصة القسم..... 22

القسم الثاني: المجال القروي الجزائري بين الثبات و التحـــــــــول

مقدمة القسم 23

المطلب الأول: المجال القروي التقليدي الجزائري، عوامل متعددة لتمايز كبير..... 25

1-1العوامل الثقافية والاجتماعية للتمايز في المجال القروي الجزائري..... 25

1-1-1 التنوع الثقافي الاجتماعي لسكان الريف الجزائري..... 25

2-1-1 المجال القروي التقليدي كإسقاط على الأرض للنسق الاجتماعي..... 26
1-2-1-1 العائلة الموسعة وبنية المسكن الريفي..... 27
2-2-1-1 الفرقة (ثادرث) و التنظيم المجالي للقرية..... 30
3-2-1-1 القبيلة و التوطن البشري في الريف الجزائري 30
3-1-1 علاقة البنية الاجتماعية بالهيكلة المجالية في القرية التقليدية الجزائرية 32
2-1 العوامل الاقتصادية والمجال القروي التقليدي الجزائري..... 36
1-2-1 تأثير العوامل الطبيعية على الاقتصاد الريفي التقليدي..... 36
2-2-1 أثر العوامل الاقتصادية على بنية المجال القروي التقليدي..... 39
3-2-1 علاقة الأرض بالاقتصاد، المجتمع والتوطن الريفي التقليدي..... 39
3-1 العوامل الطبيعية و أثرها في المجال القروي التقليدي الجزائري..... 44
1-3-1 عوامل اختيار أماكن توضع القرى التقليدية..... 44
2-3-1 أثر المناخ في تصميم المساكن الريفية التقليدية..... 45
3-3-1 مواد البناء و طرق استعمالها في إنجاز السكن الريفي التقليدي..... 45
المطلب الثاني: المجال القروي الجزائري بين الثبات و التحول 49
2-1 بوادر النظام الرأسمالي وأثره على البنية الريفية التقليدية..... 50
1-1-2 تأثير النظام الرأسمالي على طبيعة ملكية الأرض في الجزائر..... 50
2-1-2 أثر النظام الرأسمالي في أساليب وطرق استغلال الأرض 52
2-2 المجتمع التقليدي الريفي في تحول..... 54
1-2-2 الهجرة الريفية و تطور أسبابها 54
2-2-2 التغير و الثبات في البنية الاجتماعية و الاقتصادية الريفية الجزائرية..... 55
3-2-2 تطور بنية العائلة و هيكلة المجتمع و تجلياته المجالية..... 56
3-2 السياسات التنموية الريفية و أثرها في المجال الريفي الجزائري..... 59
1-3-2الاستيطان الفرنسي و سياساته في التوطن الريفي..... 60
1-1-3-2 بداية الاستيطان الفرنسي و أشكاله..... 60
2-1-3-2 سياسة مراكز التجميع (Centres de regroupement) 63
2-3-2 سياسات التنمية الريفية بعد الاستقلال..... 67
1-2-3-2الثورة الزراعية الأهداف، التطبيق و ردود الأفعال..... 68
1-1-2-3-2 أهداف الثورة الزراعية 68
2-1-2-3-2 تطبيق الثورة الزراعية الآليات و ردود الأفعال..... 69
1-2-1-2-3-2 القرى الاشتراكية، نقاط القوة ونقاط الضعف..... 70
4-2 التوجه الحالي لسياسة التنمية الريفية بالجزائر..... 78

2-4-1 سياسة التجديد الريفي، تجربة في المهد..... 78
2-4-1-1 بعض الجوانب التحضيرية لسياسة التجديد الريفي..... 80
2-4-1-2 المبادئ الأساسية لسياسة التجديد الريفي..... 81
2-4-1-3 برنامج دعم التجديد الريفي..... 81
2-4-1-4 المشروع الجواري للتنمية الريفية المدمجة (P.P.D.R.I) 82
2-5 المجال القروي الجبلي القبائلي و إشكالية التحول..... 84
2-5-1 مرحلة ما قبل الاحتلال الاستيطاني الفرنسي..... 84
2-5-2 مرحلة الاحتلال الاستيطاني الفرنسي أو الزلزال المجالي الكبير..... 86
2-5-3 تحولات ما بعد الاستقلال أو الورشة الدائمة..... 88
خلاصة القسم 90
خلاصة الفصل الأول..... 91

الفصل الثاني: بني ورثيلان الطبيعة الإنسان و العمران

مقدمة الفصل 92
القسم الأول : بني ورثيلان، الخصائص المجالية و الطبـــــيعية
مقدمة القسم 93
المطلـــــب الأول: المـــــوقع..... 93
1-1 بني ورثيلان الدائرة..... 93
1-2 بني ورثيلان البلدية 93
1-3 مركز الدائرة..... 93
1-4 محاور المواصلات..... 96
المطـــــلب الثاني: الخصائص الطبيعية..... 99
2-1 التضاريس 99
2-2 المناخ..... 99
2-3 الماء بين الماضي و الحاضر..... 99
2-4 الغطاء النباتي و المشهد الزراعي..... 104
خلاصة القسم..... 105
القسم الثاني: بني ورثيلان، الدراسة العمرانية و المعمارية
مقدمة القسم 107
المطلب الأول: لمحة تاريخـــــــــــية..... 108
1-1 الفترة القديمة (La période antique)..... 108

1-1-1 مواقع أثرية تعود إلى الفترة القديمة 108
أ. موقع إغرمان الأثري ببلدية عين لقراج 108
ب. موقع ثِغرمين أُو لْـــمُوثَنْ بالقرب من حْدِيدْ و ولاد شيبة ببلدية بني شبانة 109
ت. موقع ثِغْرَمْتْ نَطَّرْحَ بقرية الشرفة أُوفَلا ببلدية عين لقراج..... 109
ث. موقع أَخْريبْ نَتْرُومِيثْ بقرية تِيشِي ببلدية بني موحلي..... 109
ح. مواقع أخرى..... 109
2-1 فترة العصور الوسطى إلى العصر الحديث..... 113
1-2-1 التجارة 113
2-2-1 التربية والتعليم 113
3-2-1 السياسة..... 114
المطلب الثاني: المظهر العمـــــراني العـــــام..... 115
1-2 النسيج العمراني التقليدي..... 115
2-2 بقايا النسيج العمراني الاستعماري..... 115
3-2 النسيج العمراني الانتقالي 116
4-2 تجمعات السكنات التطورية..... 116
المطلب الثالث: الدراسة العمرانية و المعمارية للتجمع العمراني " مركز بني ورثيلان"..... 119
1-3 تحليل البنية المجالية للتجمع العمراني مركز بني ورثيلان..... 119
1-1-3 أنماط المباني من حيث الوظيفة و الاستغلال..... 119
2-1-3 تقسيم التجمع العمراني إلى وحدات مجالية 121
1-2-1-3 القرى العتيقة..... 121
أ. قرية فانتيكلت..... 121
ب. قرية إغيل أوفلا 126
ت. قرية آنـــــــو 126
2-2-1-3 النسيج العمراني الحديث..... 127
أ. الجـــــــــمعة..... 128
ب . التوسعات الخطية و النقطية على طول ط .و رقم 74 و الطريق الولائي رقم 04..... 133
المطلب الرابع: قرية منادس، دراسة معماري وعمرانية..... 136
1-4 البنية المجالية العامة لقرية منادس و ما جاورها..... 136
1-1-4 الإطار المبني..... 136
1-1-1-4 النسيج العمراني القديم..... 136
2-1-1-4 النسيج العمراني الانتقالي 139

4-1-1-3 النسيج العمراني الحديث 139
4-1-2 شبكة الطرقات 141
4-1-3 الأراضي الزراعية 141
4-1-4 الأحراش و الأدغال..... 141
4-1-5 مصادر المياه..... 141
المطلب الخامس: قرية شلحاب، دراسة معمارية وعمرانية..... 143
5-1 البنية المجالية لقرية شلحاب و ما حولها 143
5-1-1 الإطار المبني 143
5-1-2 شبكة المسالك و الدروب 145
5-1-3 الأراضي الزراعية 145
5-1-4 الأحراش و الأدغال..... 145
خلاصة القسم 145
القسم الثالث: بني ورثيلان، الدراسة الاجتماعية الاقتصـــــادية
مقدمة القسم..... 147
المطلب الأول: بني ورثيلان، دراسة سكانية و ديموغرافية 147
1-1 الكثافة السكانية..... 147
1-2 النمو السكاني..... 148
1-3 توزع السكان حسب طبيعة التجمعات العمرانية..... 150
1-4 الحركية السكانية (Mobilité démographique)..... 151
1-5 البنية السكانية حسب الجنس و العمر..... 153
المطلب الثاني: الشغل و النشاط الاقتصادي في دائرة بني ورثيلان..... 155
2-1 مصطلحات و أرقـــــــــــام..... 155
2-2 توزيع السكان المشتغلون حسب نوع النشاطات الاقتصادية..... 157
المطلب الثالث: بعض خصوصيات القطاع الفلاحي بدائرة بني ورثيلان..... 158
3-1 توزيع المستثمرات الفلاحية على مستوى دائرة بني ورثيلان..... 159
3-2 زراعة أشجار التين و الزيتون بدائرة بني ورثيلان..... 160
خلاصة القسم 161
خلاصة الفصل الثـــــــاني 162
الفصل الثالث : التحولات المجالية القروية بين الواقـع و المـأمول
مقدمة الفصل 164
القسم الأول: حيثيات عملية تشكل وتحول المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان

مقدمة القسم..... 165
المطلب الأول: البنية المجالية للقرية القبائلية التقليدية بمنطقة بني ورثيلان وغيرها من المناطق القبائلية 165
1-1مكونات القرية القبائلية التقليدية 166
1-1-1 ثاجماعث (Thadjmath)..... 166
1-1-2 الزقاق (أزنيق La ruelle) 167
1-1-3 المسالك بدون منفذ (L'Impasse) 167
1-1-4 أسقيف (Asquif) 167
1-1-5 الحارة (El'Hara)..... 167
1-1-6 أحام (Axxam) 167
المطلب الثاني: المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان بين عوامل الثبات والتحول 171
2-1 التوطن البشري بمنطقة بني ورثيلان بين الماضي والحاضر..... 171
2-2 عملية تشكل وتحول المجال القروي بمنطقة بني ورثيلان..... 177
2-2-1 مراحل تشكل وتحول النسيج العمراني لقرية منادس..... 177
أ.مرحلة ما قبل 1962 م..... 178
ب. مرحلة ما بين 1962 إلى 1978م..... 181
ت. مرحلة ما بين 1978 و 1987 م..... 181
ث.مرحلة مابين 1987 و 1995م..... 181
ح. مرحلة مابين 1995 و2007 م..... 183
2-2-2 مراحل عملية تشكل النسيج المجال العمراني للتجمع المركزي ببني ورثيلان..... 188
المطلب الثالث: تطور السكن الريفي في منطقة بني ورثيلان..... 193
3-1 تطور السكن الريفي في منطقة القبائل على ضوء بعض الدراسات السابقة..... 193
3-2 عملية تشكل و تحول السكن الريفي بمنطقة بني ورثيلان دراسة عينة..... 200
أ. المرحلة الأولى 201
ب. المرحلة الثانية..... 201
ت. المرحلة الثالثة..... 204
ث. المرحلة الراهنة 207
خلاصـــة القـــــسم 211
القسم الثاني: مستقبل المجال القروي بين حتمية التغيير وأفاق الترشيد
مقدمة القسم..... 212
المطلب الأول: خصائص التوجه الحالي لعملية تشكل وتحول المجال القروي 213

1-1 تعدد الأطراف الفاعلة وتباين أهدافها..... 213
2-1 تحول قيم التنظيم الاقتصادي من الاكتفاء إلى العجز المحلي..... 214
3-1 التوجه نحو الاستقرار في التجمعات السكنية المركزية..... 215
4-1 استمرار ظاهرة النزوح نحو المدن..... 216
5-1 تدهور النسيج العمراني القروي التقليدي..... 216
6-1 تحول نمطية السكن الريفي عن ماضيه..... 216
7-1 استحداث سياسة تنمية ريفية جديدة..... 217
المطلب الثاني: اقتراحات و سبل لترشيد التوجه الحالي لتحول المجال القروي..... 218
المطلب الثالث: تساؤلات جديدة حول ظاهرة التحولات المجالية في المجال القروي..... 219
خلاصـــة القـــــسم 220
خلاصـــة الفصل الثالث..... 221
الخـــــــــــــــــــــاتمة 222
المـــــــــــــــــــــراجع..... 223
الفـــــــــــــــــــــهارس 234
الملاحـــــــــــــــــــــق..... 248

فهرس الأشـــــــــــــــــــــــــكال

الرقم	عنوان (موضـــــــــــــــــــــــــوع) الشكل	الصفحة
1	قرية بومنصور ببلدية إعكورن ولاية تيزي وزو	2
2	التوجه العمراني الحالي في القرى القبائلية الجبلية	2
3	قرية بني يني بأعالي جبال جرجرة	3
4	مخطط عام لمدينة تيزي وزو	3
5	أهم أنماط مخططات القرى	15
6	تمثيل بياني لنظرية جمس ستيوارت لتكوين المكان (Theory of place)	21
7	النموذج العام للبنية الاجتماعية الجزائرية التقليدية	26
8	مخطط لدار (مسكن) تقليدية بمنطقة ريفية عربية	28
9	مخطط لــ "أخام- حارة" مسكن العائلة الكبيرة بمنطقة القبائل	28
10	تطور السكن الريفي انطلاقاً من مسكن الأبوين	29
11	هيكلة التوطن الريفي في منطقة القبائل	31
12	المظهر العام لقرية ارباعية في منطقة الشاوية	34
13	المظهر العام لقرية في منطقة القبائل	34
14	المظهر العام لقرية مساي قبيلة ولاد صابر بالسهول العليا	34
15	جماعة (لغرابة) بقرية مساي قبيلة أولاد صابر بالسهول العليا	35
16	ثاجمعث بقرية ثيلمثين بالقبائل الكبرى	35
17	جماعة بقرية بليجوهود بالأوراس	35
18	رسم توضيحي لتمايز أنماط التوطن الريفي التقليدي حسب تنوع الظروف الطبيعية و الاجتماعية	38
19	إكوفان وسيلة تخزين المحصيل الزراعية الجافة بمنطقة القبائل	40
20	إكوفان وسيلة تخزين المحصيل الزراعية الجافة بمنطقة القبائل	40
21	مخطط لمنزل تقليدي لقرية مساي ، أولاد صابر بسطيف	41
22	مخطط لمنزل تقليدي بقرية أبث علي اومحند بمنطقة القبائل الكبرى	42
23	تعدد و تمايز أشكال السكن في الريف الجزائري من منطقة إلى أخرى	47
24	تطور إنتاج الكروم والحبوب خلال أربع عشريات من الاستيطان الفرنسي	53
25	تطور مركز القرار من الوالد إلى الأبناء في المجتمع الجزائري	58
26	مخطط قرية مخزن مصممة من طرف رتشارد سنة 1848م	61
27	مخطط سمال التنس، قرية لتوطين السكان المحليين (الجزائريين) أسسها لاباسيه سنة 1945 م قرب مدينة التنس	61

28	قرية ولاد فارس	62
29	مخطط قرية جديدة من تصميم مارتنبيري سنة 1850م	62
30	مخطط نموذجي لمراكز التجميع (Centres de regroupement)	65
31	منظر عام على أحد مراكز التجميع	65
32	قرية دلامتي (Dalamties)	66
33	قرية سانت مارقريت (Saint Margurite)	66
34	القرية الاشتراكية الأنكور بقسنطينة	75
35	عينات من مخططات مساكن القرى الاشتراكية	75
36	مخطط عام للقرية الاشتراكية دية الترفاس	76
37	تمثيل بياني عام لسياسة التجديد الريفي الجزائرية	79
38	مقطعين طوبوغرافيين على منطقة بني ورثيلان أ-أ و ب-ب	101
39	تمثل تجسيم لتضاريس منطقة بني ورثيلان	102
40	جانب من المظهر العمراني للتجمع المركزي ببني ورثيلان ســـــــنة 2003م	118
41	تطور النمو الطبيعي للسكان بدائرة بني ورثيلان مابين 1977 و1998م	149
42	توزيع السكان حسب طبيعة التجمعات السكانية بدائرة بني وورثيلان، مقارنة بين التعداد السكاني العام 1987 و تعداد 1998م	150
43	تمثيل بياني لدخول وخروج السكان إلى ومن منطقة الدراسة مابين 1995 و2004 م	153
44	الهرم السكاني لدائرة بني وثيلان لعام 1998م	154
45	توزع سكان منطقة بني ورثيلان حسب وضعيتهم في سوق العمل لعام 1998م	156
46	توزيع السكان المشتغلون بلديات دائرة بني ورثيلان على القطاعات الاقتصادية	157
47	تمثيل بياني لتوزيع المستثمرات الفلاحية على بلديات دائرة بني ورثيلان.	160
48	تمثيل بياني لتوزع زراعة أشجار التين و الزيتون في بلديات دائرة بني ورثيلان	161
49	مخطـــط الكتلة لقرية شلـــحاب	168
50	رسم توضيحي لمكونات المسكن التقليدي القبائلي أخام	170
51	مخطط أهم الدروب القديمة التي تمر على قرية منادس	179
52	جزء من خريطة السناتوس كمونسيلت لدوار بني ورثيلان	189
53	رسم مبسط لشبكة القرى، المسالك و الدروب القريبة من مكان السوق الأسبوعي ببني ورثيلان1889.	189
54	رسم مبسط لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 1972	190
55	رسم مبسط لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 1984	190
56	رسم مبسط لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 1998	191

57	رسم توضيحي لعملية التوسع الأفقي للمسكن التقليدي القبائلي	198
58	مخطط موقع حارة العائلة(ك.ب) ضمن النسيج العمراني لقرية منادس	202
59	مخططات تبين تطـــــور المسكن التقليدي للعائلة (ك.ب)	202
60	موقع المسكن الثاني لعائلة (ك.ب) ضمن النسيج العمراني لقرية منادس	203
61	مخطـــــطات المســـكن الثاني لعائـــــلة (ك.ب) بقرية مـــنادس	203
62	مخطط موقع المسكن الثالث لعائلة (ك.ب) ضمن النسيج العمراني لقرية	205
63	مخطـــــطات المســـكن الثالث لعائـــــلة (ك.ب) بقرية مـــنادس	206
64	مخطط الطابق الأرضي للمسكن الرابع للعائلة (ك.ب) بقرية منادس	208
65	مخطط الطابق الأول للمسكن الرابع للعائلة (ك.ب)	209
66	مخطـــــــط الطـــــابق الثاني للمسكن الرابع للعائلة (ك.ب)	209
67	موقع منزل العائلة النووية المنفصلة عن العائلة الموسعة (ك،ب) ضمن النسيج العمراني لقرية منادس	210

فهرس الخـــــــــــــــــــــــرائط

الرقم	عنوان (موضـــــــــــــــــــــــوع) الخريطة	الصفحة
1	الحدود الإقليمية لدائرة بني ورثيلان حسب التقسيم الإداري الجاري	94
2	موقع منطقة بني ورثيلان ضمن الإطار الجغرافي الجهوي	95
3	موقع دائرة بني ورثيلان ضمن المجال الولائي	97
4	أهم القرى و الطرق المؤدية إليها بمنطقة بني ورثيلان	98
5	دائرة بني ورثيلان مقسمة إلى نطاقات مجالية حسب الارتفاع عن سطح البحر	103
6	دائرة بني ورثـــــــــيلان، المجاري و الأحـــــــــــواض المائية	106
7	دائرة بني ورثيلان أهم المواقع الأثرية القديمة و القرى القديمة المهجورة	110
8	خريطة التجمع العمـــــــــــــــراني مركز بني ورثيـــــــــلان.	122
9	قرية فانتيكلت البنية المجالية العـــــــــــــامة	124
10	البنية المجالية للجمعة، عقر مركز التجمع الحضري لدائرة بني ورثيلان	130
11	البنية المجالية لقرية منادس وما جاورها سنة 2004م	142
12	قرية شلحاب، البنية المجالية الحالية	144
13	تطور التسميات الإدارية بمنطقة أقصى شمال ولاية سطيف	173
14	البنية المجالية لقرية منادس سنة 1962م	180
15	البنية المجالية لقرية منادس سنة 1978م	182
16	البنية المجالية لقرية منادس سنة 1987م	183
17	البنية المجالية لقرية منادس سنة 1998م	186
18	البنية المجالية لقرية منادس سنة 1987م	187

فهرس الصـــــــــــــــــــــور

الرقم	عنوان (موضـــــــــــــــــــــوع) الصـــــورة	الصفحة
1	التجمع العمراني المركزي ببلدية بني موحلي، صورة مأخوذة بالصاتل	10
2	التجمع العمراني المركزي ببلدية عين لقراج، صورة مأخوذة بالصاتل	10
3	قرية فريحة، مارس 1992م	11
4	قرية أقمون نايث عيسى، صائفة 2004م	11
5	الجمعة: عقر التجمع العمراني بمركز بني ورثيلان.	11
6	قرية في اليزونو، سديمية الهيئة	13
7	قرية كمبودية، خطية الشكل	13
8	قرية جبلية في سويسرا، متراصة الهيئة	13
9	قرية حاوسة بالنيجر، سديمية الهيئة	13
10	قرية مسامي في كينيا، دائرية الشكل	13
11	قرية سينوفو في ساحل العاج، متراصة	13
12	القلعة وسيلة تخزين المحصل الزراعية بمنطقة الشاوية	40
13	جبل أزري أقصوري من أبرز التضاريس بمنطقة بني ورثيلان	100
14	واد حريرة، الثاني من حيث التدفق في منطقة بني ورثيلان	100
15	جبل أزرو من أبرز التضاريس بمنطقة بني ورثيلان	102
16	حجر مصقوب ذو أبعاد كبيرة(Mégalithique) يعود إلى الفترة القديمة، الشرفة ، في ساحة المســـجد	111
17	حجر مقصوب على شكل إناء كبير عثر عليه في موقع ثِغْرَمْتْ نَطَّــرْحَ، مدخل مسجد قرية الشرفة	111
18	موقع إغرمان الأثري، ضريحين متجاورين محفورين في صخرة	112
19	موقع إغرمان الأثري، الوضع الحالي لموقع الكنيسة القديمة يتلخص في الإهمال وعدم الاهتمام	112
20	ضريح به بقايا عظمية عند مدخل الكنيسة بموقع إغرمان أكتشف خلال حفريات الفترة الاستعمارية	112
21	جوانب من بقايا الكنيسة بموقع إغرمان الأثري، اكتشفت خلال الحفريات الاستعمارية	112
22	جوانب من بقايا الكنيسة بموقع إغرمان الأثري، اكتشفت خلال الحفريات الاستعمارية	112
23	قرية ثاڤرانوث مارس 1992م	117
24	بقايا بناية لمعسكر فرنسي بني بقرية إغيل نايث	117
25	تجمع كنديان للسكنات التطورية بلدية بني ورثيلان	118
26	صورة جوية للتجمع العمراني المركزي لدائرة بني ورثيلان سلم 20000/1، 1998م	120
27	المظهر العمراني لقرية فانتيكلت	124
28	مدخل قرية آنو	127

29	قرية آنو، النسيج العمراني التقليدي	127
30	قرية إغيل أفلا	127
31	الجمعة، عقر التجمع العمراني مركز بني ورثيلان	131
32	الجمعة، الطريق جانب من الشارع الرئيس	131
33	الجمعة، احد الشوارع يوم الجمعة السوق تعج بمن يقصدها و الحيوية تدب في كل مكان	132
34	الجمعة، جانب من السوق الأسبوعية	132
35	حي أمقروذ وجانب من الحي المجاور له	134
36	حي أمقروذ يفتقر إلى الحيوية التي يتمتع بها التجمع العمراني المركزي ببني ورثيلان	134
37	حي أمقروذ، الزلزال مر من هنا وهذا الأثر	134
38	قرية منادس، منظـــــــــــــــر عام	137
39	صورة جوية لقرية منادس سلم: 10000/1، 1998	137
40	قرية منادس، أفراق (ساحة) حارة عائلة (خ- ر)	138
41	قرية منادس، حارة عائلة (ك-ب)	138
42	أحد مكونات (أخام) الأساسية (لكذر)	138
43	مدخل ثاعريشت في أخام عائلة (ك،ب)	138
44	صورة لقرية منادس مأخوذة بالصاتل سنة 2002 م على أقل تقدير	140
45	قرية شلحاب، أطلال القرية تشهد على تجذر التوطن بها	146
46	قـــــرية شلحـــاب، مبنى المسجد و ثاجمعث في آن واحد	146
47	قـــرية شلحـــاب، الزقاق الرئيسي للقرية (أو أزنيق) باللغة المحلية وهو فضاء عمومي يتخلل نسيج القرية	146
48	صورة لقرية شلحاب مأخوذة بالصاتل سنة 2002 م على أقل تقدير.	146
49	صورة مأخوذة بالصاتل لحالة النسيج العمراني لمركز بني ورثيلان سنة 2006	191
50	مدخل المسكن الأول (التقليدي) للعائلة (ك.ب) بقرية منادس	202
51	المدخل الرئيس للمنزل الثاني للعائلة (ك.ب) بقرية منادس	203
52	واجهة المســـكن الثالث لعائـــــلة (ك.ب) من داخل الحديقة	205
53	صور ة مأخوذة بالصاتل على المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية لجبل بوموسى بعين لقراج	208

فهرس الجـــــــــــــــــــــــــداول

الرقم	عنوان (موضـــــــــــــــــــــــــــوع) الجدول	الصفحة
1	تطور مساحة أراضي المعمرين خلال قرن من الزمن	52
2	تطور هجرة الجزائريين نحو فرنسا خلال أربع عشريات و نصف العشرية قبل بداية الثورة التحريرية	55
3	حالة السكنات بقرية إغيل أوفلا سنة 1996م.	126
4	حالة السكنات بقرية آنو سنة 1996م.	128
5	حالة منشآت المرافق العمومية "بالجمعة" و شعاع تأثيرها	129
6	تطور الكثافة السكانية بمنطقة بني ورثيلان ما بين 1987و 1998 م	148
7	تطور النمو الطبيعي للسكان بدائرة بني ورثيلان ما بين 1977 و 1998 م	149
8	توزيع السكان حسب طبيعة التجمعات السكانية بدائرة بني ورثيلان، مقارنة بين 1987 و 1998م	150
9	معطيات متغيرات الحركية السكانية خلال 9 سنوات ما بين 1995 م و 2004م	151
10	معطيات حول خروج و دخول السكان من و إلى منطقة الدراسة ما بين سنة 1995م و 2004م	152
11	المعطيات السكانية حسب الجنس و العمر لمنطقة بني ورثيلان لعام 1998م	153
12	تقسيم السكان إلى ثلاث شرائح عمرية أساسية استنادا إلى معطيات 1998م	154
13	معطيات توزيع السكان حسب و وضعيتهم في سوق العمل على مستوى بلديات بني ورثيلان لعام 1998م	156
14	معطيات توزيع السكان المشتغلون ببلديات دائرة بني ورثيلان على القطاعات الاقتصادية لعام 1998م	157
15	معطيات حول مساحات الأراضي المختلفة بمنطقة بني ورثيلان لعام 2000م	158
16	معطيات توزيع المستثمرات الفلاحية على بلديات دائرة بني ورثيلان لعام 2000م	159
17	معطيات توزيع إنتاج التين و الزيتون على بلديات دائرة بني ورثيلان لعام 2000م	160
18	قبائل وقرى منطقة بني ورثيلان عند بداية الاحتلال الفرنسي	171

المـــــــلاحق

ملحق رقم (01) : قائمة قرى و مداشر بني ورثيلان.

ملحق رقم (02) : مقترح مشروع التنمية الجوارية لقرية زاكو عام 2006م.

ملحق رقم (03) : مخططات التهيئة العمرانية لمركز بني ورثيلان من 1981 إلى 2001م

ملحق رقم (04) : معجم صغير عن المنزل القبائلي و محيطه (AMAWAL).

ملحق رقم (03) : مخططات التهيئة العمرانية لمركز بني ورثيلان من 1981 إلى 2001م

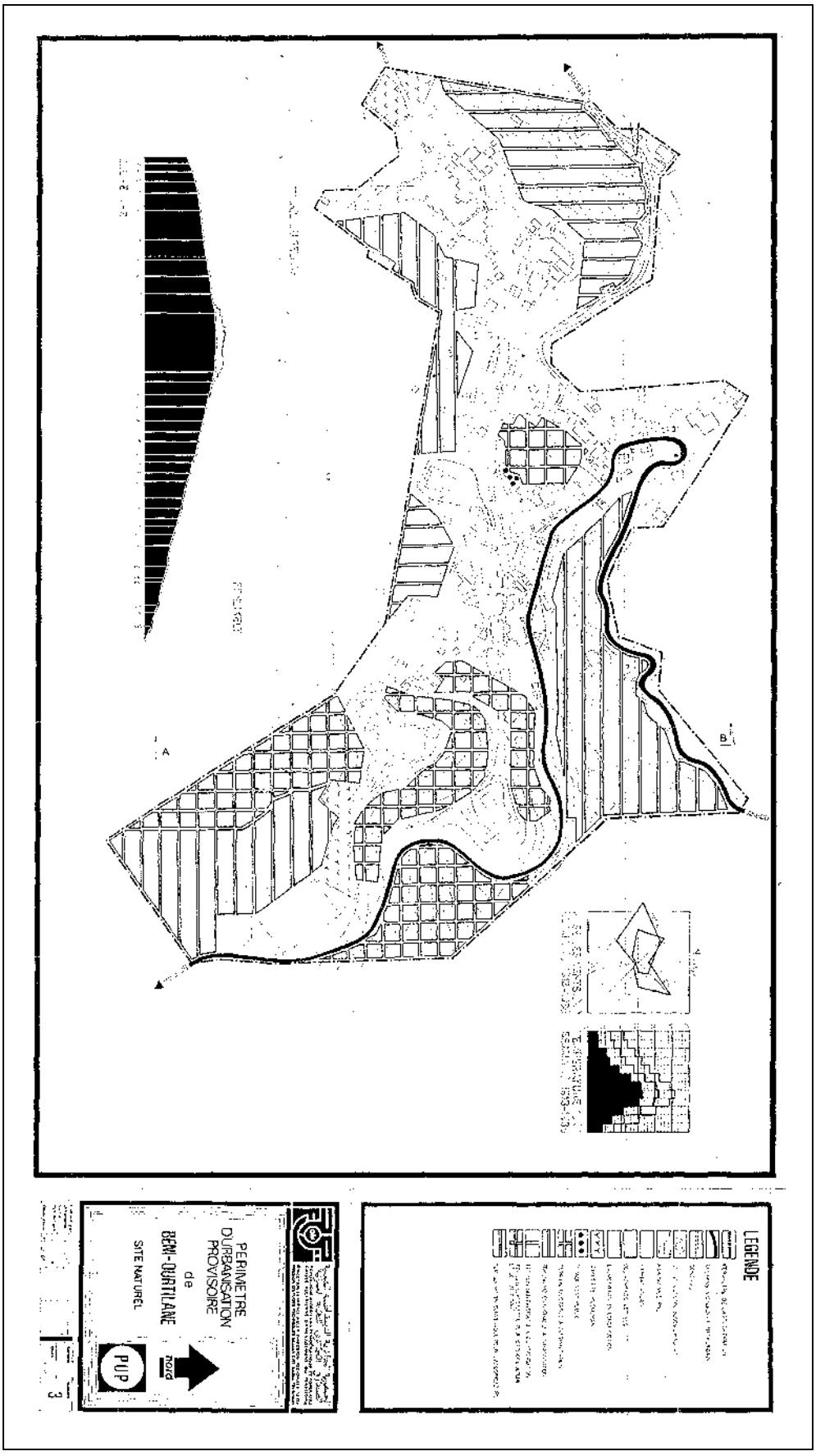

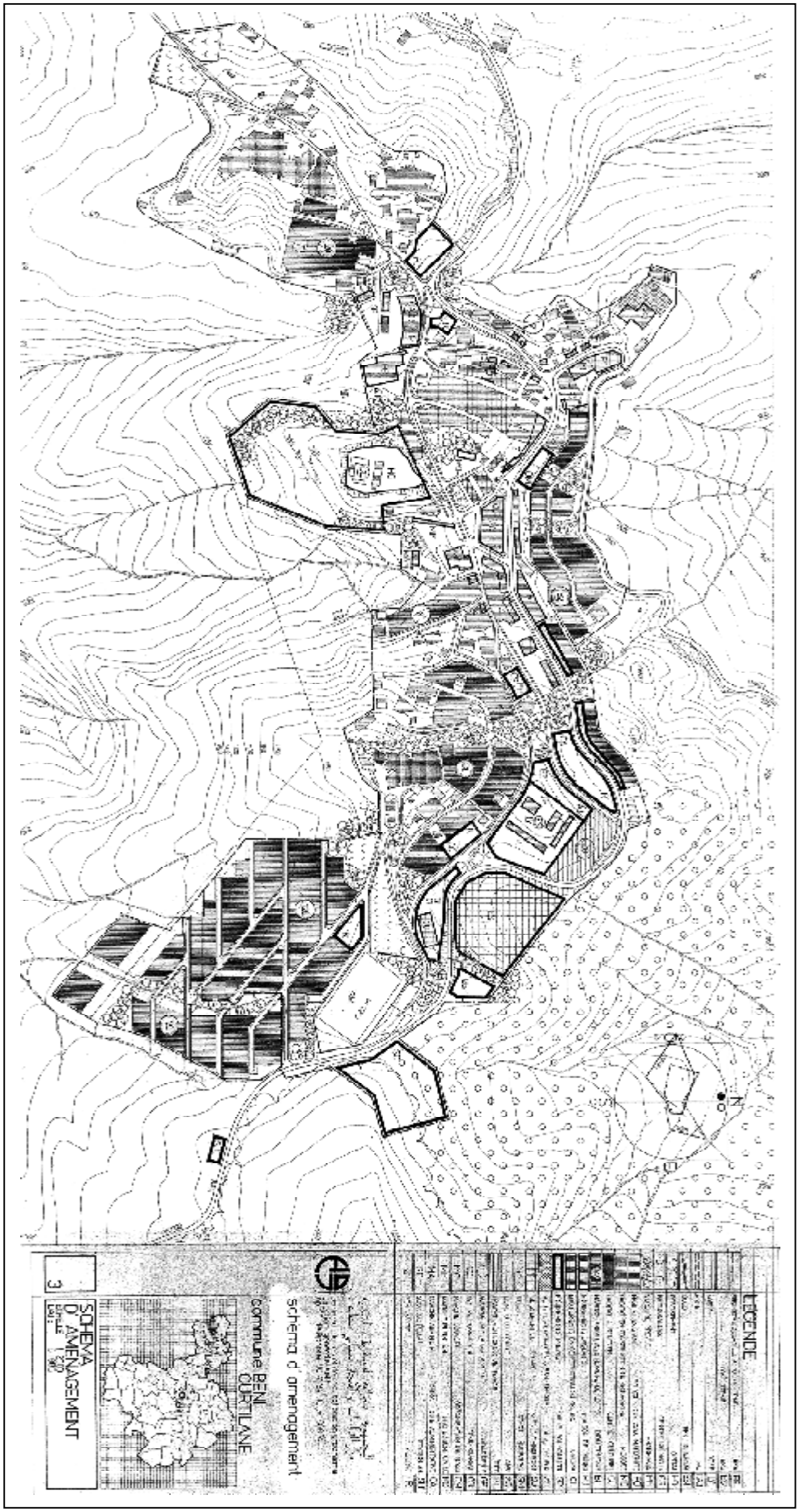
LEGENDE
Schema d amenagement
commune BENI OURTILANE
SCHEMA D'AMENAGEMENT
3

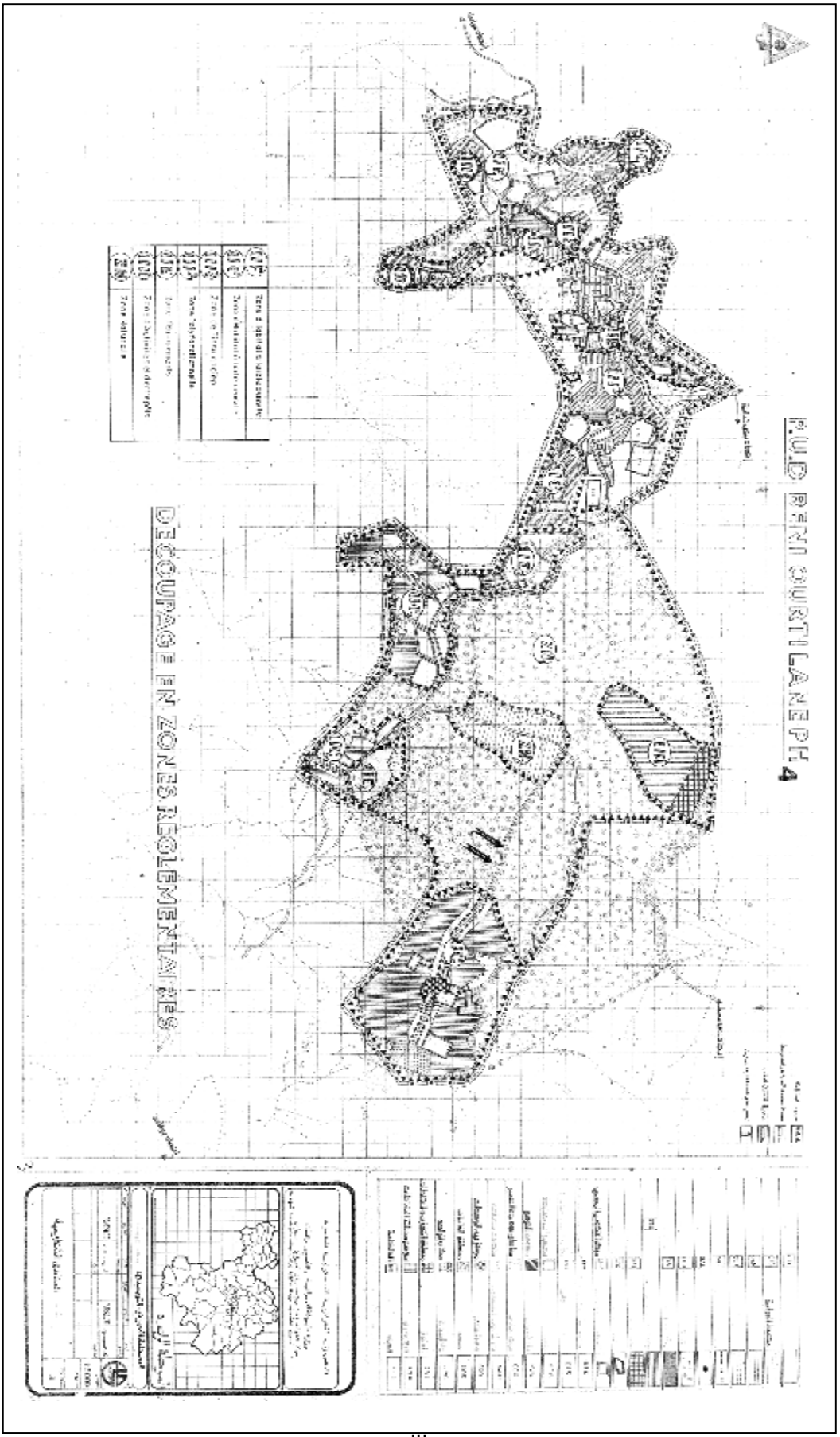
P.U.D BENI OURTILANE PH 4
DECOUPAGE EN ZONES REGLEMENTAIRES

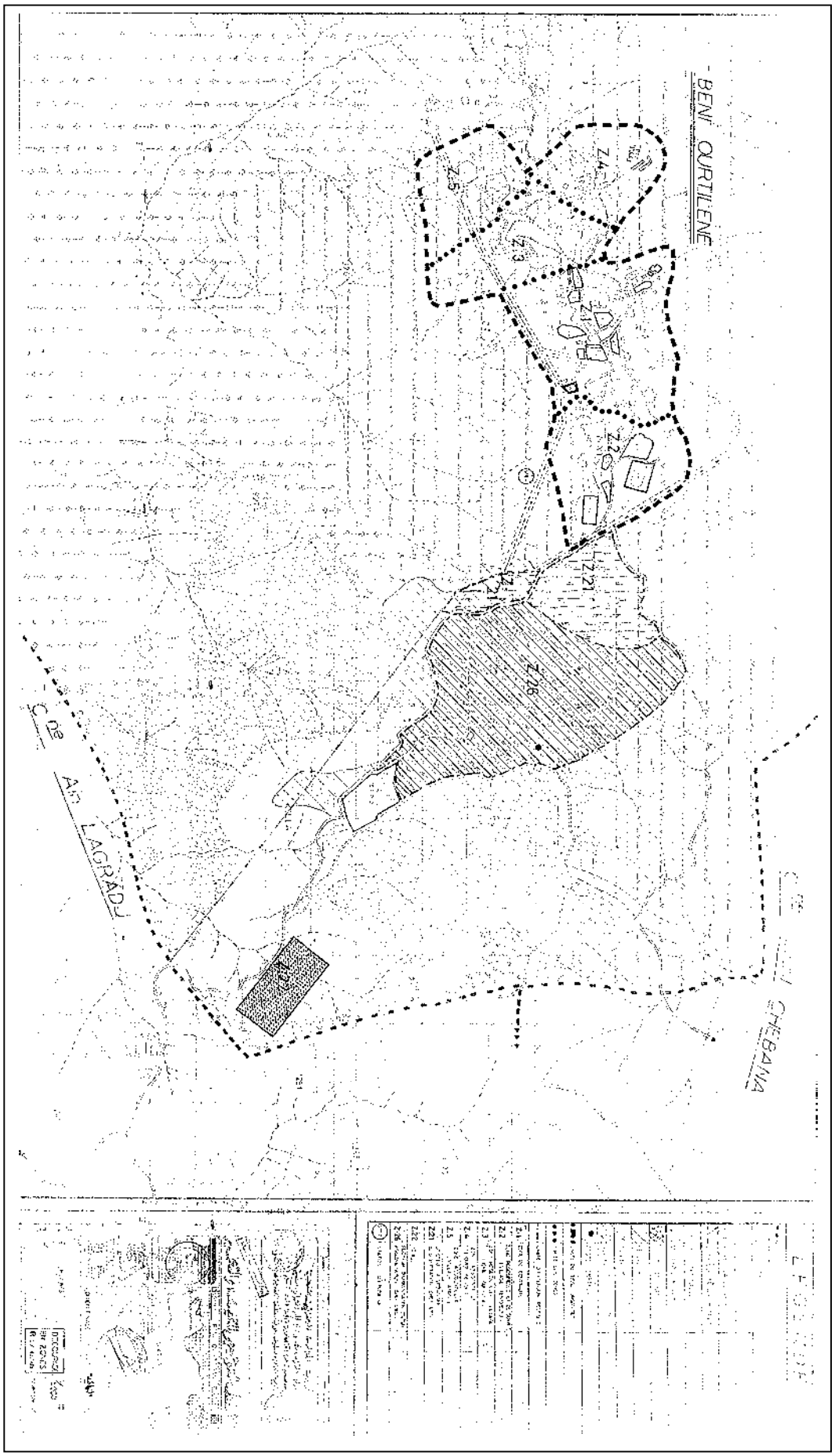
BENI OURTILENE
Z4
Z5
Z3
Z2
Z1
Z28
Z27
Z21
CHEBAMA
AIN LAGRADJ

مخطط شغل الأراضي
بني ورثيلان
2
1
مخطط شغل الأراضي
بني ورثيلان
2
1

ملحق رقم (04): معجم صغير عن المنزل القبائلي و محيطه (AMAWAL).

Le mot	Le sens	المعنى	الكلمة
Amrar	corde	حبل	أَمْرَارْ
Srir	lit	سرير	سْرِيرْ
Lekdar ou Addekwan	sorte de marche haute de 60 cm construite du coté du mur faisant face à taâricht	عتبة ذات ارتفاع قدره 60 سم تبنى عل طول الجدار المقابل لثاعرشث	لَكْذَرْ أو أَدْكَانْ
Tacraft	partie intérieur du mur faisan face à taâricht	الجانب الداخلي للحائط المقابل لثعرشث.	ثَكْرْفَتْ
Tuggi(pl, tuggiwin) ou Lakloul	Ustensiles de cuisine	أواني مترلية	ثِيقِي
Tasedart	marche sous tadekkwant	عتبة تحت ثادكانت	ثَسْبْدَرْثْ
Lemdawed	mangeoires des animaux		لَـــمْدُوذْ
Tisirth	moulin à bras	أداة رحي يدوية	ثِيسِيرْثْ
Azetta	métier à tisser	مهنة الغزل	أَزْطَا
Tzulight	rigole	مجرى	ثَزُلِيغْثْ
N'nif	symbole du point d'honneur viril	الأنفة	نِيفْ
Elhorma	symbole de virilité masculine protecteur de l'honneur féminin	الحرمة	حُرْمَة
Tinbdatin	partie intérieur des murs longitudinaux de la maison	الجوانب الداخلية للجدران الطولية لأخام	ثِينْبْدَثِينْ
Elkoucha	four conçu pour la fabrication de la tuile	فرن لصناعة القرميد	اَلْكُشَ
Aquermud	tuile	قرميد	أَقَرْمُوذْ
Sqef	toiture	سقف	سْقَفْ
Lamtassar ou Lemterd	plat en bois ,	آنية خشبية	لَـــمْتَسَرْ أو لَـــمْتَرْذْ

Tagrurt	réduit pour le petit bétail	فضاء لتربية الحيونات الصغيرة	**ثَغْرُرْثْ**
Ajgu	pilier central supportant la toiture	دعامة رئيسية	**أَجْقُو**
Tigidhit	pilier latéral supportant la toiture	دعامة	**ثَقْجْذَيثْ**
Assalas alemas	poutre centrale supportant la toiture	العارضة الوسطى	**أَسَلَسْ أَلَـــمَّسْ**
assalas aderfi	poutre latérale supportant la toiture	العارضة الجانبية	**أَسَلَسْ أَذَرْفِ**
Elhid ou essor	mur	جدار	**اَلْحِيطْ أو اسُّورْ**
Aghanim (pl, ighonam)	roseaux	قصب	**أَغَنِمْ جمع إِغُنَمْ**
Tizikert (pl, tizukwar)	fil végétal utilisé pour attacher les roseaux	خيط نباتي يستعمل لربط القصب عند إنجاز السقف	**ثِزِكَرْثْ**
Idh'ni	tige d'irisée dans certaines régions à la place des roseaux	عود الديس	**إِذْنِ**
tachita-nt-tzemurth	branche d'olivier	غصن زيتون	**ثَشِطَ نْتْزْمُرْثْ**
Tawrirt	colline	هضبة	**ثَوْرِرْثْ**
Taguemount	mamelon	مرتفع	**ثَقْمُونْتْ**
Aguwni	plateau	سهل	**أَقُنِي**
Aarch ou l'aârch	division topographique avec des limites naturelles définissant un groupements de localités	عرش	**عَرْشْ أو لْعَرْشْ**
Adrum (pl, Iderman)	groupement de plusieurs "ixeruban" pluriel de "axerub" ,	مجموعة إخربان	**أَذْرُمْ جمعه إِذَرْمَانْ**
Axerub	groupement de familles liées par une descendance commune	مجموعة عائلات من جد واحد	**أَخْرُبْ**
Axxam (pl,ixxaman)	maison	منزل	**أَخَامْ**
Imesennden	groupement de familles de nom et d'origine différents au niveau d'un axerub ,	تجمعات لعائلات من أصول مختلفة	**إِمْسَنْدَنْ**

Tajmâat	lieu d'assemblée de village	مكان اجتماع الرجال في القرية	**ثَاجْمَعْثْ**
Tajmâat lâakal	réunion des notables	مجلس العقال	**ثَاجْمَعْثْ اَلْعُقَّالْ**
Tamen	répondant de axerub qui le représente aux assemblées de tajmâat-lâakal	ممثل أخوب في مجلس العقال	**تَمْنْ**
L'amin	agent d'exécution des décisions de tajmâat	رئيس ثاجمعث	**لَمِينْ**
Takbil ou qabila (de l'arabe)	dernier terme de série fédérative chez les kabyles	القبيلة	**ثَقْبِيلْتْ (القبيلة بالعربية)**
Avridh	chemin	الطريق	**أَبْرِيذْ**
Aznik	ruelle	الزنيقة	**أَزْنِيقْ**
Taxxamth	extension horizontale de "axxam"	توسيع عمودي لأخام	**ثَاخَمْتْ**
Taghotfets	extension verticale de "taxxamth"	توسيع أفقي لثاخمت	**ثَاغُرْفَتْ**
Tabburt (pl,tibbura)	port	باب الساحة	**ثَابُورْثْ جمعها ثِيبُورَا**
tabburt bbwefrag	porte de la clôture	باب الساحة	**ثَابُورْثْ وْافْرَاقْ**
Asquif	lieu de transition entre l'intérieure et l'extérieure de la cour de la maison	سقيفة	**أَسْقِيفْ**
L'hara ou hara	correspond à la forme élémentaire de cellule familiale,	الحارة	**اَلْحَارَة أو حارة**
Afrag	espace découvert de la maison kabyle	ساحة وسط الدار	**أَفْرَاقْ**
Amrah	cour intérieur de la maison	ساحة	**أَمْرَاحْ**
Taq	fenêtre	نافذة صغيرة	**اْطَاقْ**
Abeghli ou takkurt	mortier de terre	ملاط طيني	**أَبْغْلِي**
Taquuaât ou Agunse ou Tighargarth	partie de axxam réservée aux humains	الفضاء المخصص للإنسان من أخام المترل القبائلي	**ثَقَعْتْ أو أَقُونْسْ أو ثِيغَرْغَرْثْ**
Addyanin	partie de axxam réservée aux animaux	مساحة من أخام مخصصة لإواء الحيوانات	**أدينين**

Taâricht	partie surélevée de axxam	جزء من أخام فوق أدينني يستعمل كمخزن عادة	ثَعْرِيشْتْ
Thala	fontaine	عين	ثَالَ
Timeqbart ou Tintalt	cimetière	مقبرة	ثِمْقْبَرْثْ
l'kamoun	foyer	كانون	لْكَانُونْ
Tizi	col	أخدود	ثِيزِي
Taddarth	village	قرية	ثَادَارْثْ
Tamdazt	instrument permettant de damer l'argile sur les murs	أداة ضغط و التراب عند إنجاز الجدران	ثَمَدَازْثْ
Ayddid	outres en peau de chèvre	جربة	أَيْدِيذْ
Tabetit	Tonnelets en bois importé	برميل	ثَبْتِيثْ

LEGENDE
Schema d'amenagement
commune BENI OURTILANE
SCHEMA D' AMENAGEMENT
3

P.U.D BENI OURTILANE PH 4

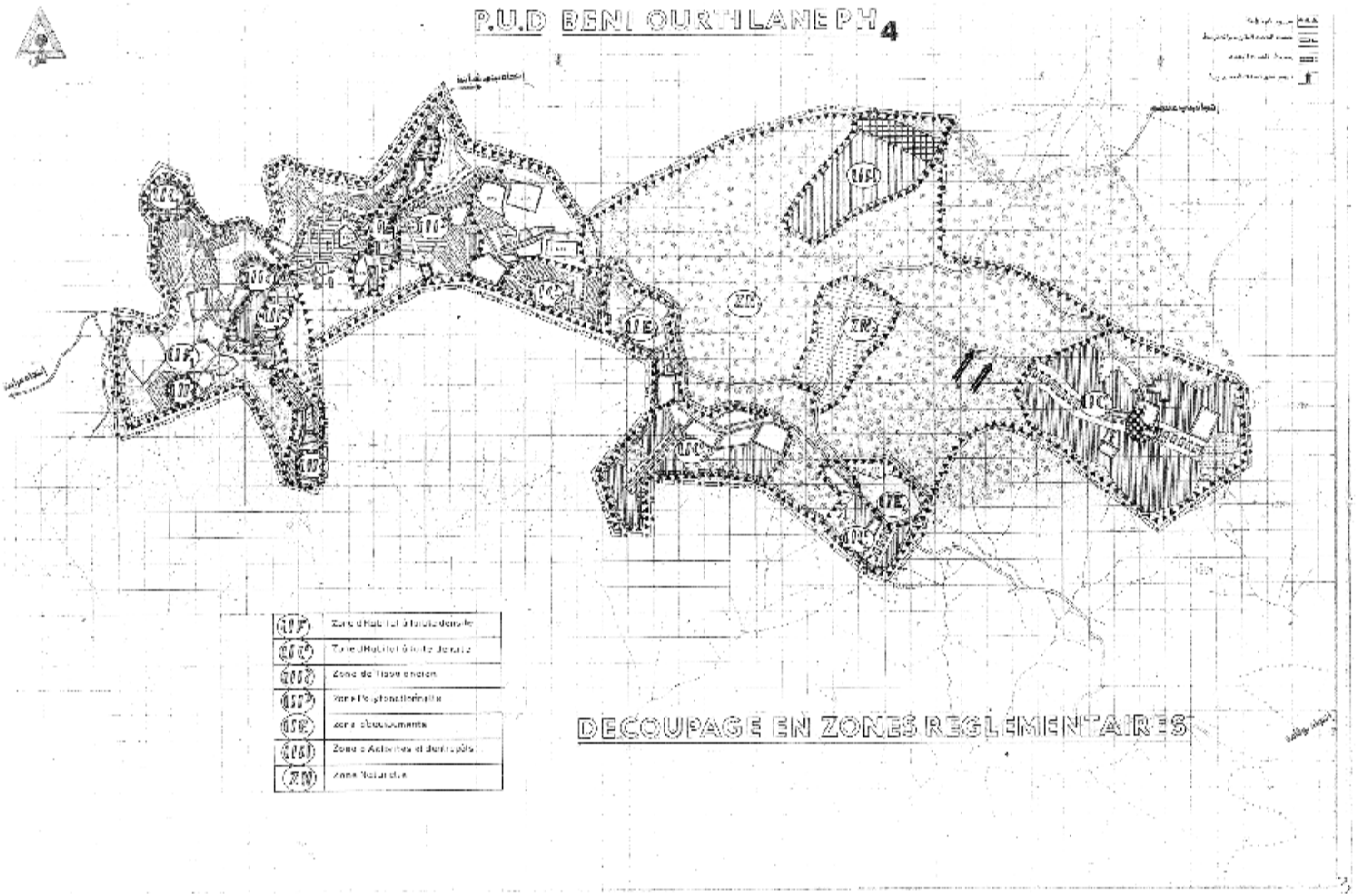

(UF)	Zone d'Habitat Individuelle
(UC)	Zone d'Habitat Collective
(UE)	Zone de Type Equipement
(UT)	Zone Touristique
(UE)	Zone d'Equipements
(AUI)	Zone d'Activités et Artisanat
(ZN)	Zone Naturelle

DECOUPAGE EN ZONES REGLEMENTAIRES

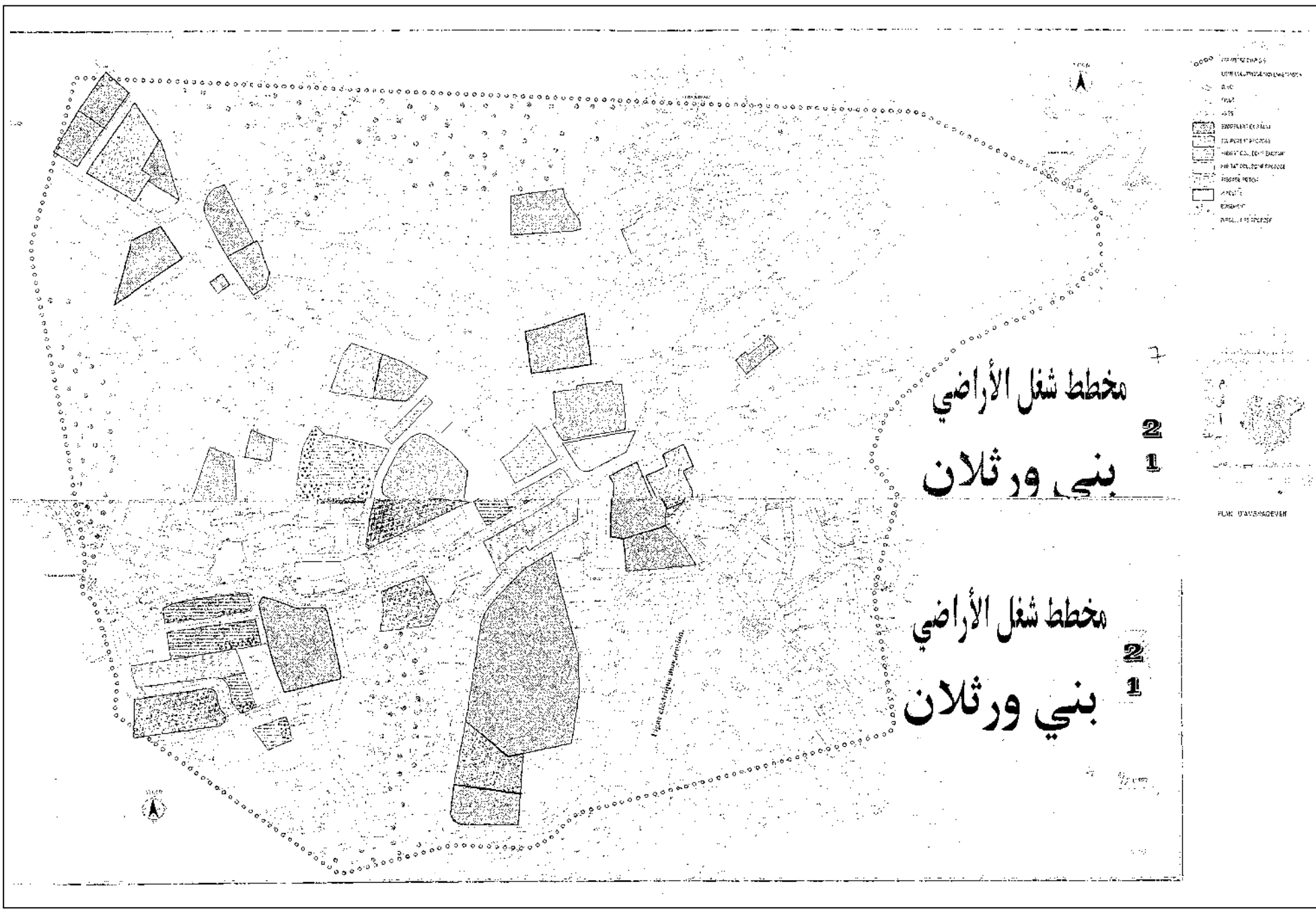
مخطط شغل الأراضي
2
1
بني ورثلان
مخطط شغل الأراضي
2
1
بني ورثلان

P.U.D BENI OURTILANE PH 4

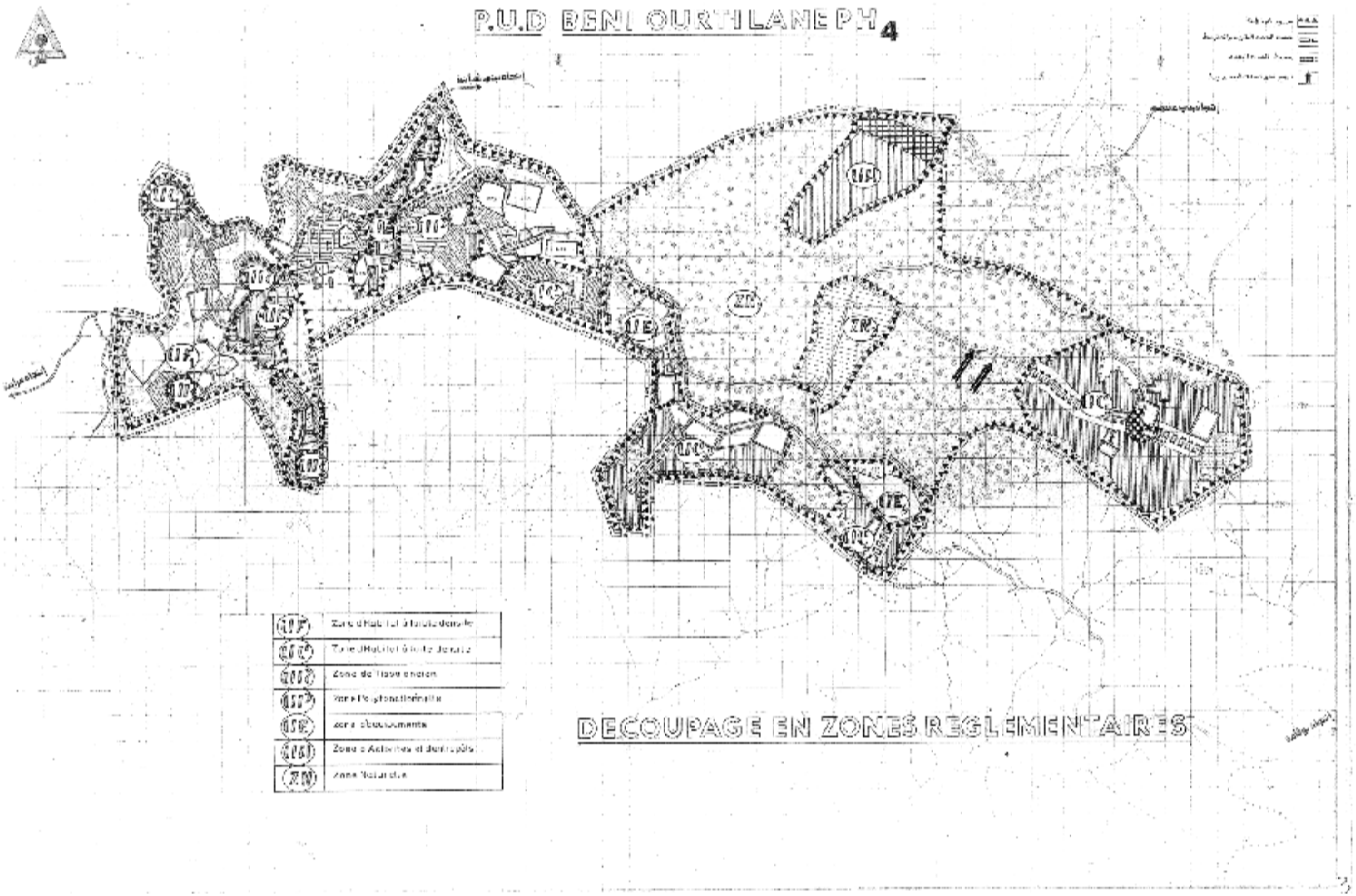

DECOUPAGE EN ZONES REGLEMENTAIRES

(UF)	Zone d'Habitat Individuelle
(UC)	Zone d'Habitat Collective
(UE)	Zone de Type Equipement
(UT)	Zone Touristique
(UE)	Zone d'Equipements
(AUI)	Zone d'Activités et Artisanat
(ZN)	Zone Naturelle

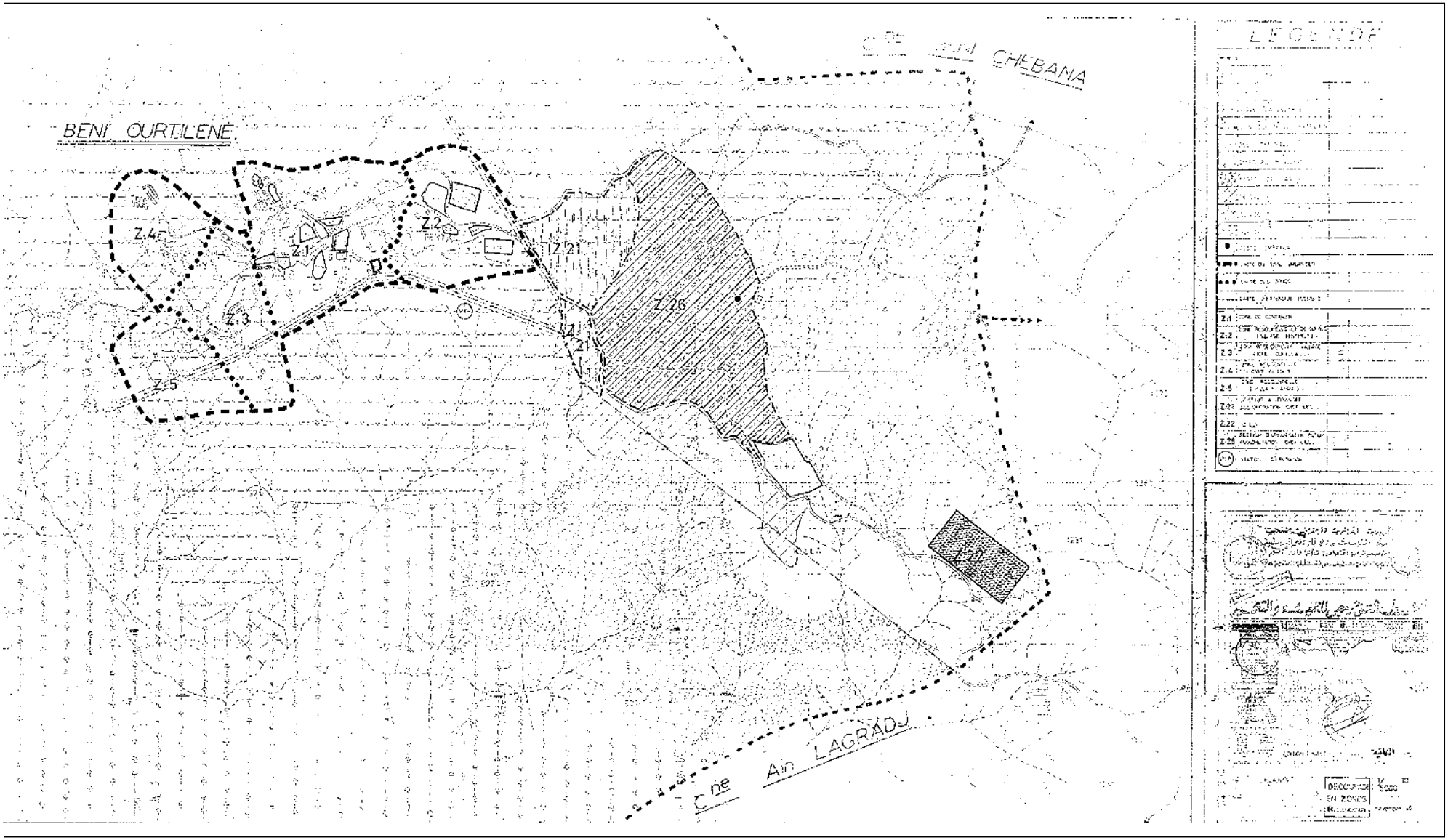
BENI OURTILENE
C ne AIN CHEBANA
C ne Ain LAGRADJ
Z.1
Z.2
Z.3
Z.4
Z.5
Z.21
Z.26
Z.27
LEGENDE

التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية: حالة قرى و مداشر منطقة بني ورثيلان بأقصى شمال غرب ولاية سطيف.

ملخـــص :

الوضع الراهن في المجال القروي الجزائري هو محصلة لترسب نتائج فترات متعاقبة مرت بها عملية تشكله و تحوله من الحالة التقليدية إلى الحالة التي هو عليها الآن. تتبع جوانب هذا التحول في المجال القروي الجزائري بشكل عام ثم في المجال القروي القبائلي من خلال دراسة حالة منطقة بني ورثيلان سمح من جهة بإبراز آثار أهم عوامل التحول المجالي كالاستعمار، الهجرة و سياسات التنمية الريفية بعد الاستقلال و من جهة أخرى سمح باستخلاص ملامح المرحلة الحالية و ادوار العناصر الفاعلة فيها.

التصور المستقبلي لمجال قروي خالي من السلبيات في مستوياته المختلفة (المسكن، القرية، الإقليم) يقتض تعميق الفهم لظاهرة التحولات المجالية و تضافر جهود مختلف الأطراف الفاعلة فيه.

الكلمات الكاشفة: التحولات المجالية - القرى الجبلية – السكن الريفي – البنية المجالية – الثقافة القبائلية – المجال الريفي – العمران التقليدي – الهجرة- النزوح الريفي- التنمية المحلية.

Les mutations spatiales dans l'espace villageois montagnard kabyle : cas des villages de la région de Beni-Ourtilane à l'extrême nord ouest de la wilaya de Sétif.

Résumé:

L'espace villageois algérien actuel est le résultat de l'accumulation des produits de différentes étapes d'un long processus de formation et de transformation spatiales.

L'étude de quelques aspects de ce processus dans l'espaces villageois algérien en général et l'espace villageois montagnard kabyles à travers le cas de la région de Beni-Ourtilane nous a permis de saisir d'une part les effets des facteurs majeurs des mutations à savoir : la colonisation, l'émigration et les politiques de développement rurale de l'Algérie indépendante; d' autre part elle nous a permis d'avoir une idée globale sur les caractéristiques et les acteurs de la conjoncture actuelle.

Un avenir meilleur dans l'espace villageois implique l'approfondissement des connaissances concernant le processus de sa formation et de sa transformation ainsi la sensibilisation à de tous les acteurs qui y activent.

Mots clés : Mutations spatiales – les villages Montagnards- l'habitat rural – la structure spatiale – la culture kabyle – l'urbanisme vernaculaire – l'immigration- l'exode rurale- le développement local.

Spatiales Changes of rural settlements at mountainous region of Kabylie : case of villages of Beni-Ourtilane at the extreme North West of willaya of sétif.

Summary:

The actual rural settlements in Algeria are the result of many periods which have passed through the process of its formation and transformation.

The studies of some aspects of this process at Algeria in general and at the mountainous region of Kabylie in the case of Beni-Ourtilane in special it let us on the one hand to seize the effects of some factors of change like the colonization, immigration and the policies of rural development after independence. On the other hand, theses studies which have permitted us to have a global vision about the actual tendency and its actors.

In order to imagine the future rural settlement without negatives in its different levels like housing, village and territory we have to understand in deep the transformation of these spaces and even the coordination of different efforts which have made in its contribution.

Key words: Spatial change – Mountainous villages –Rural housing –Spatial structure –Kabyle culture - Traditional settlement –Immigration –Rural exodus – Local development.